


الكتاب العربي السعودي ٧٧

محمد سعيد العامودي




جزء ثالث

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم



الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

# من
# حديث الكتب
جزء ثالث



# الإسلام والعصر الحديث

تأليف الأستاذ وحيد الدين خان
ترجمة الأستاذ ظفر الإسلام خان

مؤلف هذا الكتاب مفكر اسلامي معروف ·· صدرت له عدة كتب قيمة في السنوات الاخيرة ·· كان لها اوسع صدى ·

من هذه الكتب : « الاسلام يتحدى » و« الماركسية التي رفضها التاريخ » و« المسلمون بين الماضي والحاضر » ؛ و« الليبرالية في العالم الاسلامي » ·

يشتمل الكتاب على أربعة فصول رئيسية ·· عنوان الفصل الاول منها :« الثورة الفكرية قبل الثورة التشريعية » والثاني بعنوان :« امكانيات لم يستخدمها العالم الاسلامي » ، والفصل الثالث عنوانه :« الايمان والحركة الايمانية » ، اما الفصل الرابع والاخير فعنوانه :« نحو بعث اسلامي » ·

في الفصل الاول ، يركز المؤلف على وجوب ايجاد حركة فكرية اسلامية ـ يصفها بالثورة ـ توقظ العقول الاسلامية الهامدة الراقدة من ناحية ·· وتخلق جوا عالميا من ناحية اخرى لتقبل فكرة حكومة اسلامية في المجتمع الدولي ··

ولا يفوته ان يشير من خلال فصول الكتاب بصورة عامة الى ان الاسلام لا يواجه اعداء من الخارج فحسب ·· بل هناك جيش من الطابور الخامس داخل صفوفنا يهدم اسسنا الدينية والفكرية والحضارية والاخلاقية بمعاول هدم استعارها من مستعمري الغرب ،

ومستشرقيه ٠٠ ان هؤلاء المتغربين او المتفرنجين يصرون على تحديث الاسلام وتغييره في ضوء مفاهيمهم ومناهجهم المستوردة ٠

وفي الكتاب آراء نيرة وملاحظات سديدة ٠٠ ومقترحات جديرة بالعناية والاهتمام ، وامعان النظر ٠٠ وفي هذا العرض نتناول بعض الفصول :

شاءت البلدان الاسلامية ، عقب تخلصها من الاستعمار الغربي ان تحصل على نصيبها من النهضة الحضارية ٠٠ ولا نريد ان نناقش هنا اهمية هذه النهضة في الاسلام ٠٠ بل نشير الى ان هناك سبيلين للدخول الى هذه النهضة ، احدهما يكمن في نموذج الصين ، والثاني في الانموذج الياباني ٠٠

بالنسبة للانموذج الياباني ٠٠ يقول المؤلف :« ٠٠دفعت اليابان ثمن ضعفها بل تحطمت على ايدي الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، ثم واجهت قضية الدخول الى ميدان النهضة التمدنية ، وكانت اليابان مضطرة الى الاستمرار في علاقاتها مع أميركا وقد استخدمت اليابان هذا الاضطرار بأن حاولت النهوض بصناعاتها وتعليمها الى اعلى المستويات ٠٠ ولم تنظر اليابان الى الدولارات الامريكية المتدفقة عليها انها وسيلة لشراء الترف من الخارج ٠٠ بل سخرت كل قوة البلاد لانهاض العلوم والصناعة والتكنولوجيا اليابانية ٠

وقد استغرق تنفيذ هذه الخطة عشرين سنة في اليابان ٠٠

وفي هذين العقدين من الزمن حول اليابانيون بلادهم الى يابان جديدة تختلف اختلافا كبيرا عن التي دمرتها القنابل الامريكية ٠٠

وإمكانيات اليابان اليوم ، تتحدى امريكا نفسها ٠٠ والمراقبون الذين كانوا قد أصدروا وثيقة الموت لليابان قبل ربع قرن فقط يتنبأون اليوم بأن القرن الحادي والعشرين سيكون قرن اليابان ٠٠ مثلما اقترن هذا القرن بأمريكا والاتحاد السوفيتي ٠

لقد تمكنت اليابان من تحقيق التفوق التجاري على امريكا ، وهي لا

تزال خاضعة لها ·· وبدأت الصحف الامريكية تنشر مقالات تتساءل فيها : كيف نواجه الحملة اليابانية التجارية ؟

## وماذا عن العالم الاسلامي

·· أما العالم الاسلامي ·· فقد حصل على السنوات العشرين نفسها التي حصلت عليها اليابان ، ولكن النهضة التمدنية في العالم الاسلامي لا تعني سوى استيراد سيارات الغرب وتزيين بيوتنا بمواد مستوردة ·· ونحن نصر على المضي على هذا المنوال ولو اصبح الاقتصاد الوطني مرهونا لدى الاعداء ·· الى ان يقول :

ان التاريخ قد أتاح للعالم الاسلامي إمكانات جديدة ·

إن دراسة العالم المعاصر تدلنا على ان فيضان النهضة المادية قد وصل الى آخر مداه ، وانها غير قادرة على اعطاء السكينة لقلب الانسان ··

إن موجة من انعدام الثقة والطمأنينة النفسية تغزو كل العالم ·

إن الدين ينهض اليوم من جديد في روسيا بعد نصف قرن من القهر وحركات الشباب الفوضوية في الغرب نتيجة لانعدام الطمأنينة ·· ويطلق شباب اليابان اسم ( ثقافة التجار ) على ثقافتهم التي لا توافق سوى جزء من حاجة الوجود البشري ·· ان داء القلق وانعدام الثقة قد غزا الجيل الجديد في العالم كله ·

ثم يقول : ان هذه الاحوال تتيح فرصة ذهبية لحاملي دين الفطرة لارواء عطش العالم ·· ولاظهار دين الله ·· انها اعظم فرصة اتيحت في التاريخ كله لنشر دين الله ·· فنحن من ناحية نتمتع اليوم بأضخم وسائل الاعلام والاتصال ·· ومن ناحية اخرى يبحث الانسان المعاصر عن دين يستجيب لجميع مقتضيات وجوده ·· بعد ضياع طويل في متاهات المادة ·

ثم يقول : ان أقرب الطرق لظهور المسلمين في هذا العالم يمر بالدعوة وتبليغ كلمة الله ، انه الطريق الذي لن نحتاج فيه لفتح جبروت فارس والروم ، بل ان كل ادوات الجبروت ستسلم امرها للداعي طواعية ··

إن قوة المسلم كائنة في الدين الكامل الذي ارسله اليه رب الكون ولو نهض المسلمون يدعون البشر الى دين الله لاستسلم العالم كله لهم ·· ليت الدول الاسلامية تتفهم هذا السر ؟ وتبحث عن مواقع النفوذ لدين الله ، بينما تبحث الدول الاخرى عن مواقع النفوذ بالدولارات ومن أجلها ··» ان قافلة الامة الاسلامية المحطمة تبحث عن مستقبلها بمختلف الطرق ··

ولكن العجيب انها لم تسلك بعد طريق الدعوة ·· ان المستقبل الذي تبحث عنه الامة الاسلامية لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق الدعوة ··

## نحو نهضة إسلامية

المسلمون مغلوبون على امرهم في كل مكان ·· وهم ضحايا الاستغلال في كل بلد ··

ما الذي انتهى بالمسلمين الى هذه الحالة المؤلمة ؟

وهم الذين يملكون ألمع دين حضاري ·· ويشكلون الآن ثاني اغلبية دينية في العالم ؟

إن ألسنتنا مشغولة بتوجيه التهم الى الآخرين ··

ولكن السؤال الملح هنا : لم حدث هذا ؟

لقد حكم المسلمون العالم أكثر من الف سنة ، فكيف وصل بهم الامر الى هذا الهوان الذي يعيشونه في عالم اليوم ؟

ان الحقيقة الكبرى في كارثتنا هي ان ضعف المسلمين هو المسؤول عن فشلهم وسقوطهم ·

ان هذا العالم عالم صراع ومواجهة ··ولا معنى للتباكي على

الفشل ، حيث يوجد الصراع والمواجهة ٠٠ فالفشل هنا هو النتيجة الحتمية لمن يثبت ضعفه في الصراع ، ففي بداية النبوة اصبح العرب والعجم اعداء الدعوة الجديدة ، ولكن الاسلام لم يسقط لمجرد عداوة هؤلاء ٠

ان استمرارنا في العويل والبكاء يعني اننا بصدد تضييع الفرصة الاخيرة ـ أيضا التي منحتنا اياها طبيعة العصر الحديث ٠٠

ان توجيهنا الاتهامات للآخرين يكشف عن أننا لسنا نواجه الفشل فحسب ٠٠ ولكننا نواجه الحماقة وقلة الحكمة في نفس الوقت ؟!لن يبدل شيئا من بؤسنا ٠٠ الا شيء واحد ٠٠ وهو ان نعمل لتقوية انفسنا فنحن ضعفاء بحق امام الاخرين ٠٠ ولذلك نحن مغلوبون ٠٠

## وكيف نصبح أقوياء

ان القرآن الكريم يجيب على هذا السؤال :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » ٠٠

ان القوة هي القوة المرهبة ، والامر الالهي يشمل كل سلاح يتصف بصفة « الارهاب » وطريقنا كما تحدده هذه الاية الكريمة ان نحصل على القوة المرهبة تلك التي يستعيد بها الاسلام مجده وشوكته في هذا العصر ٠

ان العصر الجديد هو عصر التغيرات ٠٠ لقد تغير كل شيء في عالم اليوم ، حتى مفهوم القوة نفسه قد تغير فلم تعد الخيول والسيوف والرماح رمز القوة ، بل انتقلت قوة الخيل الى مايسمونه بقوة « الحصان » لقد اصبح العلم والتكنولوجيا رمزي القوة والتقدم ، وفي الماضي كان رجل واحد يحكم ٠٠ اما الآن فالامر قد تغير ٠٠ وتوجد انماط مختلفة للحكم تلعب قوى متعددة دورا هاما في توجيهها ٠

٠٠٠ ان نكستنا الراهنة ترجع الى تجاهلنا التغيرات التي طرأت على

العصر والى عـدم امتلاكنـا القوى الجـديدة التي تمخضت عن هـذه التغيرات ، وعلى سبيل المثال : فان جميع حركات النهضة التي قامت على امتداد العالم الاسلامي خلال المائة سنة الماضية لم تهدف إلا الى هدف واحد ـ وهو انهاء ، السيطرة الاستعمارية الغربية ، والحصول على الاستقلال ، وقد انفقنا في سبيل هذه الغاية ما لا يحصى من الوقت والمال والتضحيات،ولقد توصلنا تقريبا الى هذا الهدف اليوم ٠٠ ولكن هل يتمتع المسلمون اليوم بنفس المكانة التي تمناها مجاهدو الحرية في احلامهم بالامس ولا جواب لهذا السؤال الا بالنفي المؤكد ٠٠

٠٠٠ وخلاصة ماأريد ان أقوله : هو أن واقع الدول الاسلامية لم يتغير رغم كل التغيرات ٠٠ فنحن رغم انتزاعنا الحرية لم نتمتع بها في حقيقة الامر ٠٠ والغـرب ـ شرقيـه وغربيـه ـ لا يزال يحتـوي دولنا الاسلامية ، بفضل علمه وصناعته المتفوقة ، وهو يفعل ما يريد لدرجة ابقاء حكوماتها او تغييرها ان اقتضت مخططاته ذلك !

وهنا نأتي بمثال من معسكر غير معسكرنا يكشف خطأ برامجنا ٠٠

لقد تحطمت اليابان تحطما كاملا في الحرب العالمية الثانية ، ودكت قنابل الحلفاء معالم « ناجازاكي » و« هيروشيما » و« طوكيو » ، والمدن اليابانية الاخرى ٠٠ ثم احتلت الجيوش الامريكية ارض اليابان ٠٠ وهي لاتزال تحتل جزيرة « أوكيناوا » ولا تزال امـريكا هي المسـؤولة الاساسية عن الدفاع عن اليابان بناء على المعاهـدة التي أبرمت بـين الدولتين بعد الحرب وبدأت اليابان حياة جديدة بعد الحرب ٠٠ ولقد كان المزاج الشرقي العادي يقتضي اثارة حملة سياسية ضد الوجـود الامريكي لان السياسيين عندنـا يقولون : « جـلاء الاجنبي المستعمر بداية لكل خير وطني » ٠٠ولكن اليابان اختارت طريقا آخر ٠

لقد تجاهلت وجود الاحتلال الامريكي وركزت كل جهدها على بناء الوطن من جديد وزادت من اهمية التعليم حتى اعطت المدرسين مرتبات الوزراء ٠٠٠ومنحتهم صلاحيات وكلاء النيابة ٠٠ وكانت النتيجة ان

أصبحت اليابان في عقدين اثنين من أكثر البلاد تقدما في التعليم ٠٠ واليابان لا توجد فيها مناجم الحديد ولكن الشعب الذي تعلم لم يعد يضيع قطعة واحدة من حديد شفرة حلاقة او مسمار مكسور فكل قطعة حديد تأخذ طريقها نحو المصنع لكي تظهر في صورة جديدة نافعة ، وسار البناء قدما بطريقة منظمة حتى اصبحت المدن المحطمة من أكبر مراكز الصناعة والتجارة في العالم وتقدمت الصناعة ، والعلم ، والتكنولوجيا حتى اصبحت منتجات اليابان تنافس المصنوعات الامريكية في اسواق التجارة الحرة ٠٠

واستغلت اليابان نكبة الاحتلال الامريكي احسن استغلال كمظلة دفاعية ووجهت كل امكاناتها نحو تعمير الوطن ، وكانت النتيجة ان اصبحت اليابان خلال ربع قرن من أكثر بلدان العالم علما وتقدما وقوة في الاقتصاد ٠

وبعد ان تم لها كل هذا بدأت الحوار مع امريكا ٠ فكانت المطالبة اليابانية تقريرا لحق سبق فيه الحكم لصالح اليابان لانها استخدمت في ذلك كل قوة وامكانية اتاحها الزمن والعصر لها ، ففوجيء العالم في أكتوبر الماضي بوزير خارجية اليابان يزور « اوكيناوا » لأول مرة ويعلن ان القوات الامريكية ستجلو قريبا عن اراضي اليابان ٠

**وهذا النموذج الياباني :**

٠٠ يؤكد معرفة رجالها معرفة كاملة بروح العصر الجديد ٠٠ بينما نموذجنا يخلو تماما من تلك المعرفة بروح العصر ٠٠

وهذا هو السر في اننا لم نحتل مكاننا المناسب على خريطة العالم ٠٠ لقد أحرزت اليابان في ربع قرن من الجهاد الذاتي المكانة التي نجهد انفسنا منذ مايزيد على قرن في سبيلها دون الوصول الى نتائج ٠٠

ان نموذج اليابان وظروفها مماثلة لكل الدول التي توجد فيها اغلبية المسلمين ، فبينما تمكن اليابانيون من النهوض ، والوقوف فوق ارض

صلبة بتسخيرهم لكل امكاناتهم المتاحة لهم ذاتيا ٠٠بينما هذا ٠٠ ظللنا نحن عجزة متوكلين على عصا غيرنا ٠٠ ولم تزد بطولتنا عن اننا اصبحنا مجتمعا استهلاكيا لكل ماينتجه الغرب من آلات وأفكار !!

## المسلمون ٠٠ وطبيعة العصر

٠٠٠لقد تخلف المسلمون في كل مكان لانهم أخطأوا في تفهم طبيعة العصر ٠٠ ولم يهيؤا انفسهم مطلقا كما تتطلبه روح العصر الجديدة هذه من انفساح ٠٠ ومنذ قرن كامل وثمة ضجة تثار في أرجاء العالم الاسلامي حول مايسمونه « احياء الاسلام » لكن الصخب الشديد قد انتهى بنا الى حيث نحن الآن ملقون في غار الذل والعار ٠٠ ومما يزيد من عمق تعاستنا ان كل هذا الفشل لم يؤد الى خلق شعور لدى المسلمين واعادة الفكر فيما يجب عمله وفي الاسلوب الذي يجب اتباعه ، وكل الشعارات والنعارات التي ثبت فشلها النهائي ـ بحكم شهادة التاريخ ـ لازلنا نسمعها من حين لآخر في كلمة جديدة او ثوب جديد !

٠٠٠وفي البلاد الاسلامية المستقلة يوجد آلاف الاعمال التي يعتبر النهوض بها هو الرقي بالشعب ، والارتفاع الى مستوى القوة العصرية المطلوبة ، ولكن حال هذه الاعمال يرثى له ٠٠ فان جيوش هذه البلاد مشغولة بفتح بلدانها هي ٠٠ وما يمضي يوم الا ونسمع في هذه البلاد عن محاولة جرت من جانب الجيش للاستيلاء على السلطة وتنتهي المحاولة « سلبا أو ايجابا » باراقة دماء مئات من الشخصيات التي كان يجب ادخارها لتعمير الامة وبناء الوطن ، وهناك امكانات مدهشة لنشر الدعوة الاسلامية وتوسيع رقعة العالم الاسلامي ٠٠ واستغلال هذه الامكانات الجديدة من نوعها في التاريخ يمكننا من دفع عجلة الاسلام الى الامام في نجاح لا يمكن تخيل ابعاده الآن لكن هذا الميدان الحساس للعمل الاسلامي لايزال غير مطروق على الاطلاق ٠٠

وهذه الامكانات التي سلف ذكرها تقتضي احياء كفاح جديد في عالم

الاسلام لتعطي لاجيالنا الجديدة الشعور الحقيقي بمعنى وجودهم : من هم ؟ وفي اي عصر يعيشـون ؟ ومـاذا يجب ان يفعلوا حتى يحـددوا مكانتهم اللائقة بهم في عالم اليوم ؟

## مركز اسلامي عصري

يتحدث المؤلف عن وجوب اقامة مركز اسلامي على نطاق عـظيم ، يكون مجهزا بجميع الوسائل العصرية لنشر الافكار حتى يصبح هذا المركز مصدر الطاقة المتفجرة للحركة الاسلامية العالمية بحيث يكون هذا المركز اسلاميا وعالميا وعصريا في نفس الوقت ٠٠

ثم يقول :

وسوف يقام هذا المركز بحيث يسوده جو اسلامي خـالص ، وهذا يعني ان يضم مسجدا ومكاتب وغرفا للباحثين ٠

**ونوجز فيما يلي الاعمال التي سيعني بها هذا المركز :**

١ ـ اصدار مجلات عربية واردية وانجليزية وغيرهـا وهي مجلات لن تعنى بالاخبار ، وانما ستكون مجال الفكر الذي سيربط جهودنا المختلفة لتعريف أجيالنا بروح العصر ومتطلباته حتى نستطيع عن طريقها نشر الوعي للقيام بعمل جاد لبناء الامة ٠

٢ ـ نشر الكتب الاسلامية الى اللغات الاجنبية ٠

وعلى سبيل المثال فاننا نريـد نشر طبعة للقـرآن الكريم تجمـع بين الترجمة والتفسـير حتى يتمكن الرجل العـادي من استيعابـه في يسر وتسلسل ٠٠ ونريد نشر هذه الطبعـة الميسرة بكـل لغات العـالم مثل طبعات الانجيل المنتشرة في كل مكان بثمن رمزي ٠

وكذلك نريد نشر ترجمة للاحاديث النبوية على هذا النحو ، ونريـد ايضا نشر كتاب في السيرة النبوية يكون بمثابة كتاب هاد للمثقف العادي خصوصا من غير المسلمين ٠

٣ ـ نشر كتب تتناول قضايا العصر من وجهة النظر الاسلامية ، وتعالج مبادىء الاسلام بعقلية غير مبهورة بالغرب ٠

وهذا النوع من الكتب يمكن رؤية نموذج له في كتابنا « الاسلام يتحدى » ومن الواجب ان نتوسع في تقديم اعمال من هذا الطراز على اوسع نطاق ، وفي كل لغات العالم ٠

٤ ـ اعداد جيل اسلامي مثقف وعلى علم بكل اللغات القديمة والحديثة وبالحضارات والاديان ٠وتدريبه على البحث حتى يمكنه نشر الدعوة الاسلامية في مختلف البيئات ، وفي امكانه في هذه الاثناء الحصول على درجات جامعية عليا في مختلف فروع المعرفة ٠

٥ ـ وسيضم المركز لذلك غرفا للباحثين والطلبة المسلمين الذين يتمتعون بقدر من الامتياز والذين يختارهم المركز لتنشئتهم نشأة اسلامية صحيحة ٠

٦ ـ تبادل زيارات المفكرين والكتاب الاسلاميين بين مختلف البلدان لاسيما بين بلدان العالم الاسلامي لتهيئة مناخ اسلامي عالمي يساعد على تنشيط العقول الاسلامية الهامدة ٠

٧ ـ ستنشأ داخل هذا المركز بيئة اسلامية تكون فرصة لغير المسلمين كي يشاهدوا الحياة الاسلامية في صورتها الحية الطبيعية ٠

٨ ـ سيضم في هذا المركز معرض يضم لوحات ورسومات عن التاريخ والحضارة الاسلامية في مختلف المراحل ٠٠ وكذلك سيضم المعرض آثارا اسلامية ويكون من شأن هذا المعرض اعداد وعرض افلام عن الاسلام ٠

٩ ـ ينهج المركز نهجا يؤدي الى توعية المسلمين وايقاظهم من سباتهم ٠ المميت تمهيدا لانطلاقهم في ميدان التعليم والاقتصاد اللذين يعتبران بحق مفتاح العصر الحديث ٠٠

وسيكون من شأن هذا القسم انشاء صندوق لتعليم الممتازين من الطلاب المسلمين ، وكذلك انشاء وكالة انباء اسلامية دولية يكون عملها

زبط جهود المسلمين عبر القارات ، وارشادهم في نواحي الاقتصاد بصفة خاصة ولاثارة مشاكلهم وقضاياهم واخبارهم بصفة دائمة ٠

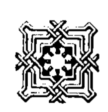
١٠ ـ إنشاء مكتبة وقاعة درس ومحاضرات داخل المركز ، ويكون من شأن هذا القسم التسهيل على طالبي البحث ، والامداد بالمعلومات عن الشؤون الاسلامية ودعوة مفكري العالم الاسلامي وغيرهم لالقاء المحاضرات والندوات الثقافية ٠

* * *

انه لمن الواضح ان اقتراح المركز الاسلامي الدولي ، سيبدو للكثيرين حلما وخيالا لانه لا يمكن انشاؤه على النحو المطلوب الا بوسائل اقتصادية ضخمة ، ونحن نعلم جيدا مدى اهتمام امتنا بالمشروعات الاسلامية الجادة ٠

ولكن على الرغم من كل الظلام الحالك فان هناك بصيص نور ٠٠ هو انني مقتنع من الوجهتين الشرعية والعقلية بأنه لاشيء يجدي لاحياء الاسلام ـ في هذه الظروف المتاحة الآن ولاعطاء المسلمين دورهم المناسب ـ الا بدء مشروع فكري من هذا النوع ٠

واني لا أشك في ان عناية الله تستطيع ان تفتح قلوب بعض المسلمين ٠٠ حتى تتاح الفرصة والوسائل اللازمة لبدء هذا العمل الهام الذي لابد منه ٠٠ وماذلك على الله بعزيز ٠٠





## معركة المصحف في العالم الإسلامي

### الشيخ محمّد الغزالي

### (١)

انه كتاب جديد للمؤلف الكبير « محمد الغزالي » ٠٠ وليس الغزالي في حاجة إلى تعريف ٠

في هذا الكتاب يعرض المؤلف الفاضل لهذه المشكلة من جوانبها الكثيرة المتعددة بأسلوبه المعهود ، وبيانه الصافي ، واسترساله اللطيف ، ولا نغالي ان قلنا ان الاستاذ الغزالي في هذا الكتاب قد رسم لنا أدق صورة وأصدقها لمشكلة العالم الاسلامي اليوم : مشكلة تخلفه البعيد المدى ، وما كان من انحراف المسلمين في معظم اقطارهم من الأثر الأكبر في هذا التخلف ثم ما أسهم به في ذلك الاستعمار الصليبي وأعوانه من يهود وملاحدة وغيرهم ٠٠ ثم ما كان للغزو الفكري أو الاستعمار الثقافي من مشاركة فعالة في هذا السبيل ٠٠ إلى آخر ما سيراه القارىء الكريم في هذا العرض الموجز السريع :

يبدأ المؤلف الفاضل حديثه ٠٠ فيقول :

نحن المسلمين نعتقد أن ما بين دفتي المصحف الشريف هو مراد الله من عباده ٠٠

وان هذا الوحي المصون ، يمثل قواعد الدين الواحد الذي تتابع

المرسلون في العصور الماضية على الهداية به ، ومناشدة أبناء آدم أن يقتنعوا به وينتفعوا بما فيه ··

وهو كذلك الوحي الذي سيصحب الانسانية حتى النهاية ·

لن يطرأ عليه تغيير بالزيادة أو النقص أو التبديل !

في هذا المصحف صورة تامة ، رائعة ، للحق في العقيدة والخلق ، والعبادة والمعاملة ، تكفل للأمم معاشها هنا ·· ومعادها هناك ··

وليس لهذا المصحف طابع اقليمي ·· ولا نزعة خاصة ·· ان العالمية شائعة في آياته كلها شيوع الصفاء في وجه المرآة ·· أو شيوع الزرقة في قبة السماء ·

رب العالمين الذي خلق الأجناس والألوان ، يضع لأولئك جميعا نظاما نفسيا واجتماعيا لا يتفاوتون بازائه ، ولا يمتاز بعضهم على بعض ·

ان المكان والزمان والفروق الموهومة ، تمحى كل المحو في جو القرآن الكريم ·

« قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض » « الاعراف ١٥٨ » ·

والعالم الاسلامي المترامي الأطراف يود أن يسير على منهاج كتابه لكنه محروم مما يود ·

وتوجد قوى شاذة تعاكس رغبته ، وتحاول بوسائل الاكراه المادي والأدبي أن تلوى زمامه عن الوجهة التي يريد ··

انها تضغط عليه كي يرتد عن ديانته كلا أو جزءا ، على قدر ما تبلغ أدوات هذا الضغط الباطنة والظاهرة ··

ولعلها تكتفي منه مؤقتا أن يترك بعض ما أوحى اليه ، على أمل أن يترك الوحي كله مستقبلا !

ولكن هذا العالم الاسلامي المتعب ، مصر على الاستمساك بالدين كله ، وراغب أن ينال حرية العمل به ، والاحتكام اليه ··

وهو مبلبل الفكر ، لطول ما يكابد من مساومات ومؤامرات ·· ولطول ما ترادف عليه من أزمات ··

وقد ألفت هذا الكتاب ليكون جهدا مع الجهود المبذولة للدفاع عن المصحف المهاجم ، وأمته المعناة في أنحاء الأرض ··

انه كتاب لا يخص قطرا اسلاميا بعينه ··

إنه يتناول حاضر ومستقبل أمة تزيد على ٥٠٠ مليون إنسان عاث الاستعمار السياسي والثقافي في أرجائها فسادا ·

## المصحف للنفس والمجتمع والدولة

يستطيع أي قارىء للمصحف الشريف من أي قارة على ظهر الأرض أن يستيقن من أن الاسلام ينتظم الحياة العامة والخاصة ، وأنه يتناول النفس الانسانية في أعمق أغوارها والمجتمع البشري في أوسع دوائره ··

ومن الجهل الشائن بعد مطالعة المصحف آية آية ، وبعد متابعة النبوة سنة سنة أن يزعم زاعم ان القرآن كتاب مواعظ نفسية محدودة ·· أو أن محمدا كان يستهدف وصل الناس بالله عن طريق الدعاء والرجاء ·· وحسب ··

ان أوامر الله ونواهيه تتجه الى البيئة التي يعيش فيها الانسان ، كما تتجه الى الانسان نفسه ··

أجل تتجه الى البيئة ، كي تشكلها على صورة معينة ، وتفرغها في قالب محدد ، كما تتجه إلى الانسان نفسه بالمحو والاثبات فيما يفعل ويترك ··

لا انفصال في الاسلام بين الحياة الفردية ، والكيان الاجتماعي العام ··

شرائع الاسلام للوصاية على الضمير ، مثل شرائعه في تنظيم البيت ، مثل شرائعه في اقامة العدل السياسي والاجتماعي عند بناء الدولة ·

## العبادات وسلطان الدولة

ان العبادات من صلاة وصيام ، وزكاة وحج وغير ذلك يظنها الظانون أعمالا فردية موكولة لاصحابها ·· وأن الدولة ـ في الاسلام ـ لا تسأل عنها ·· ولا تهتم بها ·

ونحن نسارع إلى تفنيد هذا الظن ، وبيان وجه الحق فيه ، فان الدولة لا تكون مسلمة يوم تكون اقامة الصلاة واماتتها في نظرها سواء ·

·· ان الدولة في الاسلام مكلفة برعاية الله ، واشاعة تقواه ، وتوطيد وقاره ، وتقديس اسمه ··

وان من وظيفتها تهيئة الجو المعين على انتظام الصلوات الخمس من الفجر الى العشاء ، واشعار المؤمنين كافة ان ذلك من صميم رسالتها ورسالتهم ، وكما تشغل الدولة بدفع العدو المغير ، وتجند ما لديها من وسائل مادية وأدبية لذلك ·

وكما يجب على الجمهور فردا فردا أن يقوم في صمت بواجبه النفسي والعسكري لرد العدوان ·

كذلك يجب على المؤمنين حكومة وشعبا أن ينهضوا إلى الصلاة عند ميقاتها ··

ذلك هو الاسلام كما نستبين صورته في آيات المصحف وكما نتعرف حدوده من حياة النبي نفسه ـ صلوات الله عليه ··

وما يقال في الصلاة نموذج لما يقال في الصيام ·· فان الحكومة لكي تكون اسلامية ـ يجب أن تأمر به عند اهلال شهره ··

أما الدولة التي تقدم بنفسها الطعام للناس كي يفطروا ·· أو التي ترى الصيام مضيعة للوقت والانتاج ·· فهي دولة مرتدة بيقين عن الاسلام !! ··

ونحن نعرف كيف نهضت دولة الخلافة ـ أيام رئيسها الأول أبي بكر الى مقاتلة مانعي الزكاة ، وكيف سيرت الجيوش لمقاتلتهم جنبا لجنب مع المرتدين عن الاسلام ··

## اللون الاسلامي للدولة

ان الحكومة في الاسلام تقوم على عقيدة ومبدأ ··

وليست غايتها توفير الطعام والأمان لجماعة من الناس وكفى !

ان توفير الضرورات المادية والأدبية وسيلة لا هدف ··

ورسالة الحكومة بعد ذلك أن تهيىء للأمة الحياة على النمط الذي ترضاه ، والنظام الذي تهواه من غير ما تعصب ، أو افتيات على أحد من الناس ··

وليس الحكم توفير الأقوات لمجرد الشبع ، ولكن لينصرف الناس إلى رسالة الحياة الكبرى وهي الحرص على رضاء رب العالمين ، والتهيؤ للقائه بصحائف بيضتها الحسنات ، وزانها الايمان ··

## لكي تكون الدولة مسلمة حقا !

في العالم الآن أنواع من الحكم :

هناك الشيوعية التي ترفع راية الالحاد ، وتنشىء الأولاد على أنه لا إله ، ولا آخرة ، ولا نبوآت ، ولا أحكام للسماء ·

وهناك « الصليبية » التي اتخذت الديموقراطية شعارا لها داخل بلادها ··

والديموقراطية تعطي حرية للايمان والالحاد معا ·· وللعفة والعهر جميعا ·· !

أما خارج بلادها ـ الديموقراطية ـ فهي تعلن على الاسلام حربا شعواء ·

وقد نجحت هذه الحرب في طي شريعته ، وهي ماضية لتطوى عقيدته بعد ذلك ··

وإلى جوارنا حكومة صهيونية قامت على انقاض العروبة والاسلام ·

وقد شطرت العالم الاسلامي شطرين ، وتعاونت مع الاستعمار الصليبي على توجيه الأمور في الشرق الأوسط وفق ما يريد ··

في هذا الجو المربد لا يمكن قبول حكم باهت مذبذب يكره المصحف ، ويرتعش وهو ينظر إلى مواريث الاسلام ومقدساته ٠

ويستبد به الشك والعجز عندما يفكر : ماذا يأخذ وماذا يترك من تعاليم الدين ؟

أو ماذا يفعل ليرضى عواطف الجماهير المسلمة ؟

وماذا يترك ليحوز رضاء الصليبيين والشيوعيين ؟

واداة الحكم في يده مسخرة لهذا الخلط من اليقين والريبة ٠٠ والجد والهزل ٠٠ والحق والباطل ٠٠ والشرق والغرب ٠٠ !!

ولكي تكون الدولة مسلمة حقا ، وصدى لجماهير المسلمين التي تحكم باسمها ، لا محيص من أن تلتزم معالم الحلال والحرام ، وحدود الأمر والنهي وأن تتحرى ما يريد الله في كتابه لتسارع اليه ، وما صنع رسوله لتتأسى به ٠٠

## نريد في صراحة أن يرتبط المجتمع بالاسلام

ويقول المؤلف :

لقد سلخ المسلمون من تاريخهم ثلاثة عشر قرنا وهم مرتبطون قلبيا وفكريا بدينهم يصدرون عنه ، وينطلقون منه ٠

ونحن نعترف بأن هذا الرباط تعرض لأنواع من العلم والجهل ٠٠ والذكاء والغباء ٠٠ والاتباع والابتداع ٠٠ والابتداع والتقليد والتجديد ٠

وتعرض كذلك لألوان من الاخلاص والرياء ٠٠ والشجاعة والنكوص ٠٠ والايثار والاثرة والشورى والاستبداد والعدالة والجور ٠

ومع ذلك كله فرباط الأمة بالاسلام قائم ، وانتسابها إليه ظاهر ٠٠

أما في هذا القرن الأخير وبعد ما عاث الاستعمار الصليبي في كل شبر من أرضنا ، وران على كل شأن من شؤوننا ، فقد تمكن من زحزحة المجتمع عن المحور الذي دار عليه ثلاثة عشر قرنا ٠٠

وتمكن من القاء بذور ارتداد مخيف في جوانب الحياة التشريعية والتعليمية ، والسياسية ، فأمست تعاليم الاسلام عند الكثيرين متعذرة القبول ·· أو متعسرة التنفيذ ··

والغريب أن هذا التخلخل في الكيان الديني حدث وعنوان الاسلام باق ·· باق على ركام من الجد والهزل يدع الحليم حيران ·

اننا نريد في صراحة ، وبصوت عال ، أن يرتبط المجتمع بالاسلام من قمته إلى سفحه ، وأن يتحاكم اليه فيما دق وجل من أمره ·

ونحن نرفض رفضا قاطعا هذا الانتماء الى الاسلام بالاسماء ·· والمواطن ·· والخروج عليه بالافعال والوجهة ·

وفي محنة انقسام الدين الى افعال يسهل اداؤها ، وافعال يجر ذيل السيئات عليها ··

أو في محنة انقسام المصحف الى أشياء لا بأس من فعلها وأشياء لا يسوغ انفاذها ·· في هذه المحنة تكونت صور شائهة عوراء لهذا الدين المحرف ·

صور متعددة بعدد المجتمعات الزائغة ··

ففي روسيا اسلام ·· وفي اسرائيل اسلام ·· وفي ظل حكومة اباحية محنة اسلام ·

ومفروض على الاسلام القائم في هذه المجتمعات أن يستكين الى ما فيها من فلسفات وأوضاع ·· والا يثير شغبا على ما تنهج من خطط في الدراسة والقانون ، فان وافق عليها فبها ·· ويستحسن أن يوافق ·· والا فعليه أن يلوذ بالصمت ، وهو في صمته متهم ·

**ما هو الاسلام الذي نؤمن به وندعو إليه ؟**

لقد انتشر الدين الاسلامي ، في عدة قارات ، ودخلت فيه أجيال من البشر ، ومرت عليه حقب من الزمن ··

وانضافت اليه بدع وخرافات ليست منه ·

واهملت شرائع وشعائر تعد من صلب تعاليمه ·

وبعد البون بعدا سحيقا بين الأصول النظرية لهذا الدين والواقع العملي للأمة المنتمية اليه ٠٠

فما هو الاسلام الذي نؤمن به وندعو اليه بين الوان الاسلام التي شانها الجهل ، أو شابها المسخ ؟

ان الاسلام الذي نعنيه والذي لا يمكن لأحد أن يعترف بغيره هو الاسلام المستمد من هذا القرآن حرفا حرفا ، والذي وعت الحياة اخراجا عمليا له في السنة المطهرة ٠

وبقدر الاقتراب من هذا المصحف ٠٠ والرسول الذي بلغه ٠٠ يكون الدين وبقدر الابتعاد يكون الشرود والزيغ ٠

**مع الاستعمار الصليبي**

عندما سقطت « الدولة الاسلامية » في القرن الماضي بعدما فتكت بها الادواء الخلقية والاجتماعية ، وتفشت فيها العلل النفسية والسياسية اهتبل الغرب الفرصة السانحة ، واستطاع خلال مدة وجيزة أن يضع يده على أغلب الأقطار الاسلامية ، وان يوقع الشعوب المذعورة في الحبائل التي نصبها ، فاضحت له فريسة سهلة ٠

ولجأ الاستعمار الصليبي الى ثلاث طرق لمحاصرة الاسلام ، ومحاولة الاجهاز عليه ٠٠

١ ـ منع الحكومات المحلية من الاعتماد على التشريع الاسلامي في سن القوانين ، واصدار الأحكام ، واثارة عاصفة من التجريح ضد الاخذ بالشريعة وتعاليمها ، وتضييق الخناق على شعائر الاسلام اجمالا حتى تتكمش الناحية الدينية في زاوية مهملة ٠٠ وللاستعمار حيل دقيقة ، وسلطات مرهوبة تجعل ايماءاته في هذا الشأن أوامر منفذة ، بل أوامر يصدع بها العبيد ٠٠ وكأنها تفكيرهم الخاص ، ووجهة نظرهم التي اقتنعوا بها ٠

٢ ـ التبشير بالنصرانية نفسها عن طريق المستشفى والمدرسة والملجأ وأساليب النشر المختلفة ٠

والغريب ان بعثات التبشير تشكل تعاونا أوربيا أمريكيا واسع النطاق ٠٠ وان اعضاءها خليط من الدول الاستعمارية التي سيرت جيوشها لغزو الشرق ؟ والدول التي لم تشارك في هذا الغزو العسكري ٠

فللسويد ـ مثلا ـ نشاط تبشيري في افريقيا الشرقية ٠

وقد اسس المبشرون السويديون ٤٠ مركزا لنشر المسيحية في ارتيريا ٠

وللنرويج أكثر من ٥٠٠ مركز للتبشير تمتد حتى مدغشقر ٠

أما غرب افريقيا فان المانيا تولت نشر النصرانية فيه ، ولها كفاح كبير في ارجاء غينيا والكاميرون ٠

وفي سيراليون والكاب وجنوب افريقيا قامت جمعية نوتردام الهولندية بانشاء ٢٠ اسقفية مدت نشاطها الصليبي حتى وصل إلى تنجانيقا في وسط القارة ٠

فاذا جاء دور أمريكا في هذا الجهاد العظيم ٠٠ فأعلم أن لها أكثر من (٤٥٠٠) بعثة تعمل في طول افريقيا وعرضها ٠

ونترك هذه الدول التي لم تسهم في اذلال القارة القديمة عسكريا واكتفت بجهد المقل ٠ ونتناول بالايماء العاجل افاعيل انكلترا وفرنسا ـ وايطاليا أيضا ـ والدولتان الأوليان لم تدخرا جهدا عسكريا ولا ثقافيا في محاربة الاسلام ؟ وانشاء أجيال جديدة تجهل تعاليمه ، أو تتنكر لها وتخاصمها ٠

والكلمة التي تصور الحقد الصليبي على الاسلام أصدق تصوير ما قاله المستشرق « لورانس براون » ٠

لقد كنا نتوجس الخوف من شعوب مختلفة لكننا بعد طول الاختبار لم نجد ما يبرر قلقنا ٠

خوفونا بالخطر اليهودي ، وبالخطر الشيوعي ، وبالخطر الأصفر ، إلا أن هذه المخاوف لم تستند إلى أساس ٠

لقد وجدنا اليهود أصدقاءنـا ورأينا البـلاشفة حلفـاءنا ـ يعني في الحرب العالمية الثانية ـ أما الخطر الأصفر فهناك دول كبرى تتكفـل بالقضاء عليه ٠

ان الخطر الحقيقي يكمن في نظام الاسلام ، وفي قدرة هذا الدين على التوسع والاخضاع ٠٠ وفي حيويته ٠٠

انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوربي ٠

هذه الكلمة الناضحة بالغل والسموم هي التصوير الحقيقي لموقف الصليبية من الاسلام ٠

والمسلمـون الآن يلمون شعثهم في جهـد مستميت كي يستعيـدوا مكانتهم ، ويستأنفوا رسالتهم ٠

خصوصا بعدما تبين للأمم المنكوبة في آسيا وافريقيا أن الاستعمار يستخدم الدين غطاء لشهواته الحرام ٠

## وطبيعة الاسلام

ان الاسلام الذي ارتضاه الله دينا لخلقه شيء آخر غير هذا الموت الأدبي والمادي الذي يرين على الرقعة الاسلامية التعيسة ٠ انه شيء آخر غير هذا الركام العجيب من الحق والخرافة ، والجمـود والفكر ، والعصمة والشهوة ٠٠ وأوحال الأرض وأشواق السماء ٠

انه ـ الاسلام ـ جملة الحقائق التي تنزل بهـا الوحي الأعلى عـلى الانســان الوضيء الذكي الطهور القـوي ، محمد بن عبـدالله ، لتكون بصيرة هادية للناس ، ورحمة شاملة للعالم : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » ( النحل ٨٩ ) ٠

٠٠ ان الآيات كلها متشابكة متماسكة ٠٠

ويوم يقضى بتعطيل احدى الآيات ، فان العدوى لن تقف ٠٠

أمس ٠٠ قدر الاستعمار على خلق قوانين تحكم بغير ما أنزل الله ٠

واليوم تتفانى شرائع العبادات والأخلاق ·· بعدما فنيت قبلها شرائع المعاملات والجنايات ·

وغدا ·· تنهار دعائم العقيدة ، وتنقضي آيات التوحيد ويجحد اليوم الآخر ، ويكون أمام جماهير المسلمين احد طريقين : اما الالحاد الشيوعي ·· أو الثالوث الصليبي ·

ومن الآن نحن نعترض هذا المسير ، ونحذر من هذا المصير ·· ونستصرخ أصحاب اليقين ، وأولى الألباب ، ان يقفوا هذه الردة المجنونة ·

والعاصم منها شيء واحد :

العودة المطلقة إلى هذا المصحف المهجور ·· ؟

ثم يتابع المؤلف الفاضل حديثه إلى اخر فصول الكتاب ·· فيتحدث إلينا فيما يتحدث عن الانحراف في شكل الحكم ولماذا اطرد هذا الانحراف ·· وعن طبيعة الحضارة الحديثة ·· والتجدد الاسلامي في ميدان السياسة ·· والاستعمار الثقافي ·· والمرتدون ·· والصهيونية في احضان الصليبية ·· والاستعمار القانوني ·· وعن مركز المرأة في المجتمع ·· وغير ذلك من موضوعات ومشكلات ·





## معركة المصحف في العالم الإسلامي

### الشيخ محمّد الغزالي

### (٢)

العودة المطلقة إلى هذا المصحف المهجور ٠

ذلك هو العاصم الوحيد للمسلمين من هذه التي يسميها الاستاذ الغزالي « الردة المجنونة » أي الردة عن تعاليم المصحف وتعاليم الاسلام ٠

وقد رأينا في القسم الذي عرضنا له من هذا الكتاب القيم « معركة المصحف في العالم الاسلامي » ما تحدث به المؤلف عن الصورة الرائعة للحق التي يضمها المصحف الكريم ، وعن العبادات في الاسلام وما يجب أن يكون عليه موقف الدولة منها ، وعن اللون الاسلامي للدولة ٠٠ ووجوب ارتباط المجتمع الاسلامي بالاسلام ارتباطا عمليا وثيقا دون الاكتفاء بمجرد الانتماء الى الاسلام بالاسماء والمواطن والخروج عليه ـ في نفس الوقت ـ بالافعال وبالوجهة ٠٠ أو أن نأخذ من الدين أو من المصحف اشياء ٠٠ ونترك اشياء ٠٠ الى آخر ما تحدث به المؤلف الفاضل ٠

ونتابع عرض أهم ما تناوله الكتاب من نقاطه الرئيسية ٠٠ وأول هذه النقاط ـ وربما أهمها ـ اتجاه بعض البلاد في الحكم بعد تحررها من

الاستعمار الى وجهة لا يمكن القول انها تمت بصلة الى الاسلام ـ وفي هذا يقول المؤلف :

## الحكومة المدنية والاسلام

في العصر الحديث قامت في الشرق الاسلامي حكومات « مدنية » كثيرة ، توطدت سلطاتها بين المحيطين ، وانضوت تحت الويتها جماهير المسلمين ··

·· وهذه الحكومات ـ في أشرف صورها ـ أدت للشعوب خدمات من الحق أن نعترف بها ، فقد جاهدت لتحرير البلاد من النير الأجنبي ، وقادت حركات نزيهة لاقرار الكرامة الوطنية الى أن يقول بعد أن يستعرض ما قامت به هذه الحكومات : « اننا نقر بهذه الحسنات لأننا نبصر الواقع كما هو ولا نبخس الناس أشياءهم ·· لكن النجاح الذي حققته هذه الحكومات في تنظيف الأوطان من الاستعمار الأجنبي كان العامل الأكبر فيه هوالجهاد الاسلامي الذي اندفعت بحرارته جماهير الثائرين !!

والانجليز والفرنسيون والطليان والهولنديون لم تتزلزل اقدامهم في البلاد التي احتلوها ، ولم يكرهوا آخر الأمر على الجلاء منها الا تحت تأثير هذاالجهاد لموصول ·· والمشروعات العمرانية والثقافية التي نجحت وافادت كان العامل الأكبر فيها ضمائر المؤمنين الذين يؤدون واجباتهم باخلاص ، ويغلب على مسالكهم طابع الجد والدقة · ولما كانت الحكومات المدنية ليست ـ في جوهر تكوينها ـ وثيقة الصلة بالدين ·· فانه سرعان ما تطرق الوهن الى عملها وهيبتها ·· فتعثر خطوها في كل ناحية ··

واذا بقيت على هذه الحال فانها ستفقد ارباحها التي حصلتها بعرق ودم الأجيال المؤمنة وحدها ··

ان هذه الحكومات لم تهتم بالتربية الدينية ·· فنبت الأفراد على

طبائعهم دون تهذيب ٠٠ وسعة العلم وطول الدراسة مع فقدان العقيدة الدافعة الوزاعة لا يجديان فتيلا ، خصوصا في مجتمع تشبثت بترابه معالم الاسلام ٠٠ فهي لا تفتأ تثبت نفسها ، وتتقاضى حقها في التوجيه والقيادة ، وقد رأينا مشروعات لا ينقصها صواب الفكرة ، ولا صدق الوجهة ، ومع ذلك فقد زاغت وذابت لا لشيء إلا لأن الأيدي « غير المتوضئة » هي التي باشرتها ، والقلوب الخالية من الله ٠٠ هي التي سيرتها ٠

إن الحكومات المدنية ـ في البلاد المسلمة ـ سوف تعجز عن تحقيق شيء طائل ٠٠ مادامت مصرة على عزل الدين عن الحياة ٠٠ ومادامت مصرة على تعريض المجتمع لعواصف التحلل والمجون والفوضى التي تهب من كل وسائل الاعلام ٠٠

ان الفراغ والبرود اللذين يغمران النفوس في ـ ظل المدنية المتجهمة لاحكام الاسلام ـ يستحيل ان تنجح بهما نهضة ٠٠ بل يستحيل ان تبقى معهما امة ٠

ويمضي المؤلف : الى أن يقول « ان البلبلة النفسية والاجتماعية ستظل تهز كل شيء ٠٠ وتذروه بددا ٠ وستظل تجر الكوارث في الداخل والخارج ٠٠ حتى نصل ما بيننا وبين الاسلام في ميدان التربية والتعليم ، وفي ميدان الادارة والتشريع ، وفي ميدان الاقتصاد والسياسة ، وفي شعائر الحياة العامة والخاصة كلها ٠٠

عندئذ تنتظم مشاعر الأدب الاجتماعي ، والكفاح السياسي في منهج معروف المنبع والمصب ٠٠ فلا يعروه تناقض ولا تضارب ، ولا يشينه ضعف أو فراغ ٠

ويواصل المؤلف الحديث في الفصل الذي عقده بعنوان « مسير الاسلام بين المجتمع والدولة » فيقول : « ٠٠ في هذا المصحف كل ما يفتقر اليه العالم من رشد وطهر ٠٠

وخير للناس أن يثوبوا الى هـذا الكتاب متعلمـين ، بدل ان تـدمى اعقابهم التجارب الفاشلة ، والمناهج الباطلة ، « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » ٠٠ الانعام ١١٥ ٠

وهنا نجيب على تساؤل شاع على ألسنة كثيـرة ، يقول اصحـابها معترضين : ان الاسلام الذي قرأنا لكم ولغيركم بحوثا مطولة في شريعته وعقيدته نظام مثالي ، أو بتعبير آخر نظام خيالي !!

ان تاريخ الدنيا لم يعرفه الا سنين عددا في دولة الخلافة الراشدة !!

وان الحياة الاسلامية بعدها ماجت بالفتن والأحداث الجسام ٠٠

فدعونا نستحدث من الافكار والأساليب ما يكفل لنا الاستقرار وفق ما نشتهي ٠٠

ونقول لهؤلاء : على رسلكم ان المسلمين ظلوا ألف سنة وهم ـ بهذا الديـن ـ انضر أهـل الأرض عيـشـا ، وارقـاهم فـكـرا واعـلاهم مستوى ٠٠ !!

كانت الأمم النصرانية واليهودية والوثنية ، دون جماعة المسلمـين بيقين ٠٠ بل كانوا يرون الحياة الاسـلامية ، طليعـة نيرة ٠٠ وقـوة باهرة ٠

وصحيـح ان المسلمـين ـ وهم بشر خـطاءون كغيـرهم من البشر الخطائين ـ لم يحتفظوا بالأوج الذي رفعهم الله اليه ، ولم يلتزموا وصايا السماء التي شرفهم الله بها ٠

ولكن الأفق الذي هبطوا اليه بتفـريطهم ٠٠ كـان اسمى من آفاق الحياة في الأمم الاخرى ٠

ولم يهو المسلمون من عل ٠ ويسقطوا من عين الله إلا يوم قطعوا حبال الاسلام ، واستهانوا بروابطه ٠٠

حينئذ تسلطت عليهم الأمم التي كانت قديما تتعلم منهم ، وتقفـو آثـارهم وتلك سنة الله في خلقـه « ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها » الاسراء ٧ ٠

ثم يتحدث عن اثر الاسلام في الميدان الاجتماعي فيقول : « في المجتمع سدت تعاليم الاسلام كل فراغ يمكن أن تتسرب اليه المبادىء الاقتصادية الهدامة وفلسفتها المادية الكفور ٠

ان الشيوعية وجدت مرتعا خصيبا لها في أوروبا ، وقد تجد لها مرتعا في أمريكا ، بل ان جراثيم هذا المذهب ولدت وتكاثرت في الفراغ النفسي والفكري الذي صحب النصرانية في مواطنها ، والبوذية في بلادها ٠٠

ولولا محنة الاستعمار الغربي لدار الاسلام ٠٠ ما أمكن أبدا أن تتسلل الشيوعية الى أرضنا ، أو تجد امرءا يقبل الانتماء اليها ٠٠

وحيث يكون الاسلام الحق يستحيل أن تكون شيوعية ، وتستحيل أن توجد لها ضرورة ٠

إن الاسلام جعل العمل للقادر عليه عبادة ٠

وجعل العون للعاجز عنه فريضة ٠٠

واوجب على الدولة ان تحارب عن حق الفقير في المعونة كما شرع القتال عن حق كل ذي مال في ماله ٠٠

فما مكان الشيوعية والحالة هذه ؟

اذا كان الدين مخدرا للشعوب في بعض الاقطار ، فالدين في بلاد الاسلام منبه للشعوب وحاث لها على مقاومة الظلم ، واشاعة العدل ، وتعميم الرحمة ، ومنع الجوع واستنكار البطنة والترف ٠

**الاسلام لا يعرف التفرقة**

ولم تعرف بلاد الاسلام قصة « البيض والملونين » التي تعرفها أوروبا وأمريكا ٠٠ لقد الف الناس أن يؤمهم في المحراب وأن يؤذن فيهم للصلاة رجل أسود ٠

وأن يدرس لهم في المدرسة أو يقضى بينهم في المحكمة رجل اسود ٠
ولم يكن هناك فارق ما بين أن يلي مناصب الامارة أبيض أو أسود !

فما أبعد البون بين الجو الاسلامي ، وجو المدنية الحاضرة !

وقد بلى المسلمون بعد انهيار شخصيتهم الاجتماعية والسياسية في

القرن الماضي باناس يختلونهم عن تعاليم دينهم بحذر ودهاء ··
فتراهم يتظاهرون باحترام النبوة ··
ولا بأس ان يصيغوا الاسلام بأنه دين الفطرة والتقدم !!
حتى اذا ووجهوا باحكامه في الحلال والحرام ومطالبه في الصلاة والصيام انكمشوا وتقهقروا ·

انهم يأخذون من الدين ما يحبون ·· ويدعون ما لا يعجبهم ، وهواهم الخفي مع مبادىء مستوردة من الشرق والغرب ·· هي التي يعجبون بها ·· يعترفون لها ·· ويقبلون من الاسلام ما يوافقها وينبذون ما يناقضها ·· ومعتنقو المذاهب الأجنبية يريدون أن يفرضوا أهواءهم على الاسلام ، وان يواجهوا تعاليمه وفق هذه المذاهب مع بتر ما يزيد عليها من نصوص ، أو تجاهل وجوده ··
واجتهادهم في المواءمة بين الاسلام والصالح العام كما يتخيلونه ، يغاير الاجتهاد المشروع الذي عرفه ائمة الاسلام في عصوره الطويلة ·
والواقع ان استخدام نصوص الشريعة الاسلامية ـ كما يقول الدكتور محمد حسين في رسالته « اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر » ـ في تبرير أنماط الغرب الفكرية والاجتماعية هو شر من تقليد هذه الأنماط تقليدا اعمى !

لأن الناس يمكن أن يعيشوا على أمل التخلص من الدخيل اذا قامت فيهم حركة اصيلة للأحياء ··
أما في الحالة الأولى ـ وهي حالة اندماج وتفاعل ـ فان ادراك الحدود بين الأصيل والدخيل تدق وتخفى حتى لتكاد تستحيل لأن الناتج من التفاعل سيكون شيئا جديدا معقد التركيب تختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له ، ولأن الناس يدركون في حالة التقليد ان الذي يفعلونه شيء آخر غير الاسلام · أما في الحالة الأولى فسوف يرسخ في أذهانهم أن ذلك هو التفسير الحق للاسلام الذي يلائم ظروف

الزمان ، وسوف يرفضون كل محاولة لردهم الى الحق لأنهم يتوهمون أنها دعوة رجعية جامدة ٠

## العودة الى الدين هو الحل

ويتحدث في فصل اخر بعنوان « في سلم النهوض » قائلا : العودة بالمسلمين الى الاسلام علما وعملا ٠٠ تلك هي وظيفة المجـددين لدين الله ٠ الناهضين بامته كي تؤدي رسالتها الكبرى ٠٠

إلى أن يقول : لقد كان الاسلام أسبق رسالة عالمية لتحرير الانسان وتوطيد حقوقه ورفع هامته ، فما يحني صلبه الا راكعا لله الذي خلقه فسواه وكان الاسلام أسبق رسالة عـالمية لرعـاية الجمـاهير ، ومنـع التفاوت المصطنع بين طوائفهم واشاعة نعمـة الله في بيوتهم ، وتـوفير الطمأنينة الكاملة لهم ولذراريهم ٠

## في وجه الاستعمار

وفي فصل بهذا العنوان يقول :

٠٠ ان أعداء الاسلام في العصور الحديثة زادوا كما وكيفا ٠٠

الصليبيـة التي تعلمت من مـاضيهـا في الخصـام ، كيف تختـل لتقتل ٠٠ انضمت اليها الصهيونية التي استشعرت بغتة أن لها ثأرات في المدينة وخيبر ، وان لها مطمعا في فلسطين منذ ٤٠ قرنا ٠

وهناك بعدئذ الشيوعية التي طلعت على العالم في القرن الأخير بالحاد لا تنقصه الصراحة ولا السلاح ٠

على أن الاستعمار الغربي ـ الذي لدغ الاسلام من قبله أول ما لدغ ـ كانت تتمثل فيه أحقاد الصليبية ، وتختبىء وراءه مطامع اليهودية ٠

وأغلب ما نال المسلمين من اذى وشر كان على يديه ٠٠

والهدف الأول والأخير لهذا العدوان القديم الجديد لخصه القرآن الكريم في هذه الكلمة « لايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، « البقرة ٢١٧ » ٠

ولم تتغير قط الغاية المنشودة وان اختلفت على حسب العصور الخطط المرسومة ٠

ـ وهم يريدون الاتيان على هذا المصحف الشريف وصاحبه الذي جاء به ٠٠

ـ هم يريدون ان تخمد أنفاس المؤذنين فلا يسمع أبدا حى على الصلاة حي على الفلاح ٠٠

هم يريدون ان يكون الاسلام قصة تروى كما تروى قصص الأمم البائدة ، وان يختفى الحديث عن توحيد الله ، ويوم الجزاء ، وتحريم الزنا والربا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتردد على المساجد من انفلاق الفجر الى غبش المساء ٠

**في ميدان المعركة**

وتبدأ سلسلة طويلة من الدفاع والهجوم ، بين طلائع التحرر الاسلامي من جهة ، والصليبية الحديثة وما سار في ركابها من قوى شريرة من جهة اخرى ٠٠

فانظر كيف يقع المكر بالاسلام وأهله ؟

ـ ان الحرية مطلب غال ٠٠ لا يختلف اثنان على الكفاح من أجله ٠٠

غير أن الاستعمار يعرض حرية من نوع جديد ، يعرض الحرية المطلقة ، ويوعز الى بعض الاقلام أن تنادي بها ٠٠ الحرية التي وقر معناها في أذهان الخاصة والعامة ـ وهم ينادون بها ـ أن تنكسر قيود الاستعمار ٠

ـ وان تتوطد الكرامة السياسية والاجتماعية لكل انسان ٠٠

ـ وان تنظم مجالس الشورى وترسخ قواعد النقد الحر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٠٠

ـ هذه هي الحرية التي عناها الجميع ٠

ـ غير ان الصليبية ـ من وراء ستار ـ أوحت الى سماسرتها أن ينادوا بحرية اخرى !

- حرية الشارب أن يسكر ، والفاسق أن يعبث ، والمرتاب أن يرتد ٠
- انه لا حرج من منح الأمم حرية الخروج عن الاسلام مع خروج الاستعمار قبل ذلك أو بعده ٠٠
- تلك هي الخطة الجديدة ٠
- أما الأسلحة الاخرى الفعالة فما أكثرها وافتكها !

- هناك - في العالم الاسلامي كله المدارس التي تنشىء المسلمين نشأة اخرى يخرج منها جمهورهم بين جاهل بالاسلام ، أو جاحد له ٠٠
- هناك المطابع التي تخرج منها الألوف المؤلفة من الكتب والرسائل لتصوغ المشاعر والأفكار صياغة تجعلها أبعد ما تكون عن الاسلام ٠ وأقرب ما تكون الى النحل والمذاهب الاخرى ٠
- هناك المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية - الى جانب وسائل الاعلام في جميع البلاد الاسلامية ، انها جميعا تمشي وفق خطة مرسومة بعناية وأناة ودهاء ٠٠

والاستعمار يستعين بأدوات متباينة ليبلغ هدفه الأخير ، فقد تجد في احدى الصحف شخصا يعتنق الوجودية ، وهي فلسفة لا تؤمن بالله ، ولا تلتزم بالشرائع والاخلاق الموروثة ٠٠ والى جانب هذا الشخص قد لا تجد امرءا شيوعيا ، والشيوعية تناقض الوجودية في نظرتها للفرد ، واعترافها بكيانه ، ومع ذلك فان الصليبية تستعين بالاثنين لأن كليهما كافر بالاسلام ، ماهر في الاساءة اليه وتضليل أبنائه ٠

ولا بأس أبدا أن ترى الاثنين صديقين في هذه السبيل ، ومعهما ثالث لا يدين بالاسلام ، ورابع يدين بالاسلام رسميا ولكن عقله طبع في لندن أو باريس أو موسكو ٠

والأنكى من ذلك أن دول الغرب المتنافرة ظاهرا في سياستها تلتقي على صفاء ووئام عندما يتصل الأمر بانجاح الخطط الصليبية في بلاد الاسلام ٠٠

الى أن يقول : فلنعترف ـ طوعا أو كرهـا ـ بأن الهجـوم الصليبي الأخير بلغ من أقطار الاسلام في العصر الحالي ما يريد !

وان ما احرزه الآن يشبه ما احرزه في أولى حملاته القديمة عندما وضع يده على بيت المقدس ، وذبح في ساحة المدينة المحروبة سبعين ألفا من المسلمين الكفار !

## والاستعمار القانوني

٠٠ والاستعمار الاوروبي عندما اجتاح أرض الاسلام وجه أقصى ضرباته الى الشريعة الاسلامية ، وعمل ـ ظاهرا وباطنا ـ على تجريحها واقصائها ، واحلال قوانينه الخاصة محلها قاصدا بذلك الى امور :

١ ـ محو الطابع الرسمي للاسلام وتقطيع الأحزمة الدينية التي تشد أوصال المجتمع ، وتبقيه متماسكا باسم الله ، اذا وقع خطأ فردي هنا أو هناك ٠

٢ ـ التذرع بتعطيل امر الله في ناحية مهمة الى تعطيل أوامر الله في سائر النواحي الاخرى وبذلك يتم سلخ المسلمين عن دينهم ، وحطم الدعائم والمعالم التي تكون أساسهم الروحي وصورتهم العامة ٠٠

٣ ـ ترك الجراثيم الخلقية تسرح في هذا الجسم المتداعي مادام السكر والزنا والربا والسفه يقع للاعقاب ، ومادام القتل والسرقـة والاعتداء وغير ذلك من الجرائم يقع فلا يواجه في الأعم الأغلب إلا بعقوبات فقدت قوة الردع ، وصرامة القصاص !

٤ ـ فرض الطابع الأجنبي للأمم الفاتحة ، والتوسل بهذا ٠٠ الى تغليب ثقافتها ولغتها وتقاليدها ٠٠ ومن ثم تتلاشى حقائق العروبة والاسلام وتتوارى في تراب الهزيمة إلى الابد ٠٠

ومن المستحيـل الزعم بأن الأمم الاسـلامية تحـررت لمجرد انهـا تخلصت من الاحتلال العسكري ستبقى بها العبودية ما بقى القانون الفرنسي أو الانجليزي يحكم هـؤلاء المسلمين ومـا بقيت جهود بعض

المفتونين متصلة لنقل القوانين الغربية في الأحوال الشخصية كي تحل محل احكام الاسلام في الزواج والطلاق ..

- ان العودة الى الاسلام تقتضي نبذ كل مظاهر الارتداد عنه ..

- والحرية الكاملة تقتضي تنظيف البلاد من بقايا الاستعمار القانوني ، ومسخ الصبغة الأجنبية التي تقذي العيون في اكثر من مكان « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » سورة النساء ٦٥ .

## هل يتوقف الأعداء عن الحرب

ان بعض الناس يقول : ما نقبل هذه الأحكام المجلوبة من الخارج الا لضرورات ملزمة والضرورات تبيح المحظورات .

ونجيب هؤلاء : بأن طبيعة الضرورة التوقيت لا الدوام .. لكن تحكيم القوانين الأجنبية بالطريقة الشائعة الآن في البلاد الاسلامية امر لا يؤذن بأنها ضرورات تنتهي بزوال قريب أو بعيد ..

والجدل الذي يدور دفعا عنها حينا ، واتهاما للنصوص الاسلامية حينا آخر يدل على أن الاستعمار افلح في خلق طائفة كافرة بالله . متمردة على كتابه .. متبرمة بما أنزل تريد هجره عن تبجح وعمد .

ان تيار الاستعمار حملهم بعيدا عن شاطىء الايمان فما يخطر بأذهانهم ان الحلال بين والحرام بين .

ويتساءل المؤلف الفاضل - في ختام الكتاب - هل يقف خصوم الاسلام عند هذا الحد ؟

ان محاولاتهم لهدم اركان الاسلام لا تنتهي ، وستظل جهودهم متراكضة كي يذودوا الشعوب عنه ويمنعوها انفاذ أحكامه واحياء شعائره .. وأدواتهم لبلوغ هذه الغاية كثيرة ، خفيها اكثر من جليها ، وماكرها أعقد من ظاهرها ..

والهدف الاجهاز على هذا المصحف ، وجعله حبرا على ورق .. أو صدى يذهب في الفضاء ، أو اثرا يودع في المتاحف .

وعلى المسلمين في القارات الست ، وعلى كثرتهم العظمى بين المحيطين الهادى والأطلسي أن يلمسوا هذه الحقيقة ·· فاما عاشوا بدينهم ·· وتحملوا مغارم الكفاح ضد هذا الخصام الملح المصر ، وأما نكصوا على أعقابهم فهلكوا · إلا أن العاقبة للتقوى ، والمستقبل القريب والبعيد للاسلام : دين الله من الأزل الى الأبد » ·



# السِّيَاسَةُ المَالِيَّةُ فِي الإِسْلَامِ

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

ديننا الاسلامي الحنيف هو ـ من غير شك ـ دين البشرية الخالد ، منذ أن أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون خاتمة الأديان ، صالحا لكل زمان ولكل مكان ..

وعلى هذا الأساس شملت تعاليمه السامية كل ما يتعلق بالحياة الانسانية .

وعلى هذا الأساس أيضا كان الاسلام دينا ودولة ، وعقيدة وشريعة معا .. والحق أن شريعة الاسلام السمحة قد أثبتت بما لا يدع مجالا للشك ، بل أثبتت بشهادة المنصفين من الأجانب عنها أنها نظام كامل يستوعب كل الحاجات وكل القضايا بحيث يمكن لكل أمة أن تأخذ به ، وأن تسترشد بهداه ، وأن تعمل بما جاء به من تعاليم ، وأن تسهم ـ عن طريقه ـ اسهاما فعالا في تدعيم البناء الشامخ الراسخ القواعد للحضارة والمدنية ..

وليس من شك في أن التطبيق العملي لمناهج الاسلام في الحكم سواء منها ما يختص بالقضاء أو الادارة ، أو سياسة المال أو غيرها من ألوان السياسات ، ليس من شك في أن التطبيق العملي الصادق لهذه المناهج هو وحده العلاج لما يشكو منه الناس أو تشكو منه الشعوب قاطبة من الفوضى والاضطراب !

وليقل الخصوم : خصوم الاسلام التقليديون وغيرهم ليقل هؤلاء الخصوم ما شاءوا ٠٠ فان الحق هنا أبلج ، والحقيقة عن الاسلام في الحكم ، وفي غير الحكم من سائر امور الحياة ، واضحة ٠

وكتاب اليوم يتناول كما هو ظاهر من عنوانه ، أحد الجوانب الرئيسية الهامة في المنهاج الاسلامي ٠

## السياسة المالية في الاسلام

هذا الجانب الهام ، هو السياسة المالية في الاسلام ٠

والمؤلف الفاضل يحرص على أن ينوه لنا في أول الكتاب ، بأن هذا البحث ليس جديدا على الدراسات الاسلامية ٠٠ فلقد عنى فقهاء المسلمين في مختلف العصور عناية كبيرة بالنظر في كتاب الله وفي سنة رسوله وفي سيرة صحابته ، ليضعوا من ذلك كله قواعد مقررة في كسب المال وفي وجوه انفاقه ، وفيما لله فيه من حق ، وما لعباده من نصيب ، ويتابع كلامه في هذا الصدد ٠٠ إلى أن يقول : فان يكن لهذا الكتاب من غاية فانما هي أن يذكر بأن الاسلام قد أقام بتعاليمه وتشريعاته دنيا قوية عزيزة إلى جانب الدين الكريم الذي أقامه في قلوب أتباعه ، وأن الاسلام لم يكن مجرد دعوة دينية ، بل لقد مكن الاسلام للمسلمين في الأرض ، وأراهم الطريق القويم لعمرانها ورسم لهم مناهج العمل والبناء فيها ، فأقاموا أعظم حضارة عرفتها الحياة ، وسجلها التاريخ وشهدت عواصم الاسلام ، بغداد والقاهرة ، ودمشق ، وقرطبة ، ما لم تشهده عواصم الغرب في هذا العصر من ألوان الحضارة ، وأشكال العمران ، وأسباب الطمأنينة والأمن والرخاء ٠

ولاشك أن المسلمين لم يقيموا دولتهم تلك إلا على أسس راسخة ، ودعائم قوية من ثمرات تفكيرهم وعمل أيديهم ، مستظلين بظل شريعتهم ، مهتدين بأضواء دينهم إذ كان الدين هو الذي أنشأ هذا المجتمع ورباه ، ومكن له في الأرض فلم يكن لهم نظر في الحياة ـ مادياتها

ومعنوياتها ـ إلا من خلال هذا الاحساس الديني العزيز على النفوس ٠

والمال ـ بلاشك ـ كان احد الدعامات القوية التي قامت عليها حضارة العرب ٠٠ وهو الذي تقوم عليه حضارة الغرب وتستند إلى قوته ، وهيهات أن تقوم حضارة ، لا تجعل للمال وزنه وحسابه ، وتقديره في اقامة أسسها ، ودعم أركانها ٠

ثم يقول : هذا ما أردت أن أذكر به في هذا البحث ، ونحن في صبح بعث جديد لأمة العرب وأمجادها ، ليكون من ذلك لرجال الاقتصاد عندنا حافز يدعوهم إلى النظر في التشريعات المالية في الاسلام ، ولينتفعوا بهذه التشريعات فيما يديرون من مباحث الخ ٠٠

## نظرة الاسلام إلى المال

ويتحدث المؤلف فيما بعد في الباب الأول من الكتاب عن نظرة الاسلام إلى المال ، فيقرر أولا أن الاسلام دين الانسانية كلها ، وشريعته شريعة الناس جميعا ، لا يختص طائفة أو أمة منهم بميزة ولا يرتفع بهم على أكتاف الناس ، وإنما الذي يرفع الناس وينزلهم هو عملهم الذي تكسبه أيديهم ، وهذا هو عدل الله بين عباده ٠٠ لهذا لم تكن شريعة الاسلام لتعالج مشكلة طائفية ، أو لتحل أزمة طارئة في شعب من الشعوب ، وإنما جاءت لتعالج مشكلات الحياة كلها ، ولتحل أزمات الانسانية جميعها ، على امتداد الأزمان واختلاف الأمم ٠

والمال أقوى قوة عاملة في الحياة من أجله يتصارع الناس ، وفي سبيله يختصمون ، وعلى مورده يتزاحمون كلهم ظامىء إليه ، طامع فيه ، لا يرتوي وإن شرق به ، أو غرق فيه ٠

## سلطان المال في النفوس

يعترف الاسلام بهذا السلطان للمال على نفوس الناس ، وبهذه المكانة له في قلوبهم ، وبهذا الأثر العظيم في حياتهم ، فلم يقف منه موقف

المستهين به ، المستخف بآثاره ، وإنما قدر المال قدره ، ووضعه الموضع الصحيح له ، فهو نعمة ، وقد يتحول إلى نقمة وهو خير وقد يصير إلى شر ·

## المال أداة لا شر ولا خير

المال في ذاته ليس شرا وليس خيرا ، هو أداة ، خاضعة لمشيئة الانسان ، إن شاء كان نعمة ، وكان فضلا ، وكان رزقا ينال به الطيبات ، ويرعى فيه حق نفسه وولده ، ويؤدي منه حق الله ، وحق العباد ، مثل هذا المال نعمة يباركها الله ، ويبارك على أهلها وإن شاء حول النعمة التي في يديه إلى نار تحرقه وتحرق من حوله حين يذهب به مذاهب السرف والسفه ، ويرد به موارد الاثم والفساد ·

ويمضي المؤلف في حديثه في هذا الباب في تفصيل يستوفي فيه الموضوع ثم ينتقل إلى الباب الثاني ·· فيتحدث عن بيت المال وعن نشأته في الاسلام ، ثم يشير إلى موارد بيت المال في أول عهد الاسلام من خراج ، وجزية ، وعشور تجارة ، وخمس الغنائم والزكاة ·· ويمضي ليتحدث إلينا عن الاجراء الذي كان يتخذه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ثم الشيخان من بعده : أبوبكر وعمر في انفاق هذه الموارد إلى أن تم في عهد الفاروق رضوان الله عليه تدوين الدواوين ·

وينتقل الى الباب الثالث ، وقد خصه بالحديث عن « كسب المال » في نطاق الأموال الخاصة ·· وهنا يقرر أن العمل هو الطريق الطبيعي لكسب المال ، والطريق الذي رسمته الشريعة الاسلامية لكسب المال هو الطريقة الطبيعية للحياة وللاحياء ، لو أنهم جروا على طبيعتهم وأخذوا بالأصلح والأنفع لهم ·

على أن هناك ـ عدا العمل ـ وسائل اخرى للكسب ، يشير اليها المؤلف ، ومن هذه الوسائل الميراث ، والوصية ، والهبة ، والقرض ، وغيرها ·

وقد دعا الاسلام إلى العمل في الحياة ٠٠ والناظر في الشريعة الاسلامية يرى فيها أن العمل ضرب من العبادة ، وأن الانسان ما خلق إلا ليعمل ، فان عبدالله فهو عابد ، وان سعى في رزقه فهو عابد !

وليس للعمل ومجالاته حدود في شريعة الاسلام ، فكل عمل يبلغ بالانسان غاية فيهادفع له ، وليس فيها إضرار بغيره هو حل مباح يذهب فيه المرء كل مذهب ، ويجيء إليه من كل سبيل ، في الأرض ، وفي البحر ، في التجارة ، وفي الزراعة وفي الصناعة ، في كل شيء ، وفي كل وقت ، وفي كل مكان ، منفردا أو مشاركا غيره ، عاملا أو صاحب عمل ٠٠ لا حدود ٠٠ ولا قيود ٠

وحين نستعرض موقف الاسلام من أعمال الناس في شؤون الحياة نراه لا يتدخل فيها إلا بقدر ، وفي أضيق الحدود ، يضع مبدأ عاما يسير الناس على هديه ، ويبصرون به عثرات الطريق ، ثم هم بعد هذا وشأنهم ، يذهبون في كل مذهب يرون فيه مصلحتهم ، يقول الله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » هذا هو الأصل العام لحركة التبادل بين الناس ، البيع حلال في جميع صوره وأشكاله وأجناسه ، والربا حرام في جميع صوره وأشكاله وأجناسه ٠

فليبع الناس ما شاءوا ، وليشتروا ما أرادو حسب ما جرى عليه العرف بينهم ما لم يجيء ذلك على صورة توقع الضرر بأحد المتبايعين لأنه جاء حينئذ على غير الطريق الطبيعي المألوف !

كذلك العقود التي تتم بها عملية البيع والشراء وتبادل المنافع بين الناس لم تتدخل الشريعة فيها إلا في الحدود التي تتم بها المنفعة ويتحقق بها صالح الطرفين المتعاقدين ٠

وقد تواضع الناس فيما بينهم على أن يحترموا ملكية المالك لما يملك ٠٠ ولكن ما أكثر ما يبغى الناس على الناس ٠٠ لهذا اقتضت حكمة الشريعة الاسلامية أن تتدخل في هذا المعترك الانساني وأن تنظم

دورته ، وتحفظ توازنه من أن تطغى عليه حمى العدوان ٠

والتربية السليمة الناجحة هى التي تقيم في النفس وازع الضمير ٠٠ ليكون إلى جانب وازع السلطان الذي يقيمه المجتمع بقوانينه وأحكامه وحكامه فاذا غفل وازع السلطان ـ وكثيرا ما يغفل ـ قام وازع الضمير ، واذا فتر وازع الضمير ـ وما أكثر ما يفتر ـ كان من وازع السلطان ما يملأ هذا الفراغ ولو إلى حين !

## الوازع المادي والوازع النفسي

والوازع المادي الذي أقامه الاسلام إلى جانب الوازع النفسي ـ وازع الضمير ـ وازع حكيم ورحيم معا ٠٠ وسنرى عند عرض الحدود التي أقامها الاسلام لحماية الملكية ، والمسلك العملى الذي سلكه الرسول وصحابته في اقامتها سنرى في هذا كيف قامت الرحمة مقامها الكريم إلى جانب الحكمة في الحدود التي أقامها الاسلام !

فالسرقة من الجرائم الغليظة التي رصد لها الاسلام عقوبة رادعة وهي قطع اليد لأن السارق قد امتدت يده هذه بالبغى والعدوان على مال غيره ٠٠ وقد اتهم بعض أعداء الاسلام هذا الدين بأنه دين بداوة ووحشية لا يصلح للمجتمعات المتمدينة الراقية ، وكان قطع يد السارق مطعنا من مطاعنهم في هذا الدين ٠

وكذبوا ، وضلوا ، فما الاسلام إلا دين الانسانية الرشيدة السليمة التي يخدش ضميرها ما يخدش الضمير الحي السليم !

والذين نفروا من عقوبة القطع في السرقة واستبشعوها ، قدروا أنهم سيرون حين تمضى هذه العقوبة مجتمعا مشوها يتلفت المرء فيه فيرى أيديا مقطعة في كل مكان ٠٠ وهذا لاشك حساب خاطىء ، فلو أقيم حد السرقة كما شرعه الاسلام لما كان هذا العدد الكبير ممن يحترفون السرقة ويقدمون عليها ، ولكان في هذه العقوبة زاجر يزجر معظم الذين يقترفون هذا الذنب ويعاودون اقترافه المرة بعد المرة ٠٠ ولا نذهب في

هذا بعيدا فنروى عن التاريخ ، وننقل مـا سجلته صحـائف الاسلام الأولى عن أثر هذه العقوبة وقهرها لجريمة السرقة قهرا يكاد يكون تاما ، لا نروى من التاريخ ، وحسبنا أن نشير بالأصبع إلى الجزيرة العربية الآن ، وكيف قضت هذه العقوبة على جرائم السرقة فيها قضاء محققا ، وأقامت أعراب البادية على سواء السبيل ، فلا تمتد يد أحد منهم إلى ما ليس له ، ولو كان القناطير المقنطرة من الذهب ملقاة في العراء ، لا رقيب عليها ، ولا حارس يحرسها ، ومن أراد أن يجرب فليفعل ٠٠ وليترك ما معه من مال ومتاع في أي مكان من الجزيرة العربية ، انه سيجده حيث تركه ولو انقضت أيام وأيام ٠٠ ومع هذا فليس في الجزيرة العربية هذا التشويه للآدمية ٠٠ الذي ينفر منه أولئك الذين اتهموا الاسلام بالغلظة والجفاء ٠٠ فقد يمضى العام ولا يقام حد السرقة في الجزيرة العربية كلها إلا على آحاد من الناس يعدون على أصابع اليد الواحدة ٠

إن الجزيرة العربية اليوم أعظم شاهد ، وأوضح دليل على أن شريعة الاسلام هي شريعة السماء لا تنقضها الأيام ، ولا تحولها الأحوال عن أن تؤتي ثمرتها الطيبة التي أودعها الله فيها في كل زمان وكل مكان ، فلن ترى المدنية الغربية ، ولن ترى الحياة أبدا أمنا كهذا الأمن الذي يسود الجزيرة العربية ٠٠ ولن ترى سلوكا أقوم من هذا السلوك الذي استقام عليه سكان هذه الصحراء الذين لم يمارس أهلها دراسة الفلسفات ٠٠ ومع هذا فقد أقام فيهم أدب الشريعة ازاء جريمة السرقة خاصة أدبا لن تعرفه مدنية أوربا وأمريكا !

وقد اعترف الاسلام برأس المال كقوة عاملة في الحياة ، لأنه باعترافه هذا إنما يقرر واقعا من واقع الحياة الذي اقتضته مصلحة النـاس ، واستقامت عليه أمورهم وما كان لشريعة الاسلام أن تشق على الناس ، وتقطع ما بينهم وبين الحياة من أسباب !

وقد فرض الاسلام الزكاة في الأموال اذا حال عليها الحول في يـد صاحبها وكانت زائدة عن نفقته ونفقة عياله ٠٠ ونظم عملية الدين ،

وحرم الربا ·· وكل هذه الأمور لا تقع إلا حيث يكون المال فائضا في يد أصحابه زائدا عن الحاجة ، فتخرج عنه الزكاة ، أو ينال منه المحتاجون بالقرض الحسن ··

كما أباح الاسلام المضاربة في التجارة ، والمزارعة والمساقاة في الزراعة وهي كلها عمل ، ورأس مال ·

## وجهة النظر الاسلامية في المعاملات الحاضرة

وفي الباب الرابع من الكتاب يتحدث المؤلف عن المعاملات المعاصرة وصلتها بالربا ·· وهو يقرر هنا أن المشكلة القائمة الآن في الحياة من وجهة نظر الشريعة الاسلامية هي الربا ، الذي استقر في المجتمعات غير الاسلامية استقرارا يكاد يكون تاما لا يشعر المتعاملون به بأى أثر من الحرج الديني أو الانساني فهو عملية من عمليات التجارة سواء بسواء ·· وهيهات أن يصد الناس صاد عن هذا اللون من المعاملة ، لقد ارتبطت به حياتهم وقامت عليه جوانب كثيرة من كيان الاقتصاد العالمي ·

أما المجتمع الاسلامي ، فان شريعته صريحة في تحريم الربا ، وفي تغليظ جريمته ووضعها فوق الجرائم والكبائر ، فكل مسلم يعلم أن الربا محرم عليه ـ آخذا أو معطيا ـ وأنه حين يقع في هذا المحظور فانما يكون قد خرج على أوامر دينه ولم ينته عما نهى الله عنه ·

ويفيض المؤلف في هذه الناحية من نواحى الموضوع بما لا يتسع له المجال هنا ·· كذلك نراه يتناول في اسهاب وفي تركيز ألوانا عديدة من المعاملات المستحدثة كأعمال البورصة ·· والبنوك ·· والشركات ·· وشركات التأمين ·· ثم يتكلم عن الاحتكار ·· ويصفه بأنه اعتداء على حق الجماعة وتهديد لحياتها وأن الشريعة الاسلامية أباحت لولي الأمر أن يضرب على يد المحتكر ويعزره بما يرى ، وأن يبيع عليه ما احتكر بالسعر المناسب ·

ويقول عن التسعير انه من الامور التي نظر فيها فقهاء المسلمين ، واختلفوا فيها ·· وهل يجوز أم لا يجوز فذهبت أقلية منهم الى منعه ·· أخذا بظاهر الحديث الشريف"[1]" وقال معظمهم على أنه لم يكن نهيا عاما وإنما هو لحالة خاصة لم ير النبي صلى الله عليه وسلم علاجها بالتسعير ·

وفي هذا ·· يقول ابن القيم : « وجماع الأمر أن مصلحة الناس اذا لم تتم إلا بالتسعير سعر عليهم تسعير عدل لا وكس ولا شطط"[2]" ·

ثم ينتقل المؤلف الى الباب الخامس ليتحدث لنا فيه عن « انفاق المال » ويقرر هنا أن الاسلام إذ رسم الخطوط العامة لكسب المال من طريق مشروعة مستقيمة ·· فانه رسم الخطوط الأولى أيضا لانفاقه في سبل مشروعة مستقيمة ، يؤدي فيها المال مطالب الحياة الطيبة الكريمة لاصحابه فيسعدهم ويسعد من حولهم ·

والمبادىء العامة التي وضعها الاسلام لأصحاب الأموال هي :

أولا : تطهيرها بالزكاة ، وهذا حق الله ، وحق العباد الذين جعل الله حصيلة هذه الزكاة للانفاق عليهم منها ·

ثانيا : الانفاق على الأهل والولد ، وذوى القربى بقدر ما يسمح به المال وفي الحدود التي أباحها الشارع الحكيم ·

ثالثا : الصدقة الموصولة على اصحاب الحاجات من الفقراء والمساكين ·

رابعا : توجيه الفائض بعد اداء هذه الحقوق فيما ينفع الصالح العام ·· وينمى هذا المال ·· وذلك بتثميره في المشروعات النافعة في ميدان الصناعة ، أو التجارة أو الزراعة ، أو غيرها ·

---

(١) روى أنس بن مالك قال : غلا السعر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لو سعرت لنا ، قال : ان الله هو القابض الرازق الباسط المسعر وانى لارجو أن القى الله ولا يطالبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال ·· رواه أبوداود والترمذي وصححه ·

(٢) الطرق الحكمية ٢٦٤ ·

وقد يتأول بعضهم ـ بالنسبة للزكاة ـ بأن ما يؤدونه من ضرائب وعوائد وغيرها انما تحل محل الزكاة التي فرضها الاسلام ٠٠ وهو تأويل فاسد ٠٠ اذ الزكاة مصرفها : الفقراء والمساكين وغيرهم من الأصناف التي ذكرها القرآن الكريم وهو حقهم الذي أوجبه على الاغنياء ٠٠ أما الضرائب التي تؤدى فانها تؤدى في مقابل خدمات عامة يعود أكثرها على دافعيها لصيانة الأمن في الداخل ، ودفع العدو من الخارج ، واقامة مرافق التعليم والصحة وانشاء الطريق الى غير ذلك مما ترعاه الدولة ، وتفرض له ضرائب تزيد وتنقص حسب حاجتها ٠٠ ان المجتمع الاسلامي يؤدى هذه الضرائب كما تؤديها المجتمعات غير الاسلامية ٠٠ وتبقى الزكاة بعد هذا ، شريعة من شرائع الاسلام ، وحكما من أحكامه ، لرعاية جانب كل ضعيف في المجتمع ، وهو جانب الفقراء والمساكين ومن اليهم ، وبهذا يظهر التكافل الاجتماعي ، وتظهر انسانية هذا الدين ، وفلسفته العميقة القائمة على وصل طبقات المجتمع ببعض ٠٠ بصلات الرحمة والمودة والاحسان ،

## نحو اقتصاد اسلامي

ونصل إلى الباب السادس ، آخر فصول الكتاب ، وقد جعل المؤلف عنوانه « نحو اقتصاد اسلامي » ٠٠ وفيه يقول :

الدعوة التي يدعو إليها كثير من زعماء المسلمين لتحرير الاقتصاد الاسلامي من تبعية الغرب دعوة رشيدة تحمل في طياتها أكثر من معنى كريم من معاني السيادة والعزة ، إلى ما تحمل من تصحيح المشاعر الطيبة التي أفاضها الاسلام على اتباعه ، إذ ربط بعضهم ببعض بروابط الرحمة والايثار ، وجمعهم على الألفة والمودة ٠

فليس مما يصح به وجودنا أن نتحرر من أغلال الاستعمار ، وأن

تجلو جيوشه عن أوطاننا ٠٠ ان ذلك وحده لا يعطى معنى التحرير الذي تنشده الأمم التي تريد أن تلقى ركب الحياة وتأخذ مكانها فيه !

لابد من أن نضم إلى هذا التحرير ـ لكي نثبت أقدامنا في الحياة ـ التحرير من النظم والتقاليد الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية التي نقلناها عن الغرب ٠٠ واتخذناها دستورا لنا في مختلف شؤوننا فذلك هو الذي يرفع الحواجز التي أوهنت الصلات التي بيننا وبين تراثنا العريق ، وهو الذي يرينا في شريعتنا الخير الذي رآه فيها أسلافنا والذي مكن لهم في الأرض وأوسع لهم في مجال الحياة ، وأنزلهم منازل العزة والسيادة فيها :

فليست الدعوة إلى اقتصاد اسلامي دعوة إلى عصبية أو نداء الى طائفية ، وإنما هي دعوة إلى تصحيح أوضاع ، وإلى اعادة مجد وإلى استرجاع حق ، وإلى نصرة عقيدة !

قد يفهم بعض الناس غير هذا ٠٠ وقد يبدو لقائلهم أن يقول : ان هذه الدعوة ان لم تكن عن عصبية ، أو طائفية ، فهى عن فهم خاطىء لأوضاع الحياة في هذا العصر ، الذي تشابكت فيه الأمم وترابطت مصالحها ، وتلك دعوة انعزالية ، تحرم المجتمع الاسلامي ثمرة التعاون والتبادل بينه وبين بقية الأمم ٠

ومن قال هذا ؟

اننا لا ندعو إلى عزلة ، ولا الى جفوة وقطيعة ، وإنما الذي ندعو اليه هو شيء يتعلق بنا كمجتمع له دين ٠٠ ولهذا الدين شريعة لها مبادئها وأحكامها التي يقيم عليها اتباعه ، ومن حق هؤلاء الاتباع أن ينزعوا المنزع الذي يرتضيه دينهم ، وتدعوهم إليه شريعته ، فاذا اتجه المجتمع الاسلامي الآن إلى احياء أمجاده ، وبعث تراثه ، وتصحيح عقيدته فانما يتجه إلى كل أولئك ، وليس في تفكيره هذه التصورات الخاطئة التي يتخرص بها أولئك الذين لا يرجون لهذا المجتمع خيرا ، ولا يريدون له أن يخلص من تبعية الغرب ووصايته ٠



# خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر

الدكتور محمد البهي

عالم اليوم ـ كما نشهد كلنا ـ ملىء بالازمات ·· في السياسة والاقتصاد ·· وفي غير السياسة والاقتصاد ·· تعاني المجتمعات المعاصرة ، اشكالا وألوانا من هذه الأزمات ··

وليست أزمة الشباب ـ وهي الموضوع الرئيسي في هذا الكتاب ـ سوى واحدة من أهم هذه الأزمات القاسية المريرة ··

وليس من شك في أن أزمة الشباب هذه ـ كما تبدو لكل متابع ـ أزمة عالمية ·· فكما هي في الغرب ، كذلك هي في الشرق ·· والصورة واحدة ، مع بعض الاختلاف ·· وان تنوعت الأسباب ··

وقد تكون الأسباب في الغرب ـ عندما نتأمل الواقع الملموس في الغرب ·· أمرا طبيعيا ليس منه بد ·· ومن هنا اختلاف أسباب أزمة الشباب هناك ، عن أسبابها في بلاد أخرى ·· وخاصة في البلاد الاسلامية ··

أسبابها في الغرب معروفة ـ لا يجادل فيها أحد ـ وهي في نفس الوقت ، من صنع الغرب نفسه ·· فليست هي دخيلة عليه ، أو وافدة اليه من خارج حدوده ·· أما فيما عدا الغرب ـ وأنا اعني هنا الشرق الاسلامي دون سواه ـ فالأمر مختلف جدا ·· اذ أسباب الازمة لم تنبت في تربته قطعا · ولم تكن نابعة من طبيعة فكره ، ومنهاجه في الحياة ·· بل هي وافدة اليه متطفلة على مائدته ·· ومع كل أسف

باضت وفرخت في معظم أرجائه ، وبكل ما تملكه من عنفوان ، أصبحت تشكل خطرا ، لا يقل مهما اختلفت مظاهره ، عن أفدح الأخطار في العالم الاسلامي ··

كيف وفدت هذه الأزمة الى مواطن الشباب المسلم ؟··

كيف سرت عدواها ؟ ثم ما هي القوى التي تقف وراءها صامدة ، في العلن أو الخفاء ؟ ثم ما هو العلاج ـ وهذا هو الأهم ـ لأزمة الشباب في العالم الاسلامي ؟!!

ذلك ما نوجزه عن هذا الكتاب ·· وقد وضعه باحث مفكر معروف مشهود له بسعة الاطلاع وبعمق نظرته في معالجة أهم القضايا الحاضرة في عشرات من أمثال كتابه هذا الفريد ··

في كتابه هذا ، خمس رسائل ـ كما ينص عنوانه ـ ولم يكن بد من أن نختار للعرض واحدة منها ·· لسببين : الأول أنها أهم هذه الرسائل في الواقع ·· والسبب الثاني أن مجالنا المخصص هنا ـ كما هو ملحوظ ـ لم يكن ليتسع لأكثر من رسالة :

## « العالمية ·· والشباب المسلم »

وهي الرسالة الأولى : في الكتاب ···

ظاهرة العالمية ·· أو ظاهرة الصهيونية العالمية ـ وهي ظاهرة الأقلية في أي مجتمع إنساني ـ هي ظاهرة التفوق في جمع المال واكتنازه ·· وظاهرة التفوق في تحصيل العلم والمعرفة الانسانية ··

فاليهود اتجهوا الى شعوب عديدة للاستيطان بينهم · وكان عليهم لكي يعيشوا ويضمنوا مستقبلهم ـ بفعل الغريزة الانسانية في المحافظة على البقاء

ـ أن يدخروا المال من جانب ، وأن يقبلوا على التعليم ويتفوقوا فيه من جانب آخر ··

وهذه وتلك ليست خصيصة اليهود كعنصر ·· وانما ما تدفع اليه الغريزة الانسانية فيمن يحس في نفسه أنه مهدد بالخطر لانتمائه الى أقلية ·· وبالأخص اذا كانت مفرقة ، ومستضعفة أو مستذلة ··

فاستضعاف الأقلية اليهودية في كل مكان واستذلالهم من الكثرة التي يقيمون بينها خلقت فيهم جميعا روحا موحدة متوارثة في أجيالهم العديدة المتلاحقة ·

وهي روح الترابط فيما بينهم على أساس العادات التي كانت للمجتمع اليهودي بالاضافة الى الميل الى جمع المال والاعتزاز به والى الرغبة في التعليم والدراسة ··

فهذه الروح اليهودية الموحدة هي :

١ ـ من جهة روح محافظة على الدين والتقاليد اليهودية ··

٢ ـ ومن جهة اخرى : روح ساعية أو روح تقدمية في جمع المال وكنزه ·· وفي التفوق العلمي والفكري ··

وهذه الروح اليهودية الموحدة كانت الطابع في أي مكان توجد فيه أقلية يهودية في العالم · وبذلك كانت لها صبغة عالمية ، أي ليست في مكان دون مكان ، بل في العالم كله ·· أينما يوجد نفر من اليهود ، قل عددهم أو كثر ··

وعن هذه الروح اليهودية العالمية نشأ التفكير في الدفاع عن النفس ، أو في عدم التعرض لخطر الابادة أولا ، ثم للاستذلال والاستضعاف ثانيا · باعتباران اليهود قلة في كل شعب في العالم ··

ولابد على الأقل لتحقيق هذا الهدف أن تكون هناك في هذه الشعوب ، روح مسالمة بالنسبة للأقلية اليهودية أو تعايش سلمي لليهود بين شعوب العالم ·

وطريق هذا الهدف هو دفع الشعوب إلى « العالمية » بدلا من العصبية الدينية أو القومية ·· وهو دفع الشعوب إلى ما يسمى « باللانسانية »

فوق « العنصرية » سواء أكانت عنصرية الدين أو عنصريـة الجنس والقوم ··

## السبيل إلى تحقيق العالمية

فعملت الروح العالمية اليهودية بما يملك اليهود من طاقات الأموال المكتنـزة عن طريق الربـا ·· أو طريق الاستغـلال السليم أو غـير السليم ·· وبما تملك كذلك من طاقات الفكر ·· ووسائل الترويج له في النشر وغيره على التخطيط لجمعيات « سرية » وتمويلها بوسائل مختلفة لخلق « الوعي العالمي » وإشاعته في كل شعب من شعـوب العالم ·· ومحاولة التقليل من أهمية الدين أو الجنس في توجيه الانسان · وفي اتخاذه مواقف معينة في قضايا عنصرية : دينية أو وطنيـة من زاوية عالمية أو إنسانية ··

## الماسونية ·· البناءون الأحرار :

وكانت أهم هذه الجمعيات السرية نشأت في القرن الثامن عشر في لندن ·· ثم انتشرت كجمعية دولية في العالم ·

وما يملك اليهود من طاقات المال زاد أمره بعد الثورة الصناعية منذ القرن الثامن عشر وزاد نفـوذه على التـوجيه السيـاسي والاقتصادي والثقافي ·· فكان « رأس المال » ونظامه في الحكم · وكانت « العلمانية في صحبته » ·· وهي سبيل آخر لتنمية الوعي بالعالمية ··

عـلى حساب الدين والقـوميـة ·· والدين هـو المسيحيـة أولا ·· وبالذات في عالم الصنـاعة ونـظام رأس المال ، ثم الاسـلام في البلاد المستعمرة لحساب الصناعة الاوروبية ورأس المال اليهودي المستثمر في تلك الصناعة ·

واتجاه « العلمانية » هو اتجاه توجيهي تربوي وثقافي وفكري · بينما

اتجاه « الماسونية » سياسي وعلى مستوى التنفيذ في الأجهزة المختلفة لأية حكومة في شعب من شعوب العالم ٠٠

***

وجاء القرن التاسع عشر بتفكيره المادي ٠ وبصناعته المادية ، وبنظامه الرأسمالي الاقتصادي وما يتبعه من علمانية تعمل في هدوء وتريث على إضعاف القيم الدينية والقومية ، ولم ينته هذا القرن حتى أصبح تفكير ماركس اليهودي له من الأنصار ما يكفي لعقد الندوات العالمية لبحث تنفيذه كمنهج للحياة والسلوك ٠ وكأسلوب لنظام حكمه ٠٠

***

وعندما بدأ شيوع فكر ماركس ٠٠ وأحس اليهود بقوة أثرهم على « الوعي بالعالمية » في مجتمعات البشرية كافة ٠٠ اجتمع بعض زعمائهم في مدينة « بازل » في سنة ١٨٩٧م لوضع هدف آخر لليهود عامة ، بجانب « التعايش السلمي » في العالم ٠٠ فوضعوا هدف إنشاء « وطن قومي » على « صهيون » وهو التل أو الجبل المشرف على القدس ٠٠ ويرمز به الى أرض الآباء والأجداد ، ومملكة الله في فلسطين ٠

ومنذ ذلك الوقت أخذت اليهودية العالمية طابع الصهيونية العالمية ، وأصبحت الصهيونية شعارا على تحقيق الوطن القومي ، أو انشاء « اسرائيل » في فلسطين ٠٠

ولكن ٠٠ لكي يتحقق الوطن القومي ، أو يتحقق إنشاء اسرائيل ، لا تكفي وسائل « العالمية » التي سلكتها الآن ٠٠ وهي « الماسونية » و« العلمانية » لانها وسائل هادئة وبطيئة ٠٠

فليوضع تفكير كارل ماركس الراديكالي بالنسبة للدين والقومية موضع التنفيذ ٠ في نظام حكم سياسي واجتماعي حتى يكون معولا آخر

قويا ٠٠ وإن كان دمويا ومكشوفا ٠٠ ولا إنسانيا ٠٠ وليتناول طبقة اخرى لا تتناولها العلمانية والماسونية ٠

لانه إذا كان طريق العلمانية ينفذ إلى الطبقة الوسطى ، وهي طبقة البورجوازيين من المثقفين والشباب ٠٠ بحكم أنها اتجاه ثقافي يقلل من شأن الدين في التربية والتوجيه ٠٠

وإذا كانت الماسونية للطبقة العليا من السياسيين ورجال الأعمال والفكر ٠٠ فطريق الماركسية ينفذ إلى الفلاحين والعمال ٠٠ وهم أكثر الأفراد في المجتمع اتصالا بالايمان بالله ٠٠ بالمحافظة عليه ٠٠ كي يتخلخل هذا الايمان في نفوسهم ٠٠ تحت ادعاء أنهم مستغلون ومظلومون والدين في ذاته مخدر ٠٠ والأخلاق التقليدية وضعتها الطبقة البورجوازية لصاحب الأموال ٠٠

وتركيز الماركسية على الفلاحين والعمال ليس تركيز عطف وحنان عليهم ٠٠ وإنما هو تركيز قصد منه خلعهم من الايمان بالله ٠٠ وتحطيم القيم الدينية والأخلاقية والانسانية في نفوسهم ٠٠

● وبهذا تصوب الصهيونية العالمية معول هدم الدين والقيم الأخلاقية عن طريق « الماسونية » ٠٠ إلى طبقة السياسيين ورجال الأعمال والفكر ٠٠

● وعن طريق « العلمانية اللادينية » إلى الطبقة الوسطى من المثقفين والشباب ٠٠

● وعن طريق الماركسية الراديكالية إلى طبقة الفلاحين والعمال ٠٠ والحكومة العمالية العالمية هي إغراء وخداع للعمال والفلاحين ووسيلة في الوقت نفسه لاحلال « العالمية » محل الدين والقومية في نفوس هؤلاء العمال والفلاحين ٠٠

وبذلك يسير اخطبوط الصهيونية العالمية عن طريق العلمانية والماركسية في جميع مستويات المجتمع الانساني - وفي مستويات

الشباب والمثقفين والعمال والفلاحين ·· بعد أن يطيح هذا الاخطبوط بمن هم فوقهم ممن يسمون الرأسماليين والمستغلين أو بمن هم من الأشراف والاستقراطيين ··

● والعلمانية اذن ·· لا تستهدف تنوير الانسان ، بقدر ما تستهدف إضعاف القيم الدينية والأخلاقية في توجيهه ··

● والماركسية الراديكالية لا تستهدف تحقيق العدل الاجتماعي في توزيع الثروة ·· ولا زيادة الانتاج فيما تملكه الدولة بقدر ما تستهدف تحطيم القيم الدينية والأخلاقية والوطنية في توجيه العامل والفلاح ، عن طريق التحكم في الاقتصاد القومي ·· إذ أنها في الملكية العامة تستهدف الابقاء على الحرمان والفقر ·· لصالح الحكم الاستبدادي في تحطيم القيم الدينية والأخلاقية والوطنية ··

## أثر العالمية في توجيه السياسة الدولية ··

● ان الصهيونية العالمية - وهي الروح اليهودية العالمية التي تتمثل في السيطرة على رأس المال في العالم - دفعت الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة معا في مساعدة تركيا أتاتورك العلمانية اللادينية واللاإسلامية ··· تمهيدا لقيام دولة إسرائيل على أرض **الميعاد** ··

● ودفعت أيضا هاتين الدولتين الزعيمتين إلى الاتفاق في سبتمبر ١٩٣٩ - ١٩٤٥ على الحرب ضد « هتلر » للتخلص من نظامه ومن عدائه لليهود ·· وإثارته موجة العداء ضدهم في أوربا وأمريكا مما يشجع على إضعاف فكرة التعايش السلمي لليهود في العالم ·· وهو هدف بجانب قيام دولة إسرائيل على أرض **الميعاد** ، للصهيونية العالمية ··

● ودفعتهما انذاك للاتفاق فيما بعد الحرب العالمية الثانية على إقامة عالمية تلحق بها منظمة للعلوم والثقافة والتربية تستهدف تحقيق

« الروح العالمية » بين الأمم والشعوب عن طريق العلم والثقافة والتربية ..

● ودفعتهما أيضا للاتفاق عام ١٩٤٨ داخل المنظمة الدولية العالمية على قيام دولة اسرائيل على أرض **الميعاد** ، تحقيقها للهدف الثاني من أهداف الصهيونية العالمية ..

● ودفعتهما كذلك في نوفمبر ١٩٦٧ على الاتفاق على قرار مجلس الأمن الذي يسعى لأمن إسرائيل وإزالة العقبات في حركتها في الملاحة ، وفي المنطقة كلها بجانب الاعتراف بوجودها وكيانها ..

***

وما ظهر بين الاتحاد السوفيتي باعتباره زعيما للكتلة الماركسية العالمية .. والولايات المتحدة باعتبارها زعيمة للدول الرأسمالية من خلاف أيديولوجي اجتماعي يدعو إلى عدم المهادنة في مطاردة الاولى للثانية .. انتهى بتعديل سياسة الأولى وتحول عدم المهادنة إلى « تعايش سلمي » بين الكتلتين ..

وتحرص الصهيونية العالمية أشد الحرص على عدم وقوع تصادم مسلح بين الدولتين الكبيرتين وإن وقع بينهما احتكاك سياسي ..

## وللاتحاد السوفيتي هدف ..

والاتحاد السوفيتي ـ فيما يظهر به من عطف على العرب في النزاع القائم في الشرق الأوسط ـ يعطي الدليل أيضا على ما يوحي به منطق الصهيونية العالمية من وجوب استقرار إسرائيل على أرض **الميعاد** في الشرق الأوسط .. عن طريق تحطيم القيم الدينية في المجال الذي تعيش فيه .. وهي قيم الدين الاسلامي ..

وأزمة الشرق الأوسط ليست هي الأزمة بين اسرائيل والبلاد العربية ، وإنما هي أزمة الايمان بالله ·· أزمة الاسلام في وجوده وفي بقائه في هذه البلاد ·· فالأزمة باقية في ظاهرها بين إسرائيل والعرب ، وفي حقيقة أمرها هي بين أمن إسرائيل ووجود الاسلام ··

## ما ترك للشباب المسلم اليوم في يومه ·· من أمسه

ما ترك للشباب المسلم اليوم من أمسه ·· هو صورة باهتة ·· أو ضعيفة عن الاسلام !

● فالشباب المسلم اليوم له منطق خاص في قبول أو في رفض ما يعرض عليه ·· تكون هذا المنطق تحت تأثير أساليب الثقافات العديدة والمتنوعة ، وبالأخص الوافدة منهما ·· إنه يعيش في حياة تكاد تختلف تماما عن حياة آبائه وأجداده في الحضارة الصناعية والالية ·· ووسائل الخدمات العامة ··

● وبجانب هذه الصورة الباهتة أو الضعيفة التي يعرض بها الاسلام من المسلمين للشباب المسلم اليوم قد يقع نظره على صورة اخرى للاسلام ··

وهي صورة مشوهة رسمها مفكرو الغرب في شرقه أو غربه عنه ·· والهدف من رسمهم لهذه الصورة المشوهة له ·· هو خلخلة القيم الاسلامية والايمان بها ·· تمهيدا لتثبيت قيم اخرى ·· وإيمان باديولوجية تختلف عن الاسلام مكان قيمه في نفوس الشباب المسلم اليوم ·

وتلك الصورة الضعيفة أو الباهتة عن الاسلام ·· من شأنها الا تخلق إيمانا في نفسه ·· فضلا عن أن تزيد الايمان في نفسه ·· إن لم توح له **بنفرة** منه ·· وباتخاذ موقف عدائي تجاهه ··

● كما ترك لهذا الشباب المسلم المعاصر من امسه : صراع سياسي في مجتمعاته لا يمزق وحدته فحسب ·· بل يبقى مع ذلك على التخلف

والخـرافـة فيهـا ٠٠ فـالصـراع السيـاسي يستنفـد النشـاط كله في اللجاجة ٠٠ أو في التوجه السياسي من أجل الحكم والتسلط عن طريقه على الأقل للجاه ٠٠ إن لم يكن لتحقيق أهداف شخصية منه ٠٠

والمجتمعات الاسلامية المعاصرة ـ بعد استقلالها السياسي بصكوك من المستعمر لها ٠٠ لم تبدأ الطريق السليم في قيادتها ٠٠ وهو الطريق الذي يأخذ في اعتباره تاريخ المجتمع ومقوماته من عقيدة ورسالة له منذ قيامه إلى وقت استقلاله ٠٠ والاستقلال السيـاسي لذلك كان فـاصلا زمنيـا ٠٠ وليس حدثـا في تغيير اتجـاه هذه المجتمعـات ٠٠ وتأكيـد استقلالها على أساس من العوامل المشتركة فيها بين الأفراد ٠٠

فقـد سارت هـذه المجتمعـات امـا في نفس الطريق السـابق عـلى الاستقـلال ، أو انتقلت إلى « تبعية اخـرى »٠٠ تبعيـة اقتصـاديـة واجتماعية وقيادية تضاد تماما تاريخ المجتمع المسلم ومقوماته ٠

***

والمجتمعات الاسلامية قد شهدت قبل الأستقلال السياسي ، نزاعا أيديولوجيا من نوع آخر ٠٠

بسبب مزاحمة ٠٠ العلمـانية ٠٠ التي جلبهـا المستعمر معـه ٠٠ للاسلام في مبادئه وفي نظامه الاجتماعي والسياسي ٠٠

● والاسـلام لم يفرغ بعـد ٠٠ حتى بعد الاستقـلال السيـاسي من مخاصمة « العلمانية »٠٠ وطردها من واقع المجتمع الاسلامي في أي مكان تشبثت بالبقاء فيه ٠٠

● وهنـا في المجتمـع الاسـلامي المعـاصر ٠٠ يسـد الطريق ـ أمـام الاسلام ـ مع ضعف الصورة التي يعرض بها ٠٠ حتى لا يراه الشباب المسلم في يومه ٠٠

خصومة أيـديولوجيـة عنيفة ٠٠ تشتـرك فيها ضـده : العلمانيـة السابقة على الاستقلال السياسي ٠٠ والمادية والالحادية اللاحقة لهذا

الاستقلال ·· إسلام ضعيف أو مشوه في عرضــه ·· وعلمانيــة ·· متشبثة بمواقعها في نفوس المتتلمذين عليها من قادة الفكر في المجتمع ، وفيما يحشد لها من طاقات متنوعة ··

ومادية جامحة ·· لا تعرف عن الانسانية الا جسم الانسان وبدنه ، ولا تعرف من أهداف الحيــاة للانسان ·· إلا « لقمــة العيش » التي يتسول من أجلها ولا من القوة إلا تلك التي تحمل على الطاعة في نفاق ·· أو في إكراه ·· هذه الثلاثة تضع الشباب المسلم في يومه ليس موزعا عليها فقط ·· بقدر ما هو ممزق في نفسه ·· فلا يستطيع أن يستجم مع طاقتها ليتبع واحدة منها ·· فيبقى مستسلما ·· ثم يتحول إلى غــير مسؤول في شعوره ·· وإلى عديم المبالاة في مواقفه ··

## أزمة سلوك ·· وأزمة فكر ·· يعيشها الشباب المسلم اليوم

● إنه في أزمة ·· وأزمته هي أزمة سلوك ·· وأزمة فكر ·· وأزمــة توجيه ··

● انه يوجد في متاهة الاتجاهات المختلفة ، إنه مشدوه ، ومنجــذب ، ومدفوع دائما إلى ما يعارض بعضه بعضــا ، ويكذب بعضــه بعضا ، ويخاصم بعضه بعضا ··

● إن الحسن أمامه ليس متميزا بوضوح ·· وإن الطبع يأخذ صورا عديدة فلا يستطيع أن يقف عند واحدة منها ·· فالصهيونية العالمية وراء أزمة الشباب ·· إن أزمة الشباب هي أزمة في القيم الانسانيــة العليــا ·· التي هي قيم الدين ·· أو قيم الوطن ·· وهــذه القــيم الانسانية العليا في تحطيمها ـ أو على الأقل في التوهين منها ـ هدف هذه الروح العالمية اليهودية ·· التي تسعى لتميت غيرها ·· لتحيا هي ·· ولتهدم ما عداها ·· لتبقى في مأمن من خطر الغير عليها ··

أزمة الشباب المسلم اليوم هي أزمة التضارب ، والتعارض ·· هي أزمة الأخلاق والتخاصم ·· وفي الوقت نفسه هي أزمة الناشئ في ضعفه ·· وأزمة صاحب الحاجة إلى قيادة غيره ·· وأزمة غير المستقل وغير الرشيد ·· أزمة المتردد بحكم مرحلة تطوره ··

أزمة القابل للتردي والسمو معا ·· أزمة القابل لتبعية الحيوان وقيادة الانسان كذلك ·· إلى أين يتجه الشباب المسلم اليوم ؟ كيف ؟ وأية وسيلة يصل إلى هدفه ؟ هذه هي مشكلته أو أزمته !

## الشباب المسلم في غده

إن الشباب المسلم في وضعه الراهن هو في حيرة من أمر نفسه ·· وفي حيرة اخرى من مستقبله ·· أما حيرته في نفسه فلانه لا يستطيع أن يفيق مما يقتحم عليه نفسه ·· بعد أن يطبق على سمعه وبصره من اتجاهات فكرية مختلفة ومتضاربة ·· لا يستطيع أن يقيم أي واحد منها · وكل ما يستطيعه أن يتقبل مؤقتا نوعا من هذه الاتجاهات بقوة تأثير الدفع إلى سمعه أو إلى بصره حتى يأتي اتجاه آخر يزداد في قوة تأثيره عما سبقه فيحل محله ، أو يختلط به ·

وهو في حيرة كذلك من أجل مستقبله ·· لا يدري أين يصل به التضارب في الاتجاهات التي لا تتوانى عن شده وجذبه ·· وأحيانا في عنف وإكراه ··

هل ستتاح الفرصة للشباب المسلم في غده أن يحمي من الغير الدخيل ومن محاولة اقتحام النفس والعقل عليه ؟

إن هذا رهن بتصرف الحكومات في المجتمعات الاسلامية في موقفها مما تدفع به ( العالمية ) داخلها عن طريق العلمانية في ظل الرأسمالية ·· أو عن طريق الراديكالية في ظل الماركسية ·· وإذا استجابت الحكومات في المجتمعات الاسلامية إلى المصلحة الوطنية

العليا ·· وإلى حماية الشباب في غده ·· فالخطوة التالية لضمان إيمان الشباب المسلم بالاسلام في غده ·· هي طريقة عرض الاسلام عليه ··

***

والآن مطلوب كل هيئة إسلامية ·· ومطلوب كل مؤمن في مجتمع إسلامي تحقيقا لاقبال الشباب المسلم على الايمان بالله هو :

١ ـ أن تعني الجهات الرسمية في المجتمع بالايمان بالدين ·· وتشجيع الدولة كل طريق خاص يؤدي إلى تحقيق هذه الغاية ··

٢ ـ كما تعنى بالبناء الاجتماعي وتأسيسه على تربية إسلامية ، تستهدف مواجهة التخطيط ( العالمية الصهيونية )

٣ ـ والا تسمح لاجهزة الإعلام الرسمية بمناقضة الدين والتشكيك في قيمه باسم « الفكر المفتوح » أو بأيَ اسم آخر ·· لأن السماح بذلك ينطوي على أن يأخذ التخطيط الصهيوني طريقه الى التحقيق ·· دون وعي أو شعور بذلك ··

٤ ـ إغلاق باب المجتمع الاسلامي دون تشجيع استيراد أيديولوجيات أجنبية ، وضعت لمشاكل لا توجد في مجتمعاتنا الاسلامية ، ودلت التجربة في تطبيقها هناك في بيئتها وظروفها ، على إفلاسها في علاج ما وضعت لأجله ، بالاضافة إلى ما تخلقه من مشاكل جديدة اجتماعية واقتصادية ··

٥ ـ اعادة تخطيط الدعوة لمبادىء الاسلام ، والنزول بهذه المبادىء ف مجال « المواجهة » للتحديات التي تحاول أن تتثبت على الأرض الاسلامية ، وفي قلوب الشباب المسلم ··

***

● ان الأخذ بالاسلام وحده ، كنظام للحياة ومنهج للسلوك ، في سياسة المجتمع وتوجيهه هو الوقاية له من خطر الصهيونية العالمية ··

● وان بريق الاتجاهات في الأيديولوجيات الأجنبية هو بريق خادع ··

وهو طعم لاغراء الوقوع في مخالب الاخطبوط العالمي ··

● ان الأخـذ بالاسـلام ليس معنـاه العـزلة عن الحيـاة المعـاصـرة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وإنمـا معناه وجـود العدة السليمة للقاء ما يحتمل من أخطار أجنبية توجه إلى المجتمع ··

● وان الأخـذ بالاسـلام كذلك ، ليس معنـاه معاداة العلم والتقـدم الصناعي التطبيقي ، وليس معناه أيضا تجنب الأخـذ عن المجتمعات الصناعية المتقدمة الاخرى ، بل بـالاحرى معنـاه : الحيطة في قبـول الخبرة العلمية الصنـاعية ، وفيمـا تقدمـه المجتمعات الصنـاعية من مصنوعات لا يتجاوز القيود فيها مجال المبادلات الاقتصادية ·

● وان الأخذ بالاسلام من شأنه أن يكتل والتكتل قوة ·· ومن شأنه أن يخفف الحقد ·· وتخفيف الحقد ، علاج للضعف فيه ·

● وان الاخذ بالاسلام لا ينطوي على ( عنصرية ) دينية ، أو شعوبية ، لأن الاسلام لتوجيه الطبيعة الانسانية بما لها من خصائص إنسانية وليس للسيادة والتمييز ·



# تفسير الاسلام

الدكتورة لورا فاغليري

ترجمة : أحمد أمين عز العرب

في الكتاب الذي عرضنا له من قبل « شمس العرب تسطع على الغرب »[1] رأينا كيف أن مؤلفة الكتاب ، المستشرقة الألمانية الدكتورة « زيغريد هونكه » لم يشب آراءها تعصب مما اعتاد الناس أن يلمسوه دائما في أبحاث المستشرقين !

واليوم نعرض لكتاب آخر من هذا الطراز ٠٠ له شهرته هو الآخر في أوربا ، وفي دوائر المستشرقين على الخصوص ٠

انه كتاب « تفسير الاسلام » للمستشرقة الايطالية المعروفة الدكتورة « لورا فاغليري » والذي ظهرت له ترجمة أخرى في لبنان بعنوان « دفاع عن الاسلام » ٠

والدكتورة فاغليري أستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بميلانو ، ويقول الاستاذ محمد عبدالله السمان عن المؤلفة في تقديمه لهذه الترجمة : انها تختلف عن غيرها من الكتاب الأجانب والمستشرقين في وضعها العدل والانصاف نصب عينيها في مناقشتها للقيم الاسلامية ، وفي تعمقها في دراستها ٠٠

وانك لتحس وأنت تقرأها ، كأنها عاشت مع الاسلام أمدا طويلا ، استوثقت من صلابة اسسه ، وصفاء معينه ، وضخامة معانيه ،

---

( ١ ) الجزلا الأول.

وأصالة أهدافه ، فأخذت تكتب عنه كتابة واعية عميقة ومتحمسة له تحمسا فيه قوة استمدت طاقتها من الانصاف الذي يجب أن يكون رائد كل كاتب !

ولنستمع إلى المؤلفة « فاغليري » في الكلمة الموجزة التي صدرت بها كتابها حيث تقول :

## عودة المسلمين إلى النبع النقي

« ... إلى الكتاب المقدس ـ القرآن ـ الذي لم يصبه تحريف أبدا ، لا في أيدي أصدقائه ، ولا في أيدي أعدائه ، سواء في ذلك الجهلة منهم والمتعلمون ..

.. انه إلى ذلك النبع النقي سيعود المسلمون .. فعندما ينهلون مباشرة من هذا الكتاب المقدس ، لن يفشلوا في العودة إلى نشاطهم القديم .. والشواهد قوية عن أن هذه العملية قد بدأت فعلا .. ثم تبدأ الكاتبة حديثها فتتحدث في الفصل الأول عن انتشار الاسلام فتقول :

كنبع من الماء العذب الصافي ظهر الاسلام في أرض قاحلة مجدبة ، بعيدة عن ملتقى طرق المدنية والفكر الانساني وكان هذا النبع وفيرا فجرى قناة أصبحت بسرعة نهرا ، وفاض النهر في النهاية ، وتفرعت منه آلاف القنوات حتى ملأ البلاد كلها ، وفي تلك الأماكن التي جرى فيها ذلك الماء السحري التأم شمل القوم المنقسمين وسويت منازعاتهم .. وحل شعور آخر محسوس محل الأخذ بالثأر الذي كان القانون الأعلى وساعد ذلك الشعور على ربط القبائل ذات الأصل المشترك بعضها إلى بعض .. حل بينها شعور من الأخوة بين رجال تربطهم مثل مشتركة من الأخلاق والعقيدة ، وعندما أصبح هذا النبع ، نهرا لا يقاوم .. أحاط تياره بالغرب القوي .. بالممالك العظمى التي كانت تمثل الحضارات القديمة ، قبل أن تستطيع تلك الممالك أو شعوبها إدراك الحدث

الجليل ·· ألم بها وأحاط ·· مسويا في طريقه بين الأقطار ·· ومزيلا الحدود الفاصلة ، وموقظا بضجته العقول النائمة ·· ومكونا مجتمعا واحدا من أكبر مجموعة من الأمم المختلطة ·

ولم يشاهد التاريخ من قبل أبدا مثل تلك الظاهرة ، ويصعب على المرء أن يقدر السرعة التي حقق بها الاسلام فتوحاته ·· وغير من عقيدة قلة متحمسة إلى عقيدة ملايين الرجال ·· ومازال من الأمور المحيرة للعقل البشري أن يكتشف القوة الخفية التي مكنت محاربين بدائيين من الانتصار على من يفوقونهم تفوقا تاما ، في المدنية والثروة والخبرة في ادارة دفة الحرب ·· ويدهش المرء كيف أن هؤلاء القوم استطاعوا أن يحتلوا أراضي جديدة فسيحة ، ثم جمعوا شمل فتوحاتهم بطريقة لم تنجح معها القرون الطويلة من الحروب في زحزحتهم عن أماكنهم ·· وكيف استطاعوا أن يلهموا أرواح من خلفوهم بحماس رائع متلهم ·· وأن يحافظوا على حيوية نابضة لم تعرفها الأديان الأخرى حتى بعد عشرة قرون من وفاة محمد « صلى الله عليه وسلم » ·

·· فأية قوة معجزة تكمن في هذا الدين ؟

وأي قوة اغراء خفية تمتزج به ؟

وعند أي عمق من أعماق الروح البشرية تلاقي جاذبيته تجاوبا محركا ؟

## سهولة العقيدة الاسلامية

وفي الفصل الثاني تفيض المؤلفة الايطالية في حديثها عن سر هذه القوة وتقول :

يدعو الاسلام الفرد إلى الايمان بدعوة ذات شقين : ان يشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ·

وقد دعا النبي ـ بصوت استلهمه من وحي مولاه ـ عبدة الأصنام وأتباع المسيحية واليهودية إلى التوحيد بالله ، ودخل في صراع مع تلك

العقائد البشرية الرجعية التي اشركت مع الله آلهة غيره ولم يحاول محمد كي يصل إلى اقناع الناس أن يخدعهم بأساطير تحيد عن المنطق العادي ·· ولكنه دعاهم في بساطة ودون أن يطلب إليهم ترك مملكة الواقعية إلى التأمل في الكون ونظمه ·· وأن يقرأوا في كتاب الحياة ·· وقد كتب كل من محمد عبده وأمير على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان حسبه أن يجتذب ضمير الفرد وبديهة الانسان ·· ويرجع إلى الاسلام فضل هزيمة الوثنية في كل صورها ، فقد تحررت النظرة إلى الكون ، وطريقة العبادة ، وعادات الحياة الاجتماعية ، تحررت كلها من « البدائيات » التي حطت من قيمتها ، وتحرر العقل الانساني من التعصب ، وأحس الانسان في النهاية بكرامته ·· وخضع للخالق وحده سيد العالمين ، واستطاع الانسان وحده أن يقول مع ابراهيم ·· بل كان عليه أن يقول : « إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » وقال الانسان مع محمد صلى الله عليه وسلم : « إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » ·

تحررت الروح من التعصب ·· وتحررت ارادة الانسان من الروابط التي طالما ربطتها بارادة الآخرين !

وسقطت عروش القسس ·· وحراس العقيدة الزائفين ، وسماسرة الخلاص ·· وكل هؤلاء الذين يزعمون أنهم وسطاء بين الله والانسان ·· وأن لهم لذلك السلطة على ارادة الآخرين ·

وبينما كان الناس قبلا يقاسون من الفوارق الاجتماعية أعلن الاسلام المساواة بين البشر ·· ولم يصبح لمسلم امتياز على مسلم بأصله ، أو بأي عامل آخر ·· وإنما أصبحت الميزة خشية الله ، والعمل الصالح ، والقيم الخلقية والذهنية ·

وقشع الاسلام حجب السرية التي كان البعض يفرضونها على

دراسة الكتب المقدسة وندد بهؤلاء الذين كانوا يدعون الانفراد بالقدرة على قراءة كلام الله ٠

لقد دعا الاسلام أي رجل ذي شعور ديني إلى تحصيل المعرفة اللازمة لفهم كلام الله ٠ ولم يعط الاسلام أي مسلم حق الحكم على عقيدة أخ له في الاسلام ٠٠ وأرسلت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قواعد فكرة مؤداها أن مدى الحكم على اخلاص المؤمن وأفعاله ٠٠ مرده لله وحده ٠٠ وأنكرت على أي عبد من عباد الله حق الحكم على مدى إيمان عبد آخر ٠

## معجزة الاسلام الأولى

معجزة الاسلام الأولى هي القرآن الذي ينقل لنا أخبارا مقطوعا بصحتها فهو كتاب لا يمكن تقليده ، ويعتبر جامعا شاملا ، وأسلوبه ليس له مثال في تاريخ الأدب العربي كله في الفترة السابقة على الاسلام وأثره على الروح الانسانية معجز ، ان العمق وحلاوة الأسلوب قيم لا تلتقي في العادة ولكنها التقت في القرآن الذي وجدت فيه كل الصيغ البلاغية مجالا لتطبيقها تطبيقا سليما ٠

ورغم ان النبي صلوات الله عليه قد دعا خصوم الاسلام إلى أن يأتوا بكتاب مشابه له ٠٠ أو حتى بسورة منه ٠٠ ومع أن هؤلاء الذين كانت لهم القدرة على التعبير ببلاغة كبيرة كانوا كثيرين بين العرب ٠٠ فلم يستطع أي منهم انتاج شيء تمكن مقارنته بالقرآن ٠٠ لقد حاربوا النبي صلى الله عليه وسلم بسواعدهم ، ولكنهم فشلوا تماما في مباراة روعة القرآن ٠

فالكتاب الى جانب كماله في الشكل والأسلوب اثبت أنه أسمى من أن يقلد حتى في مادته ، ففيه إلى جانب الموضوعات الأخرى تنبؤ بأحداث مستقبلة ٠٠ ووصف لأحداث وقعت منذ قرون قبله ، وكانت مجهولة

عادة ، وهناك ذكر متكرر لمختلف العلوم الدينية والزمنية ، وبه خزائن نفيسة من المعرفة تفوق مستوى أكثر الرجال علما وأكبر الفلاسفة ، وأقدر السياسيين ٠٠ ولهذه الأسباب كلها لا يمكن أن يكون القرآن من عمل رجل أمي قضى كل حياته وسط مجتمع غير متطور بعيدا عن رجال العلم والدين ٠٠ رجل أصر دائما على أنه رجل ككل الرجال لا يستطيع أن يأتي بالمعجزات ما لم يمنح الله مساعدته ٠٠ فالقرآن لذلك لم يكن يستطيع أن يستقى علمه الا من ذلك « الذي وسع علمه كل شيء في السماء والأرض » ٠

ومازال لدينا دليل آخر على الأصل الالهي للقرآن ، هو أن نصه قد ظل ثابتا نقيا طوال القرون الطويلة منذ نزوله إلى اليوم ، وسيبقى كذلك بمشيئة الله طالما بقى العالم ، فاقرأ هذا الكتاب في أي مكان من العالم الاسلامي تجده لا يأتي للمؤمن بأي ملل ٠٠ بل يعزز نفسه في كل قراءة ٠٠ ويحيي احساسا عميقا بالسمو والخشية في قلب قارئه وسامعه ويمكن حفظه عن ظهر قلب ٠٠ لدرجة أننا نجد اليوم رغم المستوى المنخفض للايمان آلافا من الناس يحفظونه عن ظهر قلب ٠٠ وتجد في مصر وحدها عددا من حفظة القرآن يفوق عدد حفظة الانجيل في أوروبا كلها ٠

إذن فلم يكن استعمال القوة ٠٠ أو مجهود المبشرين الملحفين ٠٠ هو سبب الانتشار السريع للاسلام بل سبب ذلك هو الكتاب الذي قدمه المسلمون للشعوب المغلوبة ، وتركه الحرية لهم ٠٠ ليقبلوه أو يرفضوه : كتاب الله وكلمة الحق والمعجزة الكبرى التي كان محمد صلى الله عليه وسلم يستطيع تقديمها لكل الضالين فوق الأرض ٠

وتمضي مؤلفة الكتاب في حديثها في هذا الفصل عن سبب انتشار الاسلام وسر القوة فيه الى أن تقول :

وإلى جانب الايمان بالله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم نجد أن القواعد الأخرى التي يؤمن بها المسلمون منذ ظهور الاسلام إلى اليوم لا

تختلف بأي وسيلة مع العلم الحديث ·

وبينما نجد الأديان الاخرى تفرض على المؤمنين بها عبئا ثقيلا من الطقوس يصعب اتباعه وفهمه ·· نجد الاسلام ذا سهولة رائعة ، وبساطة واضحة ·· وقد كان ذلك من أسباب سرعة انتشاره في وقت الغزوات الأولى بين اناس كانوا في حيرة روحية بالغة ، سببها التباس قواعدهم الدينية عليهم · ومازالت هذه السهولة في الاسلام سببا في انتشاره المستمر إلى اليوم بين الشعوب المختلفة في آسيا وافريقية · فالاسلام يستطيع الوصول إلى أرواحها دون شرح طويل أو مواعظ معقدة ·

ثم تتحدث في الفصل الثالث عن العبادات في الاسلام فتقول :

« ··· إلى جانب الشهادتين نجد الأسس الأخرى للاسلام هي الصلاة والصوم والزكاة الخ ·· ولكي نفهم جوهر هذه « العبادات » يجب أن ننظر إلى أبعد من شكلها الخارجي ، وأن نتعمق فيها ، وإلا كنا كمن يعجب بالمحارة دون التحقق مما بداخلها من اللؤلؤ ·· فكل من هذه الطقوس ـ العبادات ـ يجب دراسته لنصل إلى الأثر الذي تؤديه في تطهير روح المؤمن ورفعها تدريجيا نحو خالقها ، وعندئذ نستطيع فهم هدفها المزدوج ·· من اكبار الله ، وتعبير عن شكره لنعمته ··

وقد أوضح القرآن قيمة الصلاة كوسيلة للسمو الخلقي وتنقية القلب بقوله : « اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون » ·

والركن الثاني العملي للاسلام هو الصوم الذي يكون بالامتناع عن الطعام والشراب خلال ساعات النهار طوال شهر رمضان ، وان في هذا الفرض لممارسة للنظام والرحمة والشفقة ·· فهو يطلب إلى المؤمن أن يمتنع عن كل متاع الجسد في فترة معينة ·

فاحساس المؤمن بالجوع وألمه ·· يستثير الشفقة ويحضه على الصدقة ويشعره بقيمة ما آتاه الله من نعم ·· فيتعمق شكره لها ·

٠٠ وقد اعترفت كل الأديان بطريقة أو بأخرى بالأهمية الاجتماعية والخلقية الكبيرة التي تكمن في الصدقات ٠٠ وأوصت بها ، باعتبارها تعبيرا كريما عن الشفقة ٠٠ وطريقا سليما لاجتذاب مرضاة الله ٠٠ ويرجع الفضل للاسلام وحده في جعلها اجبارية ٠٠ فكل مسلم ملزم طبقا للشريعة أن يمنح نسبة من ثروته إلى الفقراء والمحتاجين والمسافرين والغرباء ، الخ وهو بأدائه لهذا الواجب الديني يحقق معنى عميقا من معاني الانسانية ، ويوقى شح نفسه ويحق حينئذ أن يأمل في الجزاء الالهي ٠

وكل مسلم ملزم بالحج إلى مكة مرة في عمره على الأقل إذا تحققت شروط معينة والقوى العميقة الكامنة في هذا الأمر ذات طبيعة يصعب في العادة على العقل البشري فهمها ٠٠ ورغم ذلك فانه يمكن فهمها بسهولة من طبيعة تكشف عن حكمة كاملة ٠٠ فلا أحد يستطيع انكار الفائدة التي يحققها الاسلام خلال التجديد السنوى لوحدة المسلمين في مكان واحد يأتونه من كل بقاع الأرض بين عرب وفرس وأفغان وهنود ، ومن الملايو والمغرب والسودان وغيرهم متجهين الى المكان المقدس ابتغاء مغفرة ربهم الرحيم ، ومنشئين في الوقت نفسه روابط جديدة من الحب والأخوة اثناء اجتماعهم لمثل هذا الغرض !

ولمرة واحدة في حياة المسلم على الأقل تختفي تماما كل الفروق بين الغني والفقير ، والسائل والآمر ، ففي خلال أداء مناسك الحج يلبس كل فرد نفس الملابس المتناهية في بساطتها ٠٠ ويترك كل متاعه خلفه ، ويردد الكل نفس النداء « الله أكبر » ٠

وتنتقل الدكتورة فاغليري إلى الفصل الرابع من كتابها ٠٠ فتقول :

في معرض الرد على بعض الكتاب الغربيين ممن قالوا ان الشعور الاسلامي خطر على الفرد ٠٠ لأنه ملىء بالطاعة والخضوع السلبي إلى آخر ما قالوا ٠٠ تقول المؤلفة فيما تقوله في هذا الصدد : « لم يكن

الاسلام قط عقبة في طريق الكمال الخلقي ، وهو الدين الذي يضم بين جنباته طاقة هائلة موجهة للعمل الصالح ·· ولذا نجح مبكرا عن كل الأديان الأخرى في تعليم الناس ·· نجح الاسلام لأنه لم يكن أقل عناية بالمسؤولية الخلقية لاتباعه من الأديان الكتابية الأخرى ·· وفاق الاسلام هذه الأديان في نواح معينة في ادخاله الضعف الانساني في الحسبان ·· وفي دفع المسلمين نحو المثل العليا ·

ويؤكد الاسلام قيمة العمل الصالح الناتج عن شفقة الانسان على جيرانه ·· ويؤكد شفقة الله ·· ويحمي اليتيم والفقير والمسكين وسيء الحظ ·· ويعلن الاسلام أن الأخوة والزكاة هما حجر الزاوية في بناء المجتمع الاسلامي ·· وقد حقق الاسلام بذلك نجاحا كبيرا اذا ما قارنا أيامه بأيام الوثنية التي كانت الطبقة الحاكمة فيها تمعن في غرورها وصلفها ، وتحتقر الفقراء وتخضعهم ، وكانت الثقة فيها مفقودة في كل أنواع المعاملة ·· ولم تكن أوليات الواجبات نحو الجار تحظى بأية عناية ·

وتمضي المؤلفة إلى أن تقول : « ولم يضع الاسلام على تمتع المسلم بالحياة إلا قيودا قليلة يتساوى فيها الجميع وتظهر حكمتها للعيان ·· فهل يلام الاسلام - مثلا - على تحريمه الخمر والميسر ، والعالم الغربي نفسه في معركة حادة ضدهما ·· يحاول أن يقيدهما بالقوانين ؟ أفلا تلمع حكمة الله في تحريم الربا باعتباره ثراء غير مشروع ؟

« إن الناس ليشعرون بالحاجة إلى الدين ، ولكنهم في الوقت نفسه يريدون منه أن يكون دينا يفي بحاجاتهم ، قريبا من مشاعرهم يقدم الأمن والراحة للحياة الدنيا ·· كما يقدمها للآخرة ·· ويلبي الاسلام هذه الحاجات بدقة لأنه عقيدة وفلسفة للحياة ·· فهو يعلم التفكير الصحيح ، والتصرف السليم ، والكلام الأمين ، ولذا يجد طريقه في غير صعوبة الى كل من العقل والقلب الانساني ·

## الحكم الاسلامي والمدنية الاسلامية

وفي حديثها عن الحكم الاسلامي تقول :

اننا ندين بأعمق الاعجاب لدين لا يقف عند حد الدراسات النظرية لمطالب الطبيعة البشرية ولا يكتفي بوضع مجموعة من أرفع القواعد التي تمكن الناس من العيش الكريم ٠٠ ولكنه يقدم فلسفة للحياة ترسي المبادىء الاسلامية للاخلاق على أسس سليمة فعالة تشرح واجب الفرد حيال نفسه وحيال الناس ، قادرة على التطور ومجاراة أرفع التطورات العقلية مما يقطع بمصدرها الالهى ٠٠

ونفوذ هذا الدين على حياة الناس عموما جد مفيد إذ أن الاعتبارات ضعيفة عندهم ما لم تكن واردة في قانون يحدد لها عقوبات واضحة ٠٠ وهذا هو ما يفعله الاسلام ، فالطبيعة البشرية في حاجة لسلطة آمرة ، اكثر من حاجتها للشعائر والمبادىء ٠٠ ولذا يتكلم الاسلام اليها بعبارة الامر الصادر من القوة المطلقة ، وكان هذا من أسباب النجاح العظيم الذي حققه الاسلام !

واذا كان الاسلام قد نجح في خلق امة موحدة قوية قائمة على أسس اخلاقية متينة في بلاد العرب ، حيث سادت الفوضى ، وحيث كانت فكرة وجود حكومة تكون بمثابة تنظيم اجتماعي مستقل مجهولة تماما ، وحيث كان أي شكل من أشكال السلطة البشرية أمرا غير محتمل ، وحيث كانت القوة هي القانون ٠٠ وحيث كان القتل والسرقة مجرد أفعال تستوجب الأخذ بالثأر لعائلة القتيل والجريح ، اذا كان الاسلام قد نجح في ذلك فلأنه كان قانونا ودينا في نفس الوقت !!

ثم تتحدث المؤلفة عن الاسلام وعلاقته بالعلم فتقول : لقد أفرز الاسلام للعقل أهمية كبرى ٠٠ ثم تضيف : ان دينا أساسه التأمل العقلي ، واعطاء مثل هذا المجال الفسيح للعقل ٠٠ دينا يأمر باستخدام

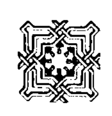
كل الطاقات التي منحها الله للانسان وخاصة أعظمها شأنا وهو العقل لا يمكن أن يكون مثل هذا الدين عقبة في طريق العلم ·

لقد قيل : ان المدنية الحديثة قد حققت كل هذا التقدم المزدهر في أوربا لأن المسيحية قد فصلت القوة المدنية عن القوة الدينية ولأن الدول الغربية متحررة من نفوذ الكنيسة الذي تمتعت به خلال قرون طويلة ، بينما لا يفصل الاسلام بين الدين والدولة فكلاهما جزء من كل حسب الشريعة ·

والاسلام الآن دين ودولة بكل ما في الكلمة من معنى ·· فقد انشأ حقوقا وواجبات وأقر ضرورة تنفيذها بالسلطة الزمنية ·

وتمضي إلى أن تقول :

كيف يمكن القول بأن الاسلام قد عاق نمو الثقافة في القرون الماضية عندما كانت محاكم ومدارس الاسلام منارات للهدى بينما كان الاوربي عندئذ في ظلام العصور الوسطى عندما وصلت أفكار الفلاسفة العرب إلى درجة أنارت الطريق للباحثين الغربيين ، وعندما طلب هارون الرشيد انشاء مدرسة لدراسة مختلف العلوم تلحق بكل مسجد ، وعندما افتتحت المكتبات الغنية بمئات الألوف من الكتب للباحثين في كل انحاء العالم الاسلامي ·· ألم يكن العرب أول من طبق التجربة قبل أن يعلن « باكون » عن ضرورتها بزمن طويل ·· وتطور الكيمياء والفلك ونشر العلم الاغريقي وتطوير دراسة الطب ، واكتشاف مختلف القوانين الطبيعية ـ أليس ذلك دينا للعرب على العالم ؟!





# المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي

الأستاذ إبراهيم خليل أحمد

في الواقع ٠٠ ليس هذا اول كتاب من نوعه في اللغة العربية ، عن المستشرقين والمبشرين ٠ لكنه أول كتاب ـ فيما يبدو ـ يكتبه رجل كان قبل ان يسلم ، يشتغل بالتبشير ومن هنا ـ فيما اعتقد ـ ميزة هذا الكتاب العجيب ٠٠ رغم انه موجز ـ كما ترى ٠٠ ومع ذلك فهو حافل بالكثير من « حقائق » يندر ان يصادفها القارىء في كتاب آخر يبحث في هذا الموضوع ٠

ان قصة المستشرقين والمبشرين في العالم الاسلامي ٠٠ قصة عجيبة حقا ٠٠ وهي قصة مثيرة في نفس الوقت ٠٠ ترينا الى اي مدى بعيد يحاول المستشرقون والمبشرون متعاونين ٠٠ ان يشوهوا من صورة الاسلام ، بقدر ما يستطيعون ؛ آملين بذلك ـ ولو على المدى البعيد في حسابهم اقصاء الاسلام عن واقع المسلمين !

ان قصة هؤلاء المستشرقين والمبشرين في العالم العربي والاسلامي ليست جديدة على اي حال ٠٠ وليست غريبة على الأسماع ٠٠ انها قصة حقد ران على النفوس ٠ ، حقد موروث من مئات السنين ٠ وهيهات له ان ينتهي او يزول ! انه حقد على الاسلام : العدو الأول لكل المذاهب الباطلة ، ولكل الوثنيات ، ولهذا فان مؤامراتهم ضده مستمرة ٠٠ مهما واجهوا من فشل ٠٠ ومهما كانت العقبات !

وسيرى القارىء ـ من خلال هذا العرض السريع للكتاب ـ الوانا من تلفيقهم ومن سخفهم ، يسردها المؤلف سردا امينا ومركزا ، بعد ان يروي لنا نبذة من قصة حياته ·· ثم نقطة تحوله من المسيحية الى الاسلام ··

**نقطة التحول :**

**« كيف اهتديت للاسلام » ؟**

يقول المؤلف : « من العجب العجاب انني في نشوة انتصاراتي بالعمل التبشيري ، وفي فترة اعداد نفسي لنيل درجة دكتوراه في الفلسفة واللاهوت من جامعة برنستون بأمريكا ·· وفي استعدادي واعدادي للرسالة ·· اردت الهجوم على الاسلام بمهاجمة القرآن الكريم ، ويشاء الله ان يقهرني بالقرآن الكريم ، ليسمعني صوته بقوله تعالى : « قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا » ··

كان لهذه الآية وقع في نفسي ، اذ جعلتني أفكر تفكيرا حرا نزيها وأحسست بأن الله الذي علمني مالم اعلم يستطيع ان يجردني من العلم والمعرفة ، ويتركني للذل والهوان ، لكن إرادته لهدايتي جعلته يفيض على من أنوار هذه الهداية ·

ووجهني الى ارادته ومشيئته ··

والحق أن ما قرره القرآن الكريم هو الصدق اليقين : « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للأسلام » ··

« الحمد لله الذي هداني لهذا ·· وما كنت لاهتدي لولا ان هداني الله » ··

**اعتناقي للاسلام ·· واعتزازي بالانتساب إليه**

لقد أراد الله لي خيرا ، فهداني للاسلام بينما انا في جهالتي وحماقتي اردت للاسلام تقويضا ·· وللمسلمين ان يدخلوا في رحاب النصرانية ·· فعفا الله عما سلف ··

وأمام رضوان الله جل وعلا رأيت ضـرورة حسم الموقف بخـطوة ايجابية ·· وهي اعتزال الخدمة الدينية ، واعتزال الاهل والعشيـرة والاصدقاء الذين ربط الزمن مصيري بمصيرهم ·· وكنت اسير معهم على فلك واحد ·· فتقدمت الى المسؤولين بالارسالية الالمانية السويسرية وأعربت لهم عن اعتزالي للخدمة الدينية ·· فاستنكروا على هذا القرار وارادوا ان يمنحوني اجازة طويلة لتدارك الموقف ·· فـأصررت عـلي موقفي ··

والواقع ان تصميمي على هذا الموقف كان نتيجة لما تذوقته من صفاء العقيدة الاسلامية ، وما تحققته من جهاد الرسول الكريم ، والصحابة رضوان الله عليهم في نشر دعوة الاسلام في ايمان صادق مع التزام الأمر الرباني : ( لا أكراه في الدين ) ·

وهل يستطيع المرء ان يهاجم الاسلام بعد أن تبين له الرشـد من الغي ؟

الحق أقول : ان القرآن قـد غلبني على امـري ، وغلبت ارادة الله ارادتي ··· وكـان القرار بتـرك الخدمـة الدينية قـرارا حـاسمـا للموقف ··

**القرار الذي اتخذته لاشهار اسلامي ··**

·· تدارست الامور كلها من كل جوانبها ، من الناحية الزوجية ، ومن ناحية ابنائي ·· ومن ناحية العمل الذي هو مصدر رزقي ، ووجدت انه لابد من مواجهة الحقائق دون تردد ··

وفي ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٥٩ ارسلت خطابين :

١ ـ خطابا الى السيد الدكتور جون طمسون رئيسي اعرب له عن رغبتي في اعتناق الاسلام دينا ··

٢ ـ خطابا الى محافظة القاهرة لاشهار اسلامي ·

وقد كان للخطاب الأول اثار عكسية الاثر الاول تكتل ارباب البيوت التجارية الكبيرة عن التعامل معي ، ووجدت نفسي في عزلة عن النشاط

التجـاري ، وبالتـالي كـان لهـذا المـوقف تـأثـير قـوي عـلى « رغيف العيش » ٠٠ وتغلبت على هذه المشكلة بـالاستعانـة بما ادخـرته من مال ٠٠ حتى يتبلور الموقف نهـائيا ٠٠ الاثـر الثاني : هجـر زوجتي ايـاي ، وتركهـا الابنـاء ، وقـد تغلبت عـلى هـذه المشكلة بـالايمـان والصبر ٠٠٠

أما الخطاب الثاني فكان من اثاره تحديد جلسة للمناقشة والمواجهة من قساوسة جاءوا الى منزلي فزعين مساء يوم ثلاثاء من ينـاير سنـة ١٩٦٠م ٠٠ وما ان علمت بموعد الجلسة حتى تهيأت لها ٠٠ وما ان جاء شهر فبراير حتى أحيلت الاوراق الى الشهر العقاري للتسجيل ٠٠ ولما أيقنت الزوجة ان الامر صار مقضيا به استـأذنت في ترك المنـزل وأذنت لها وانا عالم بطرق التبشير المرير لاصرار زوجتي على موقفها كمسيحية ٠٠

* * *

ثم يقول :

٠٠٠ وهكذا واجهت هذه المتاعب في صبر وايمان وشققت طريقى الى تنفيـذ الاجراءات الرسميـة حتى تم كل شيء عـلى خير مـايـرام ففي ٣٠ / ٥ / ١٩٦٠ صدر القرار الوزاري كاملا من وزارة الصحة العمومية قسم المواليد بتغيير الاسم والديانة الى مسلم ، لي ولابنائي ٠٠ الاربعة والحمد لله على هذه الهداية الطيبة ٠٠

* * *

٠٠٠ وفي فبراير ١٩٦١ عهد الي السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة باستدعائي الى مكتبه ٠٠ وعلى أثر هذه المقابلة الطيبة تمت مقابلة ثانية تم فيها تعييني بالمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بـوظيفة خبـير في الشؤون الدينية ٠٠ الخ ٠٠

٠٠٠ وهنا ظهرت حكمة الله في هذا الاختيار ، واعتقد يقينا ان الله اراد ان يجعلني في خدمته وفق طريقه المستقيم ٠

**أشهر المؤسسات التعليمية في الشرق العربي**

١ ـ جامعة القديس يوسف في لبنان ·
٢ ـ الجامعة الامريكية في بيروت ·
٣ ـ الجامعة الامريكية في القاهرة ·
٤ ـ الجامعة الامريكية باستانبول ·
٥ ـ الكلية الفرنسية في لاهور ··

## منشور للجامعة الامريكية ··

أصدرت الجامعة الامريكية في بيروت في عام ١٩٠٩ منشورا ردا على احتجاج الطلاب المسيحيين لاجبارهم على الدخول يوميا الى الكنيسة ـ يتضح من المادةالرابعة منه طابع هذه المؤسسة وأمثالها، ونص هذه المادة

« ان هذه الكلية مسيحية ، اسست بأموال شعب مسيحي ، هم اشتروا الارض ، وهم اقاموا الابنية وهم انشأوا المستشفى وجهزوه ، ولا يمكن المؤسسة ان تستمر اذا لم يسندها هؤلاء ، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الانجيل من مواده ، فتعرض منافعه الحقيقية المسيحية على كل تلميذ ·· وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب ان يعرف سابقا ماذا يطلب منه»·

كما اعلن مجلس الامناء بالكلية في هذه المناسبة ان الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني ، ولا لبث الاخلاق الحميدة ·· ولكن من اولى غاياتها ان تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة ، وان تكون مركزا للنور المسيحي ·· وللتأثير المسيحي ·· وان تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به ··

**حقيقة العمل التبشيري ··**

العمل التبشيري بين المسلمين فن من الفنون ، يحتاج الى تدريب ودراية كاملة ، يتوقف عليها استعداد المرء الفطري من الذكاء وسرعة

البديهة وقوة الجلد والصبر على المكاره ، وتحمل المشقات والعوز دون تذمر او تضجر ، ورجحان الفكر ، ونضوج العقل ، وسعة الصدر ، وقوة الادراك ٠٠ لينفذ الى اعماق السائل أو الطالب ، ويدرك مايخطر على باله من اسئلة ٠

وينقسم العمل التبشيري الى ثلاثة اقسام :

١ ـ التبشير بين الجماعات وهذا يحدث بالمدارس والمستشفيات وفي الندوات الدينية الليلية ٠٠

٢ ـ التبشير مع الفرد الواحد ، وهذا يحتاج الى مثابرة وصبر واستعداد للترحاب بالضيف وتخير كل امكانيات الود والصداقة حتى يأنس اليه الفرد ويثق به وهنا يصبح الة مسخرة يكيفها المبشر كما يشاء ويصل بها الى النصرانية طواعية واختيارا ٠

٣ ـ العمل التبشيري الصامت ، وذلك بتوزيع الكتاب المقدس والنشرات الدينية والصور ، والايقونات ٠٠ ومن الكتب الجدلية الخطيرة ـ التي يستعين بها المبشر للوصول الى غايته ٠٠ هذه المجموعة ٠٠ وهي :

١ ـ كتاب « ميزان الحق » للدكتور غاندر ، المستشرق الامريكي ، والدكتور سنكلير تسدل ٠

٢ ـ كتاب « الهداية » ويقع في اربعة أجزاء وهو تفنيد مريع للاسلام ، وطعن سافر للقرآن الكريم ٠

٣ ـ كتاب « مقالة في الاسلام » للدكتور المستشرق سال

٤ ـ كتاب « مصادر الاسلام » للدكتور سنكلير تسدل ٠

وهذه الكتب الاربعة تعتبر للمستشرقين والمبشرين من اخطر المراجع للهجوم على الاسلام ، والقرآن الكريم ، والرسول الامين ٠

ولا يفوتني ان أشير الى جهاد المسلمين في هذا الصدد ، فقد هب رجال من المسلمين للدفاع عنه ٠٠ والذود عن الرسول الكريم ٠

والكتب الاتية هي ردود على ما جاء بالكتب المذكورة آنفا :

١ ـ « اظهار الحق » للشيخ خليل رحمة الله ٠

٢ ـ « السيف الحميدي الصقيل » للرد على كتاب الهداية ٠

وإذا شاء القدير ان يبوئني المكانة الثقافية الدينية التي تخول لي حق البحث والكتابة فسأقوم بفضل الله بالرد على كتابي « مقالة في الاسلام » و« مصادر الاسلام » وكتاب ثالث متداول بين ايدي جمهور المسيحيين ، هو « المسيحية في الاسلام » للأيفومانس ابراهيم لوقا ، والله المستعان ٠

* * *

والعمل التبشيري في الدول المختلفة يسير على نمط واحد مع مراعاة مقتضى المقام ، فمثلا الناحية الشعبية التي يتميز بها المستشفي غير الناحية الخاصة التي تتميز بها الكلية ولهذا يتلخص العمل التبشيري في هذا الاسلوب :

١ ـ التبشير بالفانوس السحري ٠

٢ ـ التبشير بسرد قصص الأنبياء والتابعين لهم والمتواترة بين المسلمين ٠

٣ ـ التبشير بألقاء المواعظ في المناسبات العامة : الجنازات ، الاحتفالات العلمية ٠

٤ ـ التبشير بالقاء المواعظ السافرة المقارنة ٠

## العمل التبشيري بالمدارس

٠٠٠ يسير العمل التبشيري بالمدارس بحسب تدرج المراحل التعليمية ففي مرحلة التعليم الجامعي والثانوي يأخذ التبشير اسلوب المناقشة بالبحث العلمي ويحاول المبشر ان يتحدث كثيرا على الكتب الانكليزية أو الفرنسية ومما لوحظ ان هؤلاء الطلبة ليسوا على شيء من المعرفة والفقه بالامور الدينية ، وهذا مما يساعد على العمل التبشيري مساعدة ايجابية ٠٠

ويذهل المسلم حين تبشيره بالنصرانية من القرأن الكريم ، وتظهر

عليه علامات الدهشة التي تستغل استغلال حكيم في تكييف الموقف ..
فمن الآيات الدالة على تدعيم الوحدانية بحسب العقيدة المسيحية قوله تعالى :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي عيسى وما اوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم » ..

الى هنا نكتفي من الآية وهيهات ان يتذكر المسلم بقية الاية وهي قوله تعالى :« ونحن له مسلمون » ..

## رواسب التبشير والاستشراق

.. هذه الحقائق سالفة الذكر مريرة ، ولكنها كانت رواسب للتبشير والاستشراق .. بل توجيه سافر من الاستعمار الذي ظل حتى سنة ١٨٨٢ ، وهو يهدف الى شل القيم الدينية الاسلامية .. والى الازدراء باللغة العربية بصورة ايجابية ، وذلك بتقويم العلم ، وتمجيد الحضارة الاوروبية .. والاستمساك بأهداب المدنية الغربية ..

وقد نجحوا الى حد ما في هذا .. اذ خلقوا لفترة السبعين سنة خلت أجيالا متعاقبة لا تفقه من الاسلام شيئا .. ولا تحفظ من القرآن الا آيات معدودات ..

ولهذا كان من اليسير غزوهم وبلبلة افكارهم ..

ويقول الدكتور محمد البهي وزير الاوقاف الاسبق ما نصه :

« وكان المبشرون والمستشرقون آمنين في عملهم . اذ ايقنوا ان المؤسسات الاسلامية ـ على تعددها وتنوعها ـ لم تعرف للآن وضعية التبشير والاستشراق في توجيه الشعوب الاسلامية .. حتى نحاول ان تلقاها .. فضلا عن ان يكون لقاؤها اياها ضعيفا أو قويا .. الخ ..

* * *

... وهم يتجهون دائما في عملهم التبشيري الفردي الى ادعاء ان القرآن الكريم موضوع وليس موحى به من الله ... والى ان الفلسفة

العربية افكار يونانية كتبت بأحرف عربية ، وان اللغة العربية لم تعد صالحة اليوم لاستيعاب كل الاغراض بدليل الكلمات الاجنبية الدخيلة على العربية ··

كما يجتهدون في احياء الشعوبية بين الدول الشرقية : الفرعونية في مصر ، والاشورية في العراق ، والبربرية في شمال افريقية ، والفينيقية على ساحل فلسطين ولبنان ·· ويفضلون اللغة الفارسية في ايران - كلغة آرية - على اللغة العربية - كلغة سامية ·

## السياسة العامة للتبشير والاستشراق

سلك المبشرون والمستشرقون كل مسلك ظنوه محققا لاهدافهم واستطاعوا ان يتسللوا الى المجمع اللغوي بمصر ·· والمجمع العلمي بدمشق ·· والمجمع العلمي ببغداد ·· كما تدخلوا - بتأييد الاستعمار - الى مجال التربية والتعليم محاولين غرس مبادىء التربية الغربية في نفوس المسلمين ونجحوا في هذا الى حد كبير ··

**ومن خططهم المدروسة : المؤتمرات ··**

ومن هذا يستطيع المرء ان يدرك مدى خطورتهم وتداخلهم في المجالات العلمية ·· وهم يعملون وفق خطط مدروسة ، حيث يجتمعون في هيئة مؤتمرات بين الحين والحين ··

وقد تركزت اهداف الاستشراق والتبشير اخيرا - مع تنوعها - في خلق تخاذل روحي ومعنوي ·· وايجاد شعور بالنقص ·· في نفوس المسلمين والشرقيين عامة ·· وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية ··

ومنهم نفر اشتغلوا بالآداب الشرقية والعربية والعلوم الاسلامية ثم ساروا بدراساتهم الى الموازنة بين الآداب الغربية وسحرها وكمالها ·· والآداب العربية ( الاسلامية ) وتخلفها عن ركب الحياة ··

ومن المؤتمرات التي عقدوها وتدارسوا فيها منهاج سياستهم :

١ ـ مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦م
٢ ـ مؤتمر بيروت عام ١٩١١م ٠
٣ ـ مؤتمر القدس عام ١٩٢٤م ٠
٤ ـ مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م
٥ ـ مؤتمر دلهي بالهند عام ١٩٦١م

وهم فيما يخرجون به من قرارات ، مايستطيعون تنفيذه ٠٠ فهم لا يدعون المسلمين الى المسيحية ٠٠ بل يحاولون تشويه الاسلام واضعاف قيمته ٠٠ ثم يصورونه ويصورون المسلمين للرأي العالمي الاوروبي والامريكي بصورة مزرية ٠٠ بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر ٠٠

* * *

٠٠ واذا كانت الدول الاسلامية قد سمحت لهؤلاء المستشرقين بأن يساهموا في المجمع اللغوي ، فهل عرفت هذه الدول آراءهم في الاسلام والمسلمين قبل ان تسمح لهم بذلك ؟ هذه حقيقة ينبغي الا تغيب عن الذهن ٠

**ومن مؤلفاتهم المشهورة :**

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية
٢ ـ دائرة المعارف ( القسم المتصل بالاسلام والعرب )
٣ ـ دراسة في التاريخ « القسم المتصل بالاسلام والعرب » للمؤرخ ارنولد توينبي٠
٤ ـ حياة محمد ، للسير وليم موير
٥ ـ الاسلام ، لالفرد جيوم
٦ ـ الاسلام ، باللغة الفرنسية ، تأليف هنري لامنس
٧ ـ طريق الاسلام ، تأليف جماعة من المستشرقين منهم هـ ٠ أ ٠ ر ٠ جب ، وقد ترجم الى اللغة العربية ٠

٨ ـ ترجمة القرآن وضع هـ ٠ ج ٠ أربري ٠
٩ ـ الاسلام ، تأليف صموئيل زويمر ٠

**السياسة التوجيهية العامة :**

ان مجال نشاط المستشرقين والمبشرين يبلغ المدى البعيد بين صفوف رجال التوجيه في بلدان الشرق ٠٠ ولهم في ذلك وسائلهم الخاصة في تفريق شمل المسلمين ٠٠ واضعاف شوكتهم ، والعمل على الغض من اللغة العربية التي هي في نظرهم لغة القرآن الكريم ٠

ووسائلهم في توجيه الرأي العربي الى مايريدون ـ بطريق غير مباشر ـ يتم بصورتين :

**الصورة الاولى :**

استخدام تلاميذ المستشرقين والمبشرين من الوطنيين الذين درسوا بجامعاتهم وتشربوا بمبادئهم ، وهؤلاء ـ وقد اصبحوا قادة الفكر ـ انما ينفذون سياسة المستعمر بقصد او بغير قصد منهم ٠٠٠ وبايحاء من توجيهات المستشرقين والمبشرين ٠

**الصورة الثانية :**

قيام بعض الغربيين بمؤلفات عن الثقافة الاسلامية ، وعمل موازنات بينها وبين الثقافة الغربية ( النصرانية ) ثم العمل على تشويه الحقائق ٠٠

* * *

٠٠ وينتهز المستشرقون هذا اللون من الكتابة فيدونون ـ باسم البحث العلمي ـ كتبا في علم الاجناس ونفسية « فسيولوجية » الشعوب فيها ويخرجون من هذا بقولهم : ان مفهوم الاسلام يختلف باختلاف الشعوب ٠٠ فهناك اسلام الهند ٠٠ واسلام تركيا ٠٠ واسلام البربر في شمال افريقية ٠٠ واسلام مصر ٠٠ واسلام الملايو ٠٠ واسلام اندونيسيا ٠٠ واسلام الصحراء الكبرى ٠٠ واسلام افريقية

السوداء ·· وكل اسلام يختلف عن الاخر باختلاف الجنس ·· ولكل اسلام في فهم القرآن والسنة طريق خاص يوافق المصادر التي يستقي منها منهاجه وشريعته ··

* * *

·· ومن الشرائع الاسلامية التي حولوها عن اهدافها الحقيقية ·· تعدد الزوجات ، واباحة الطلاق ·· وقد ظنوا ان الرجل بسيادته على المرأة لا يجد فيها الا متعة ولذة ·· وهذا ما كتبه اللورد كرومر في كتابه ( مصر الحديثة ) اذ يقول : « ان الرجل المسلم يتمسك باسلامه لما يمكنه الاسلام من السيادة على المرأة ، وهو في تمسكه بالاسلام اشد تمسكا به من المرأة المسلمة ، ويعلل هذا الافتراض بأنه ظاهرة في الحياة الاسلامية ·· ترجع الى اختلاف وضع كل من الرجل والمرأة في الاسلام على النحو المشار اليه ·

**الاستعمار لا يزال يناهض الاسلام**

والاستعمار يتربص بالعرب والاسلام الدوائر ، بعمل ايجابي ايضا هو تمجيد القيم الغربية المسيحية بمقارنتها بالقيم الاسلامية ·· والتيئيس من التضامن والتكتل الاسلامي ·· ليصل بذلك الى تفتيت وحدة المسلمين الى الابد ·· ومظهر هذا التمجيد للقيم الغربية يظهر في أبراز التفوق الغربي في الصناعة ·· وبالتالي في زيادة الدخل الخاص والعام وازدهار المدنية والحضارة ·

* * *

لقد كان المبشرون والمستعمرون بالامس يسخرون من الرسول الكريم ( صلوات الله وسلامه عليه ) ويطعنون في القرآن الكريم ·· بل كانوا يتجاهلون السيرة النبوية وما للرسول الكريم من آثار خالدة في الجهاد ·· انهم يكتبون عن الرسول ماشاء لهم من الخيال ليخفوا عن انفسهم آلام هزائمهم امام المسلمين في الحروب الصليبية ··

وقد بلغ من حقدهم في عداوتهم للاسلام ان كنيسة روما في سنة ١٥٣٠م احرقت في مدينة البندقية نسخة من القرآن الكريم وحرم البابا اسكندر طبعه او طبع ترجمته وكان المستشرقون - ليبرروا ترجماتهم للقرآن الكريم - يمهدون لأعمالهم بمقدمة وتذييلات لتفنيد القرآن الكريم ودحضه واثباتا لحسن ايمانهم بالكنيسة وبالكتاب المقدس ودفعا للشبه أمام اهل ملتهم ٠٠هذا والقرآن باعجازه : كالجبل الراسخ ٠٠لا يعبأ بترهاتهم ولا تنال من حقائقه اكاذيبهم ٠

## لا يستطيع بنو البشر ان يطفئوا نور الشمس

من الفيوضات الربانية للأمة الاسلامية ان هذه الحركات التبشيرية قد خدمت الاسلام والمسلمين ٠فظهر في الاسلام رجال دافعوا عن الاسلام ٠٠ وكتبوا كتبا اصبحت مع الايام مراجع علمية زاخرة ٠٠ كما قيض الله من بين رجال الغرب علماء انصفوا الحقيقة فكتبوا اروع ماكتبوا عن الاسلام والقرآن الكريم هذا بالرغم مما بذله الاستعمار بنفوذه ودهائه ومؤازرته للتبشير بالفكر المسيحي وبحضارة المسيحيين ٠٠تيئيس المسلمين في صور شتى في مستقبلهم وفي علاقاتهم بالاسلام ٠٠

بالرغم من كل ذلك وجد من قادة الفكر الحر من الغربيين ومن المسلمين من تصدى لمثل هذه الضلالات في اوروبا وفي اسيا وافريقية ٠٠

لقد اخذ الاسلام مع بزوغ القرن الثامن عشر وفي العصر الذي يسمونه بعصر النور والاصلاح - اخذ من قادة الفكر الغربي اعتبارا جعلهم يحسنون تقديرهم للاسلام شيئا فشيئا على نحو مستمر ، ولكنه لا يكاد يحس به انسان من فرط بطئه ٠٠ فهناك الآن رجال احرار ينصفون الاسلام في كتاباتهم ، ويستعينون بمراجع غير تلك التي كتبها المستشرقون والمبشرون ٠٠

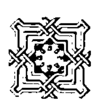
وفي الهند ظهر « محمد اقبال » يهاجم القاديانية هجوما عنيفا ٠٠

من الوجهة الاسلامية والوطنية ·· وفي مصر ظهر الامام الشيخ محمد عبده يهاجم الاستشراق ، ويضطره هذا الهجوم الى الكتابة عن نوايا الاسلام بالنسبة للمسيحية ·

ومع هذين الرجلين محمد اقبال ومحمد عبده ظهر جمال الدين الافغاني في الفترة من سنة ١٨٣٩ ـ ١٨٩٣م في اوج الحركة التبشيرية والنفوذ الاستعماري في الشرق ··

ظهر يحمل على السيد احمد خان وينقد كتابه وفلسفته ( السلوك الطبيعي ) نقدا مرا في كتابه « الرد على الدهريين » ··

هؤلاء الثلاثة كانوا من المفكرين ·· وكان ثلاثتهم من السياسيين ، اصحاب التوجيه ضد الاستعمار ··



# لماذا أسلمنا..؟

بأقلام نخبة من رجال الفكر

من طبيعة الاسلام ، أنه بسماحته وصفائه وبسهولة تلقيه ٠٠ الى جانب انسجامه مع الفطرة ، وتلاقيه مع العقل ٠٠ يصل الى النفوس قبل أن يصل اليها عن أي طريق آخر ٠٠ من طرق الحوار والاقناع ٠٠ والاسلام بميزته هذه يختلف ولاشك كل الاختلاف عن سائر الأديان ، وسائر الفلسفات ٠٠ وهو بميزته هذه أيضا قلما يحتاج الى جهد كبير في الدعاوة له والدعوة اليه ٠٠

ان الاسلام هو الدين الذي لا يتردد في قبوله والانتماء اليه كل من يستمع الى ندائه بقلب صاف وتفكير سليم ، بعيدا عن نزعات الحقد والتعصب ، بعيدا عن الالتواء ، وعن الغرض والهوى ٠٠

لا نستغرب ـ اذن ـ حينما نرى الاسلام ، وهو ينفرد بميزته هذه ، دون سواه ، لا نستغرب من أن يستمر الاقبال عليه في كل بقعة من بقاع الأرض ٠٠ وان نرى هذا الاقبال المنقطع النظير « في معظمه تلقائيا » دون أن تصحبه دعاية أو تبشير ٠

ولعل هذا الكتاب الذي نعرض له اليوم ٠٠ وما سنجده فيه من شهادات واعترافات لاشخاص ولدوا ونشأوا بعيدين عن الاسلام ٠٠ ثم اهتدوا اليه بحوافز صادرة عنهم ٠٠ لعل كل هذا فيه ما يكفي ويغنينا عن أي مزيد في القول في هذا المجال ٠

ان كتاب « لماذا اسلمنا » لم يعد في حاجة الى تعريف ، بعد ان اشتهر

أمره وذاع واعادت نشره ـ مشكورة ـ رابطة العالم الاسلامي ، ووزعت منه عشرات الآلاف من النسخ في مختلف ارجاء العالم الاسلامي ·

وقد ظهر الكتاب باللغة الانجليزية أولا ويعود الفضل في ترجمته الى اللغة العربية الى سمو الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني وزير معارف قطر كما يشير الى ذلك مترجمه الاستاذ مصطفى جبر في تقديمه للكتاب ·

ولا تفوتنا الإشارة الى ان في الكتاب مقدمتين اخريين احداهما بقلم الاستاذ ابراهيم أحمد باواني ، والثانية للأستاذ خورشيد احمد ، وقد أفاض فيها الحديث عن الاسلام وعقائده الأساسية ، وخصائصه وما الى ذلك من فضائل ومحامد ·

وقد اشتمل الكتاب على كلمات لأكثر من أربعين شخصا من هؤلاء الأخوة ·· وغالبهم من نخبة المثقفين ·· منهم السياسي ، ومنهم العالم والأديب والطبيب والمهندس ·· بل ومنهم من كان يمارس التبشير بالدين المسيحي ·

ومنهم سيدات من انجلترا والمانيا واستراليا واليابان ·

والآن لنمض مع الكتاب :

## رجال دولة ورجال سياسة

أبرزهم وأكثرهم شهرة الحاج اللورد « هدلي » المعروف ، ولعله من أسبق من اعتنقوا الاسلام من الانجليز ·· يقول في كلمته : « من المحتمل أن يتصور بعض أصدقائي اني وقعت تحت تأثير المسلمين ·· ولكن ذلك ليس هو السبب في تحولي الى الاسلام ·· لأن اقتناعي كان حصيلة لدراسة دامت سنوات عديدة ·

لم تبدأ مناقشاتي مع المسلمين المثقفين الا منذ أسابيع قليلة ·· وكم كان اغتباطي وانشراح صدري عندما وجدت أن نظرياتي في مقدماتها ونتائجها كانت تتفق تماما مع تعاليم الاسلام ·

إلى أن يقول : انني أعتقد أن هناك آلافا عديدة من الرجال والنساء مسلمون في ذات قلوبهم · ولكن يمنعهم من اعلان هذه الحقيقة

مراعاتهم للعرف ، وخوف من النقد والاتهام ٠٠ ورغبتهم في تلافي ما يتبع اعلان هذا التحول من مشاكل ،

لقد اقدمت على الاعلان بأني اعتنقت الاسلام مع ثقتي التامة بأن كثيرا من أصدقائي واقربائي ينظرون لي الآن كأنني ضللت سواء السبيل في عرفهم الى حد لا يجدى معه نصح أو ينفع دعاء ٠٠

لقد بينت في ايجاز بعض الدوافع التي حدت بي الى اتباع تعاليم الاسلام ، وبينت انني اعتبر نفسي بهذه الخطوة نفسها اصبحت مسيحيا افضل مما كنت قبل ذلك ٠٠ وانني لاهيب بغيري ان ينهج نفس المنهاج الذي اعتقد مخلصا انه الصراط المستقيم ٠٠ الذي يجلب السعادة لهؤلاء الذين يرون فيما اقدمت عليه خطوة الى الأمام ، وليس فيها على اية حال معنى العداء للمسيحية ٠

واللورد هدلي من اكبر الشخصيات البريطانية ٠٠ كان سياسيا ومؤلفا ، درس في كامبردج واصبح مهندسا ، وكان يوما محررا لجريدة « ساليسبوري جورنال » وله مؤلفات عديدة أشهرها « رجل من الغرب يعتنق الاسلام » ٠

وقد أعلن اسلامه في يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٣م وأصبح اسمه الشيخ رحمة الله الفاروق ٠٠

ومنهم : سير عبد الله ارشبيولد هاملتون وهو رجل دولة وبارون ، ومن الشخصيات البريطانية المرموقة ، يقول في كلمته : « ماكدت أبلغ سن الادراك والتمييز حتى راود قلبي جمال الاسلام وبساطته ونقاؤه ٠٠ ورغم اني ولدت ونشأت مسيحيا ، فانني لم أستطع مطلقا أن اؤمن بالعقائد التي تسلم بها الكنيسة وتفرضها ، وكنت دائما أجعل العقل والادراك فوق الايمان الأعمى ٠

ومع مرور الزمن أردت أن أحيا وفق مشيئة خالقي ، لكنني وجدت كلا من كنيسة روما ، والكنيسة الانجليزية لا يقدمان لي ما يروي غلتي ٠٠ وما كان اعتناقي للاسلام إلا تلبية لنداء ضميري ٠٠ ومنذ

تلك اللحظة بدأت أشعر أنني أصبحت اقرب الى الانسانية الصحيحة ٠

ليس ثمة دين يلقى من عداء الجهلة واحقاد المغرضين ، كما يلقى دين الاسلام ، وياليت الناس يعلمون !! انه الدين الذي يتعاطف فيه الأقوياء مع الضعفاء ٠٠ والأغنياء مع الفقراء ٠٠ الخ ٠

**ان هذا الدين بين جميع**
**الأديان أقدرها على السمو بالبشرية**

ومنهم السياسي والمؤلف والصحفي « محمد اسكندر راسيل وب » الذي يقول « تسألني لماذا ـ وأنا الأمريكي المولد في بلد يدين اسميا بالمسيحية ونشأت في بيئة تقطر مسيحية أو على الأصح تتشدق بالمسيحية الارثوذكسية على منابر الوعظ ٠٠ لماذا تخيرت الاسلام هاديا لي في حياتي ؟

أستطيع الاجابة على الفور ، وأنا صادق فيما أقول : انني اتخذت هذا الدين سبيلا لحياتي لأنني ـ بعد دراسات طويلة ـ وجدته خير الأديان ، وانه هو الوحيد بينها الذي يلبي الاحتياجات الروحية للجنس البشري » ٠

الى أن يقول : « ان روح العقيدة الاسلامية الحقة تكمن في الخضوع لارادة الله وحجر الزاوية فيها الصلاة ٠٠

والاسلام دعوة الى الأخوة العالمية ٠٠ والى المحبة بين العالمين جميعا ٠٠ والى الخير للناس كافة ٠٠ ويتطلب طهارة العقول ٠٠ وطهارة العمل ٠٠ وطهارة الحديث ٠٠ ويدعو الى طهارة البدن ونظافته ٠٠

ان هذا الدين ـ بين جميع الأديان التي عرفها العالم ـ هو ولاشك ابسطها ، وهو في نفس الوقت اقدرها على السمو بالبشرية ٠

***

**لماذا يعتنق الغربيون الاسلام**

ومنهم « محمد أمان هو بوهم » من المانيا ٠٠ وهو سياسي ومبشر وباحث اجتماعي يتساءل : لماذا يعتنق الغربيون الاسلام ؟ ويجيب

« هناك أسباب كثيرة تدعو لذلك ·· وفي مقدمة هذه الأسباب ان للحق دائما قوته ·· والعقائد الأساسية في الاسلام كلها تتفق مع العقل وطبيعة البشر ، ولها من الجلال والاغراء ما لا يملك معه الباحث الأمين عن الحقيقة ·· الا أن يستجيب لها ·

خذ مثلا عقيدة التوحيد ، وانظر كيف ترتفع بكرامة الانسان وكيف تحرر عقولنا من الخضوع للخرافات ، وكيف انها تلقائيا تنتهي الى المساواة بين الناس ، لأن خالقهم واحد ·· وهم جميعا عباد لهذا الاله الخالق ··

والايمان بالله ـ عند الألمان بصفة خاصة ـ مصدر للالهام ، ومصدر للشجاعة التي لا يتطرق اليها الخوف ·· ومصدر للشعور بالأمن والطمأنينة ·· والايمان بالحياة الاخرى بعد الموت يغير نظرتنا الى الحياة ·· فلا تصبح هذه الحياة الدنيا كل همنا ·· ونوجه قسطا كبيرا من نشاطنا الى نيل السعادة في الحياة الآخرة ·

الى أن يقول : « شيء أخر يجذب غير المسلمين الى الاسلام ·· ذلك هو تأكيده مبدأ التسامح ، والصلوات اليومية تعلم الناس المواظبة ·· كما ان شهر الصوم رياضة تعود الانسان على ضبط النفس والسيطرة عليها ·· ومما لا ريب فيه ان المواظبة وضبط النفس صفتان من ابرز صفات الرجل الصالح والرجل العظيم ··

ثم يقول : « لقد عشت في ظل نظم مختلفة ، ودرست كثيرا من النظريات والفلسفات فانتهيت الى أن الاسلام لا يدانيه في كماله أي من هذه النظم » ·

## العلماء ورجال الفكر والكتاب

ومن هذا الفريق : فريق العلماء ورجال الفكر والكتاب : « على سليمان بنوا » الفرنسي ، وهو دكتور في الطب ، يقول ضمن ما يقول :

« ··· كنت قبل أن أعرف الاسلام مؤمنا بالقسم الأول من الشهادتين ، « لا إله إلا الله » ·· وبهذه الآيات من القرآن « قل هو الله

أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد » من سورة الاخلاص ٠٠ إلى أن يقول :

« ٠٠ أما مركز الثقل والعامل الرئيسى فى اعتناقى للاسلام ، فهو القرآن ٠٠٠ بدأت قبل أن أسلم فى دراسته بالعقلية الغربية المفكرة النافذة ٠٠ وانى مدين بالشىء الكثير للكتاب العظيم الذى الفه المفكر « مالك بن نبي » واسمه ( الظاهرة القرآنية ) فاقتنعت بأن القرآن كتاب وحى منزل من عند الله ٠

ان من بين آيات هذا القرآن الذى أوحى به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا مايحمل نفس النظريات التى كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية كان هذا كافيا لاقتناعى وايمانى بالقسم الثانى من الشهادتين : « محمد رسول الله » ٠

وهكذا تقدمت يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٣م الى المسجد فى باريس ، وأعلنت إيمانى بالاسلام ، وسجلنى مفتى مسجد باريس فى سجلات المسلمين ، وحملت الاسم الاسلامى الجديد « **على سليمان** » ٠٠

## ونساء اعتنقن الاسلام

منهن : الليدي ايفلين زينب كوبولد من انجلترا تقول :

« كثيرا ما سئلت : متى ولماذا أسلمت ؟ وأستطيع الاجابة : بأننى لايمكننى تحديد اللحظة الحاسمة التى أشرق فيها نور هذا اليقين على قلبي ، ويبدو أننى كنت مسلمة منذ البداية ٠٠٠ ولاعجب فى هذا اذا علمنا أن الاسلام دين الفطرة يشب عليه الطفل اذا ترك على فطرته ، وقد صدق أحد علماء الغرب اذ يقول : « الاسلام دين العقل والفطرة » ٠٠٠

وكلما زادت دراساتى وقراءتى عن الاسلام ، زاد يقيني فى تميزه عن الأديان الأخرى ، بأنه أكثرها ملاءمة للحياة العملية ، وأقدرها على حل مشكلات العالم العديدة والمعضلة ، وعلى أن يسلك بالبشرية سبل السعادة والسلام !

## أسلمت لاننى كنت فى قرارة نفسى مسلمة

وهذه سيدة أخرى من أستراليا : « سيسيليا محمودة كانولى » تتساءل : لماذا أسلمت ؟ وتجيب :

« أولا وقبل كل شيء أود أن أقول : اننى أسلمت لاننى كنت فى قرارة نفسى مسلمة ··· دون أن أعلم ذلك ··· » ·

الى أن تقول :

« ··· ولو أن أحدا سألني عن أهم جانب فى الاسلام اجتذبنى ، لاجبت انها الصلاة ··· لان الصلاة فى المسيحية لا تعدو أن تكون دعاء لله ( بواسطة المسيح ) ، ليمنحنا خير الدنيا ·· أما فى الاسلام فهى ثناء على الله ، وتحميد له على كافة نعمه ، لأنه العليم بما ينفعنا ويمنحنا ما يلزمنا دون أن نسأله من ذلك شيئا ·

## الاسلام هو وحده الكفيل بالأمن والطمأنينة

ومن اليابان ، الآنسة فاطمة كازو ، تقول :

« ··· كان من حسن حظي أن أتعرف الى رجل مسلم يقيم فى طوكيو منذ حين ·· وكان سلوكه وطريقته فى العبادة يثيران دهشتى ·· فسألته عن أمور كثيرة كانت اجاباته عنها شافية مقنعة تشبع العقل والروح معا ··

لقد علمنى كيف يجب على الانسان أن يحيا وفق الحدود التى رسمها الله ، وما كان يدور فى خلدى قط من قبل أن تتغير نظرة الانسان الى الحياة بمثل تلك السرعة الهائلة التى رأيتها فى ذات نفسي عندما نهجت سبيل الحياة الاسلامية وشعرت اننى على وئام مع خالقي ··

انظر الى تحية المسلم : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » انها دعاء للسلام من عند الله ودعاء بالسعادة الأبدية ·· وشتان ما بين هذه التحية وغيرها من « صباح الخير » و « مساء الخير » ·· تلك التحيات المادية والموقوتة ··· بتمنى الخير صباحا ومساء ··· ليس فيها معنى الرجاء الدائم ··· وليس فيها دعاء لله نستمطر به رحمته وبركاته ·

لقد علمنى هذا الصديق المسلم كثيرا مما يؤمن بـه المسلم ، ومما يؤديه من عبـادة ٠٠ واننى لتستهوينى طريقـة الحياة الاسـلامية فى صفائها وبساطتها ، وانطباعها بالسلام ٠٠٠

اننى مقتنعة تماما بأن الاسلام هو وحده الكفيل بالأمن والطمأنينة فى حياة الأفراد والجماعات على السواء ٠٠٠ وأنه وحده هـو الذي يقدم للبشرية السلام الحقيقى الذى طال سعيها وتشوقها اليه ٠

ويسعدنى أنني وفقت الى هذا السلام ٠٠٠ وكم أتمنى لو أستطعت أن أنشر الاسلام بين قومى ما وجدت لذلك سبيلا ٠

## المصلحون والوعاظ
## ورجال الاجتماع

من هـذا الفريق عـالم الأجتماع البـولنـدى « اسمـاعيـل ويسلو زيجريسكى » ، الذي يقول :

« ٠٠٠ درست الأديان المختلفة ٠٠٠ وعلى الأخص تاريخ وأصول الصاحبية ٠٠٠ « الكويكرز » والتـوحيد النصـرانى ٠٠٠ والبهائيـة والبوذية ٠٠ فلم يقنعني أي واحد منها ٠٠

وأخيـرا اكتشفت الاسـلام حـين وقعت عـلى كتيب عنـه بلغـة الاسبـرانتو ٠٠٠ كتبـه مسلم انجليزى اسمـه « اسمـاعيـل كـولين أيفانز » ٠٠٠ ففتحت آذاني الى نداء الله ٠٠٠ وكان ذلك فى فبراير سنة ١٩٤٩ ٠٠ ثم جاءني كتيب اخر من دار التبليغ الاسلامى بالقاهرة مع بعض مؤلفات مولانا محمد على ٠

وجدتنى على توافق مع الاسلام ومبادئه التى كنت الفها منذ نعومة أظفـارى وجدت فى الاسـلام التشريـع الكامـل الشامـل لكـل وجـوه الحياة ٠٠ القادر على قيادة الفـرد والجماعـة تجاه اقـامة « المملكـة الربانية » على الأرض ٠٠ التشريع الذى فيه من المرونة ما يجعله ملائما لظروف العصر الحديث ٠٠

## عشت حياة المسلمين عقيدة وعملا

ومنهم أيضا ـ من رجال الاجتماع عبدالله باترسبى » وهو رائد بالجيش البريطانى ٠٠ يقول :

« ٠٠٠ لقد كان يوما عظيما فى حياتي هذا الذى أعلنت فيه اسلامى رسميا فى المحكمة الشرعية فى ( بيت المقدس ) ويطلق عليها العرب « القدس » أي : المدينة المقدسة ٠٠٠

كنت فى ذلك الوقت « رئيس أركان الحرب » وكان اعلانى لاعتناق الاسلام سببا فى بعض المضايقات ٠٠٠ ومنذ ذلك الوقت عشت حياة المسلمين عقيدة وعملا فى مصر ٠٠ ثم أخيرا فى باكستان ٠٠٠

والاسلام دين يضم أضخم مجموعة من الاخوة تعدادهم حول خمسمائة مليون مسلم ٠٠٠ والأنتساب اليه انتساب الى الله ٠

## الاسلام هو السلام

وهذا « عمر ميتا » من اليابان ، وهو من رجال الاقتصاد ، وباحث اجتماعى وواعظ وشخصية معروفة فى هذه البلاد ، يفيض فى حديثه ٠٠ ويقول ضمن مايقول :

« من فضل الله علي أن وفقني الى حياة أسلامية سعيدة منذ ثلاث سنوات ، وانى مدين بهذا التوفيق الى اخوان التبليغ الباكستانيين الذين زاروا بلادنا ٠٠ فكان أن هداني الله بهم الى الطريق المستقيم ٠٠٠

« ان غالبية أهل بلادنا بوذيون ٠٠ ولكنهم بوذيون بالاسم فقط فلا يمارسون طقوس البوذية ٠٠٠ بل لايكادون يكترثون بالدراسة الدينية ٠٠٠ وربما كان السبب فى جفوتهم لدينهم أن البوذية تقدم للناس فلسفة رنانة معقدة ٠٠٠ ولكنها لاتقدم لهم مثلا عملية ٠٠٠ وهى لذلك بعيدة المنال بالنسبة للرجل العادى الذى تشغله أمور حياته الدنيوية ٠٠ فلا هو مستطيع أن يفهمها ٠٠ ولا هو قادر على تطبيقها ٠٠

ولكن الاسلام يختلف عن ذلك كل الاختلاف ٠٠ فتعاليمه سهلة

بسيطة وواضحة لا التواء فيها ٠٠٠ وهى فى نفس الوقت عملية الى أبعد الحدود ٠٠

والاسلام ينظم الحياة البشرية فى كافة جوانبها ، ويصقل التفكير الانسانى واذا ما صلح التفكير الانسانى وصفا ٠٠ صلح معه العمل تلقائيا ٠٠

والرجل العادى يستطيع أن يفهم تعاليم الاسلام لبساطتها وسهولة تطبيقها ولذلك لاتجدها حكرا على طائفة من رجال الدين القساوسة ٠٠ كما نرى ذلك فى الأديان الأخرى ٠٠

وانى أتوقع أن يكون للاسلام فى اليابان شأن عظيم فى المستقبل ٠٠ وربما صادفته بعض العقبات والصعوبات ٠٠ الا أن التغلب عليها غير عسير ٠٠٠ ٠

ولتحقيق ذلك أرى من الواجب فى المقام الأول ضرورة بذل جهود كبيرة متواصلة للتعريف بالاسلام وتعاليمه الى شعبنا الذى يتجه يوما بعد يوم نحو المادية ٠٠ ولكنه لايجد فيها سعادته ٠٠٠ يجب أن نوضح لهم أن السلام الحقيقى والاطمئنان النفسي يكفلهما الاسلام ٠٠٠ لأنه نظام كامل للحياة ٠٠٠ يأخذ بيدهم ويوجههم الى ما فيه خيرهم فى شتى نواحيها ٠٠

ويأتى بعد ذلك واجب الذين يقومون بالتبشير بالاسلام وتعاليمه ، فلابد أن تكون حياتهم وتصرفاتهم كلها نموذجا عمليا لما يدعون اليه غيرهم ولعل من سوء الطالع أن الطلبة الذين يفدون الى اليابان من مختلف البلاد الاسلامية ٠٠ ليس فيهم من يقدم لنا مثالا للرجل المسلم فنقتدي به ٠٠٠ ولا نجد لديهم من الارشاد والتوجيه ما يفيدنا ٠٠٠ بل نرى أكثرهم يعيشون معيشة أهل الغرب ٠٠٠ ولايعرفون شيئا عن الاسلام ٠٠٠ لانهم درسوا فى معاهد انشأتها الدول الأوروبية ٠٠٠ وأكثرها يشرف عليها الرهبان ٠٠٠ واذا كان للاسلام أن ينتشر فى اليابان ، وانى لعلى يقين من أن ذلك سيكون ٠٠ فان على أنصار الاسلام

ومحبيه أن يفكروا فى الأمر ، وأن يبذلوا فى سبيل ذلك جهودا متواصلة ومركزة ٠٠٠ وعلى هؤلاء المسلمين المؤمنين الذين تتفق حياتهم مع تعاليم دينهم أن يزوروا اليابان لتعليم الناس ٠٠٠ وتقديم القدوة اليهم ٠٠٠ لان شعبنا متعطش الى السلام والصدق والأمانة ٠٠ والفضيلة وما الى ذلك من نواحى الخير فى الحياة ، وانى واثق كل الثقة ان الاسلام ، والاسلام وحده ، هو الذى يستطيع أن يروى ظمأهم ٠٠

اننا فى حاجة الى الثقة الكاملة فى الله ، حتى نستطيع اداء هذه الرسالة ، واننا لنضرع الى الله أن يرزقنا الايمان واليقين ٠

الاسلام هو السلام ٠٠٠ وليس بين شعوب الأرض من هو فى حاجة للسلام أكثر من شعب اليابان ، واذا أردنا السلام الحقيقى فعلينا أن نؤمن بدين السلام ٠٠٠ السلام مع الناس جميعا ٠٠٠ ومع الله ٠ ذلك أن الأخوة فى الاسلام مبدأ ينفرد به هذا الدين ٠٠ وعليه تتوقف سعادة البشرية جميعا ٠٠

ومن ايران نجد البروفسور « عبدالأحد داود » بكالوريوس لاهوت وأصله كلدانى ٠٠ يقول :

« لا أستطيع أن أعزو اعتناقى للاسلام الا الى الهدى الكريم من لدن رب العالمين وبغير هدي الله لاتفيد دراسة ولا بحث ٠٠ ولا أي جهد نبذله فى الوصول الى الحق ، بل قد تؤدى هذه بنا الى الضلال ٠

ومن اللحظة الأولى التى اهتديت فيها الى الايمان بوحدانية الله ، أصبح رسول الله « محمد صلى الله عليه وسلم » قدوتى فى خلقى وسلوكى » ٠٠





# المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام

الشيخ محمد محمود الصواف

ربما يعجب بعض القارئين ممن خلت اذهانهم بعض الشيء ٠٠ عن مخططات الاستعمار وعن الخطر الصليبي الجاثم باستمرار في وجه الأمة الاسلامية : ربما يعجب هذا البعض عندما يلاحظ تكرار الحديث عن المؤلفات التي تتكلم عن الاستعمار :

فان كان هنالك ـ حقا ـ من يعجب لذلك ٠٠ لسبب أو لآخر فاننا نقول له في وضوح ان هذا الاستعمار ياأخي ! لا يكل ولا يمل ٠٠ لا من الحديث فحسب عما يجب ان يصنعه مع عدوه الالد : الاسلام ! وانما من العمل الدائب المستميت وفي كل وقت سرا وعلانية دون ان يجد امامه ـ على اي حال ـ من يقول له : « قف » أو يسأله : لماذا ؟

وللاستعمار ـ ياأخي ـ مع الاسلام في كل يوم حادث ، وفي كل ساعة حديث ٠٠ بل ان اهتمام الاستعمار بالاسلام يكاد يفوق اهتمام المسلمين انفسهم باسلامهم أفيكون احدنا مبالغا ٠٠ او مكثرا عند ما يحاول الا يتجاهل الواقع ؟ او يتناسى الاحداث ؟؟

كلا ليس في الأمر اية مبالغة ٠٠ ان كان يوجد من يقول بهذا القول ؛ او يتصور هذا التصور من ضحايا الغزو الفكري المستتب ٠٠ اولئك الذين اخذت بمجامع قلوبهم حضارة الغرب ، وفلسفات الغرب ، مخدوعين في ذلك بما يبدو على هذه الحضارة وعلى هذه الفلسفات من بريق ولمعان !

اما بعد فهذا كتاب جديد يلقي الاضواء الكاشفة حول المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ٠٠

انه كتاب يضع النقاط على الحروف كما يقولون ٠٠

انه كتاب لا نشك في ان الكثيرين ممن سيمرون بعرضه هذا المجمل سوف يقولون ولهم عذرهم ان هذه الحقائق الواردة فيه : تفوق الخيال ، ونحن معهم نقول ذلك ايضا ٠٠ واذن فأي حقد هـذا ؟ او اي عداء هذا ؟ او اي عالم هذا - يأأخي - هذا العالم الذى يعيش فيه المسلمون : عالم المخططات الاستعمارية ؟!

**مخططات الاستعمار الرهيبة**

ان المؤلف في هذا الكتاب يتناول بالبحث الشامل مخططات الاستعمار الرهيبة ٠٠ فتشعر وانت تقرأ الكتاب بمدى الجريمة الشنعاء يتمادى فيها اصحاب هذه المخططات ٠

والغريب اتفاقهم عليها روحا ووجهة وغاية على اختـلاف منازعهم وعقائدهم واهوائهم ، وعلى ما بينهم من عداوات وخصومات ، وحزازات واحقاد !

فالمسيحية هي العدوة اللدود لليهودية منذ القديم ، والعهد الجديد بأناجيله الاربعة كلها يقول بأن اليهود هم مرتكبو جريمة قتل المسيح عليه السلام - بزعمهم - غير ان المسيحية في القرن العشرين لا ترى بـأسا من تكـذيب كتابهـا المقدس لتحـاول بـذلك ان تكسب اليهـود الصهيونيين ليقف الجميع صفا واحدا دائما وفي كـل وقت في حربهم الطاحنة ضد الاسلام ٠

والشيوعية هي من ناحية اخرى الخطر الاكبر الذي يخشاه الغرب الرأسمالي ويحاول تجنيد العالم كله من اجل محاربتها ٠٠ غير ان الغرب لا يرى بأسا ٠٠ بل هو يرى من الوجوب ايضا ان ينقلب صديقا حميما للماركسية عندما تقف بازاء الاسلام ! ولعلنا لم ننس بعد كلمـة ذلك المستشرق « لورانس براون » التي نقلها الاستاذ محمد الغزالي في كتابه

« معركة المصحف في العالم الاسلامي » والتي يقول فيها بكل صراحة :
« لقد كنا نتوجس الخوف من شعوب مختلفة لكننا بعد طول الاختبار لم نجد ما يبرر قلقنا ·

خوفونا بالخطر اليهودي ·· وبالخطر الشيوعي ·· وبالخطر الاصفر ·· الا ان هذه المخاوف لم تستند الى أساس لقد وجدنا اليهود اصدقاءنا ··والبلاشفة حلفاءنا ·· ومن ناحية الخطر الاصفر ·· فهناك دول كبرى تتكفل بالقضاء عليه ··

ان الخطر الحقيقي يكمن في نظام الاسلام لأنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوربي ··

واذن ·· فسنجد في هذا الكتاب ، او على الاصح في بعض ما تتسع له هذه الصفحة من الجوانب التي تناولها المؤلف بالاشارة والتنويه ، سنجد اي مخطط هائل هذا الذي يتمشى عليه الاستعمار منذ القديم بالنسبة للاسلام والمسلمين ؟!

يبدأ المؤلف حديثه فيقول : نظر الاعداء الى حربهم معنا بالسيف فرأوا انها حرب خاسرة ، أكلت شبابهم ، وافنت رجالهم ، وقضت على احلامهم وآمالهم ، واخيرا جاء صلاح الدين الايوبي عليه الرحمة والرضوان فحطم آخر امل من امالهم وطردهم من ديار الاسلام شر طردة ، واصلح ماكانوا قد افسدوه ، وبنى ماكانوا قد هدموه ، واعاد للاسلام شبابه ومجده ·· أما الصليبيون الغادرون واعداء الاسلام في كل مكان فكادت الحسرات والزفرات تقطع نياط قلوبهم السوداء التي ران عليها والتي اكلها الحقد والحسد والغيظ والحنق على الاسلام ·

نظر هؤلاء الاعداء الى حربهم معنا بالسيف فرأوها حربا خاسرة ·· الى ان يقول : فكر هؤلاء الاعداء فأجمعوا على ان سر نهضتنا انما يكمن وراء ديننا ·· وان الاسلام هو مبعث وحدتنا وقوتنا ·· ثم اجمعوا امرهم وقالوا · تعالوا نهدم بنيانهم بهدم اسلامهم فنحاربه في نفوسهم ·· ونضعفه في قلوبهم ·· وننفرهم منه ·· ونبعدهم عنه ··

ونشغلهم بمبادىء اخرى ·· ونفرق كلمتهم ونشتت شملهم ·· ونرجعهم كما كانوا قبل الاسلام امما وشعوبا وقبائل وعشائر وحمائل وفصائل ·· وعملنا هذا كفيل بسيطرتنا عليهم ·· واستيلائنا على ديارهم وانتصارنا على قواعدهم وحصونهم ·· ومن هنا يؤتون ·· ولا يمكن ان ننتصر عليهم ، او نتغلب عليهم في معركة مهما قويت ومهما أعددنا لها من عدة وعدد ما داموا ملتفين حول شريعتهم وهي سر عظمتهم فعلينا بهدمها ·· وهدمها كفيل بهدم بنيان المسلمين في كل مكان ·

**تعاون من أجل هدم الاسلام**

اجمعوا امرهم على هذا وتآمروا على الاسلام ، ثم انطلقوا يضعون المخططات ويرسمون الخطط لتنفيذ ما اتفقوا عليه ، ومن هذه المخططات التي اجمعوا عليها وانتصروا بها :

١ ـ فتح المدارس الاجنبية في سائر ديار المسلمين وتكثيرها وتنويعها ·· ففتحوا المدارس التي كمن التبشير والاستعمار في طيات كتبها المسمومة الخ ··

٢ ـ ومنها ·· من هذه المخططات ارسال البعوث وتكثير الارساليات التبشيرية لتنشر مكامن التبشير في كل مكان ، وتشكك الشباب المسلم في دينه وعقيدته ، وتحيطه بسياج من اوهامها وضلالاتها ،، ومن وسائلهم فتح المستشفيات والمستوصفات ودور التمريض ··

٣ ـ ومنها ارسال اكبر قدر ممكن من شباب المسلمين الى ديار الغرب لينهلوا من ثقافته المسمومة هناك ·

٤ ـ ومنه نشر الكتب المفسدة العابثة المضللة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الاصيلة وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن الذي سيجرهم الى المجون والجنون ·

٥ ـ ومن هذه المخططات السيطرة قدر المستطاع على برامج التعليم في الديار الاسلامية وتوجيه التعليم توجيها علمانيا ، لا يؤمن بدين ، ولا

يصدق برسول ، وينطلق نحو الالحاد والفساد ٠
٦ ـ ومنها نشر المجلات الخليعة ، المشحونة بما يثير غرائز الشباب ٠٠ الخ ومن هذه المخططات ٠٠ العمل على الغاء المحاكم الشرعية في ديار المسلمين ودور الافتاء ، والسيطرة على اوقاف المسلمين ونشر القوانين الوضعية الخ ومنها : تشويه حقائق الاسلام ووضع الاسلام في قفص الاتهام والتركيز على القرآن الكريم وتوجيه الهجوم عليه وترجمته لغرض محاربته ٠

ومنها توجيه الأدب والأدباء والصحافة وجهة علمانية لا دينية ، والسيطرة على دور النشر والتوزيع وانشاء دور ضخمة للطباعة والنشر والتأليف تتولى نشر ما يريده الاستعمار ورجاله في اوساط المسلمين ، وقد انشئت فعلا في بعض العواصم الاسلامية كثير من هذه الدور ٠

ومن هذه المخططات : تشويه التاريخ الاسلامي والتشكيك في حوادثه وابراز الجوانب الضعيفة أو المؤسفة فيه ٠٠ الخ ٠٠

ومنها : انشاء المذاهب والمبادىء الهدامة كالماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها ، واشغال المسلمين بها واخراجهم من دينهم بواسطتها وانشاء الاحزاب السياسية المتنافرة والمختلفة المبادىء والاتجاهات بزعامات فارغة ٠٠ يوجهها رجال من الشرق وهم جميعا اعداء الاسلام ٠٠ ومنها العمل على افساد المرأة المسلمة ٠٠ ثم اخراجها باسم الثقافة والحرية والديموقراطية سافرة ومتبرجة وجعلها احبولة الفساد في المجتمعات الاسلامية ٠٠

ومنها : محاربة اللغة العربية الاصيلة والدعوة الى العامية ، أو الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية لقطع الصلة بين ماضي المسلمين وحاضرهم وضياع كنوزهم العلمية التي تركها لهم سلفهم الصالح وكانوا بها خير امة اخرجت للناس ٠

ومن هذه المخططات : اتفاق الاستعمار والصهيونية العالمية على مكافحة الاسلام ووضع قدم للاستعمار في فلسطين قلب البلاد

الاسلامية بـواسطة اليهـود وباسم العـطف على قضـاياهم وشعبهم المنكوب وتحويل قضية فلسطين من قضية اسلامية مقدسة الى قضية قومية لا ارتباط لها بالاسلام ٠٠

ومن هذه المخططات واهمها واخطرها احياء العاطفة القومية واثارة النعرات القومية بين المسلمين تلك العاطفة التي قضى عليها الاسـلام واماتها منذ العهد الاول من الرسالة المحمدية الخالدة ٠

**الاسلام والنعرات**

أمات الاسلام جميع اصناف هذه النعرات والعصبيات ، واحيا اخوة الاسلام وربط الناس برباط الايمان وجمعهم على دعوة القرآن ؛ اكرمهم عند الله اتقاهم ، واقربهم الى الله اصلحهم ٠

ولكن الغرب العدو قرر احياء هذه العصبيات ، وبذل الجهد والمال ؛ وبث الرجال من وكلائـه في ديار الاسـلام حتى يعملوا على نشر هـذه العاطفة القومية التي من شأنها ان تبعد المسلم العربي عن اخيه المسلم الاعجمي ، وتنشر بينهم هذه العصبية التي نهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وحاربها الاسلام : « ليس منا من دعا الى عصبية » وتعيد هذه الفكرة عصر الجاهلية الاول ٠٠ وهذه الفكرة وحدها قمينة بتفتيت وحدة المسلمين ، وكافية لتمـزيق شملهم ، وتفريق كلمتهم ، واشـاعة العداوة والبغضاء بينهم وقد كان للغربيين الصليبيين ماارادوا ٠٠

**القومية وعناصرها**

ويتابع المؤلف حديثه مفصلا عن القومية وعناصرها ، والمواد المكونة لها ، وعن اختلاف القوميين حولها وينتهي من ذلك الى ايضاح ان نظرية العرق ـ اي الجنس او العنصر ـ وكذلك « اللغة الواحدة » ثم التاريخ والارض والمصالح المشتركة وهي العناصر المكونة للقومية ٠٠ كلها لا تصلح اساسا ولا قاعدة للفكرة القومية نفسها نظرا للاختلاف الواقع في هذا الصدد بين القوميين انفسهم ٠٠ ثم الفكرة القومية نفسها لا تصلح اساسا لوحدة الامة العربية في هذا الزمن ٠

## اذن ماذا

يقول المؤلف : الذي يسود الشعوب اليوم ، ويجمع بينها انما هو العقائد ، والحرب حرب عقائدية منذ القدم ٠٠ وقد انتهى عصر القوميات والصراع السياسي في عصرنا الحاضر الذي نعيش فيه لا يقوم ولا يتركز على اساس من القوميات وانما يقوم كما هو مشاهد وملموس على المذاهب السياسية العقائدية فالشيوعية ليست قومية بل تضم اقواما من عدة أجناس من شرقي اوربا واقصى جنوب اسيا الخ الخ ٠٠

وكذلك الحال بالنسبة للرأسمالية فهي ليست قومية لأنها تضم انواعا مختلفة وشعوبا متباينة من اوربا وآسيا ٠٠ وحتى دول افريقيا التي استقلت حديثا وتخلصت من ربقة الاستعمار الغربي الرأسمالي البغيض فانها لم تتجه في نهضتها الى القومية ٠ ثم يقول المؤلف :

العالم العربي اليوم ، وهو يموج بالفتن ويضطرم بالمشاكل ، وتهتز الارض من تحت اقدامه ، وتتزلزل ، وتكاد تهبط به السماء ؛ او تهوي به الريح في مكان سحيق ٠

هذا العالم المضطرب في حاجة قصوى الى عقيدة روحية تعمر قلبه ، وتجمع شمله ، وتوحد صفه وترجع به كما كان امة واحدة ، تقف امام الاحداث صفا واحدا ، تدفع عن نفسها وشرفها وكرامتها وتعود كما كانت خير امة اخرجت للناس ، واقسط امة ، واقوم امة ، والعقيدة هذه ليست غريبة عنها ٠٠ فهي منها واليها ولقد كانت هذه الامة العربية اول من سبق الى اعتناق هذه العقيدة ، وأول من حملها الى الناس ٠٠ وبهذه العقيدة الربانية الروحانية الاسلامية انطلقت الامة انطلاقتها المعهودة ، وبها بشرت ٠٠ وعنها اخذت ٠٠ ومنها اقتبست ٠٠ فما عليها الا ان تعود الى سالف عقيدتها ٠٠ ليعود اليها سالف مجدها وعزها وسؤددها ٠

## ليس العرب دعاة عصبية

ويمضي المؤلف في حديثه الفياض في هذه الناحية من نواحي الموضوع الى ان يقول : لم يكن العرب يوما من الايام منذ ان آمنوا برسالة الاسلام دعاة عصبية ، ولا دعاة قبلية ، ولا انصار جاهلية فقد فارقوا هذه الامور والمعاني وعافتها انفسهم منذ ان اعتصموا بحبل الله المتين وآمنوا باخوة الاسلام ، وانها فوق العصبيات وفوق العنصريات الضيقة لذا تراهم لم يستأثروا برسالة الاسلام التي اختارها الله لهم واختارهم لها بل هم وغيرهم فيها سواء ·· ولقد قدروا وقدموا الصالحين الصادقين من غير العرب ، وأوصلوهم الى اعلى المناصب والمراتب العلمية والدينية والسياسية والادارية ··

ثم يقول المؤلف : اننا لا نحارب القومية لمجرد انها قومية فذلك من خطل الرأي وفساد العقل ، لا نحارب القومية بصفتها الرابطة الجنسية التي يرتبط فيها الانسان ببني جنسه وقومه ووطنه ·· فالقومية بهذا الاعتبار حقيقة فطرية قائمة بيننا جميعا والانسان يساق الى مثل هذه الرابطة بحكم فطرته وغريزته وجبلته التى فطره الله عليها ··

كما اننا لا نحارب القومية بمعنى ان الانسان يحب امته ووطنه ويتمنى لهما الرقي والتقدم والازدهار والعزة والفخار والمجد الدائم ·

ونحن كذلك لا نحارب القومية ولا نعاديها ولا نخاصمها بمعنى ان تطمح كل امة في الارض الى استقلالها وحريتها الخ ··

اننا نحارب القومية المجردة التي يتخذها بعض القوميين عقيدة يستبدلونها بعقيدة الاسلام ، ويستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير ··

ولا يفوت المؤلف الفاضل في حديثه هذا المتزن عن الفكرة القومية ·· ان يشير الى الشعوبية والشعوبيين ! ··

اولئك الحاقدين على العرب بالوراثة فيقول في هذا الصدد : في الوقت الذي نحارب فيه هذه الدعوة الباطلة الى الايمان بالقومية العربية مجردة

عن الاسلام ففي الوقت نفسه نحارب الشعوبية الظالمة التي قام بها بعض الحاقدين على العرب من علماء اجانب في القرن الثالث الهجري ممن لم يشرح الله صدورهم للاسلام فاظهروا الاسلام نفاقا ثم اخذوا يكيدون له بالكيد لجنده وحملته من العرب المسلمين الذين اختارهم الله لحمل رسالته الخالدة ، وبغض العرب نفاق وحربهم لانهم عرب اشد الضلال ·

## الكنيسة تتعاون مع الاستعمار

وينتقل المؤلف الى فصل عنوانه « الكنيسة تتعاون مع الاستعمار » يقول فيه : من المؤسف حقا

أن نجد الكنيسة ، مع رجال الاستعمار يسيرون جنبا لجنب ، لمكافحة الاسلام وحرب مبادئه ·· وصد الناس عنها ·· وكان المؤمل العكس ، فالكنيسة المفروض فيها ان تكون صاحبة رسالة ورسالتها الايمان بالله ودعوة الناس اليه وانها يجب ان تحترم وتقدس جميع الاديان السماوية فكيف يسوغ لها ان تحارب دينا يدعو الى الايمان بالله وحده ·· ويحارب الالحاد والاباحية والفساد في الارض ··

وفي هذا الفصل يتحدث عن المؤتمرات المسيحية لمكافحة الاسلام في القديم ، وفي الحديث ··

ثم يتحدث في فصل آخر عن مكافحة القرآن في القديم والحديث ··

ثم ·· عن اتهام الاسلام من قبل اعدائه الكثيرين : اتهامه بالباطل ، وتشويه حقائقه الناصعة المشرقة ، ووضعه موضع المتهم امام خصومه الالداء ، وكل ذلك في اتفاق مبيت وتدبير محكم ·· بين المستشرقين والمبشرين ، وهم رسل المستعمرين ، والمستأجرون لمصالحهم السياسية من شرقيين وغربيين امريكيين واوربيين · ثم يتحدث عن الدور الذي لعبته الخصومة ضد الاسلام عند ما استخدمت التبشير ليمهد لاستعمار الشعوب الاسلامية ·

ثم يعود الى موضوع اتهام الاسلام فيشير الى نماذج من هذه

الاتهامات كاتهامه باستخدام الرقيق واقراره للرق ويثبت بما لا يدع مجالا للشك ان العكس هو الصحيح بالنسبة لاتهام الاسلام في مسألة الرقيق .

**الافتراءات على الاسلام**

ثم يشير المؤلف الى ان من وسائل الاستعمار ومخططاته لمكافحة الاسلام ، شن الافتراءات على الاسلام ، وتشويه حقائقه تحت ستار العلم والبحث العلمي المجرد ·· وزرع الشك في الجيل المسلم في صلاحية دينه لهذا العصر وزعمهم بأن الاسلام لا يتفق مع العلم وأكبر من قام بهذا الافتراء المدرسون المستشرقون المتعصبون المستأجرون من اقلام المخابرات في دول الاستعمار ·

··· ومما يسعى اليه الاستعمار ·· يقول المؤلف ؛ تمهيد عقول الشباب المسلم وفتياته ·· للغزو الفكري الاستعماري مهما كانت اشكاله وصوره ما دام يهدم بنيان الاسلام من شيوعية ، أو رأسمالية ؛ او اشتراكية او داروينية متشككة ملحدة ، او غير ذلك ·· والمستعمرون مهما اختلفت سياساتهم فهم متفقون على ان الاسلام لا يصلح ان يبقى في الوجود لانه خطر على مصالح جميع المستعمرين ·

كذلك : اشاعة الانحلال الخلقي في الشباب والفتيات من الاهداف التي خطط لها الاستعمار ويسعى دائما اليها ·

كذلك يشجع الاستعمار الأدب الاباحي والأدباء والشعراء الاباحيين ·

ويمدهم بكل اسباب القوة ، ويعمل على نشر مؤلفاتهم والقاء الاضواء عليهم ليجعل منهم للشباب « المثل الاعلى ! » ومن اعظم دسائس الاستعمار ، واخطر مؤامراته ومخططاته التي اراد بها تهديم المجتمع الاسلامي والاتيان عليه من القواعد هو ما القاه في اذهان كثير من شبابنا المتعلم الذي رضع في ديار الغرب وتعلم هناك ، وما روجه المستشرقون

بأساليبهم الماكرة ، وما نشره كتابهم الاستعماريون في أكثر ديار الاسلام التي اتصلت بالغرب اتصالا مباشرا ، واخذت عنه الكثير من ثقافته وهذا الزعم الباطل ٠٠ هو ان من اكبر اسباب انحطاط المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة انما هو تمسكهم بدينهم وهم يزعمون بأن الدين عموما والاسلام بصورة خاصة لا يتفق مع العلم ٠٠ والتمسك به لا يؤدي الى التقدم والتطور بل يقف حجر عثرة في سبيل ذلك كله ، وقد تأثر بهذا الرأي كتاب ينتسبون للاسلام ولكنهم قد أجروا اقلامهم للاستعمار وأذناب الاستعمار ، وقد فات هؤلاء الدساسين الذين رضعوا البان الغرب الفرق الشاسع بين دينهم وديننا ، وانه اذا كان دينهم هناك ورجال الكنيسة قد حاولوا عرقلة النهوض في فترة من الزمن ، وقادوا حركة التخلف ، ومناهضة التقدم الحضاري ٠٠ فان ديننا بفضل الله ثم بفضل علمائنا الواعين الذين اقاموا صرح الحضارة الاسلامية الخالدة في التاريخ هم الذين انهضوا العالم من كبوته بعد ان كاد يغط في سبات عميق وجهل سحيق ٠٠ الى ان يقول ايضا : وفات هؤلاء الدساسين ان طبيعة المسيحية تختلف عن طبيعة الاسلام في موقفها من العلم والحضارة ،، فالمسيحية ديانة كهنوتية ـ اي لها رجال كهنوت يتكلمون عن الله ما لم ينزل به سلطانا ، فيحجزون الافكار ، ويحلون ويحرمون ٠٠ ويزعمون لانفسهم السيطرة على ضمائر الناس وقلوبهم ، وهاهم قد برأوا اليهود من دم المسيح ٠٠ واتخذ المجمع المسكوني ذلك القرار اليهودي الماكر اما الاسلام فليس فيه كهنوت ٠٠ وليس لاحد كائنا من كان ان يقول هذا حلال وهذا حرام الا بنص من كتاب أو سنة ٠٠ والا رد قوله في وجهه ٠٠ ولم يؤخذ عنه ٠٠ ولا منه ٠

**الاسلام والنصرانية لا يتفقان ابدا**

والاسلام والنصرانية يختلفان في كل شيء ٠٠ لذا كانت هذه الدعوة « فصل الدين عن الدولة » من قبل المستعمرين واذنابهم من اخطر الدعوات وأخس المؤامرات » ٠٠

وفصل الدين عن الدولة يعني ان تقطع الصلة مع تشريعاتنا التي جاءت لتنظم حياتنا ٠٠ وان نكون كما وقع بالفعل عالة على الغربيين وغيرهم في النظم والقوانين ٠

وعند ما يئس اعداء الاسلام من الدس والتشكيك في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٠٠ اتجهوا نحو المصدر الثاني من مصادر الشريعة الغراء ٠٠ وهو السنة المطهرة ، محاولين بذر بذور الشك فيها من ناحية ظانين انهم بذلك يهدمون اهم الاسس في بنيان الصرح الاسلامي !

يقول المؤلف الفاضل : وقد بدأت هذه المحاولات اليائسة منذ القديم ثم استمرت في مختلف العصور واشتدت وبرزت في عصرنا هذا فدعاتها دجالون ورددها اغبياء جاهلون ، ادعياء للاسلام ولكن الله العظيم الذي حفظ كتابه هو الذي حفظ ، وسيحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ٠

ومما سلكه اعداء الاسلام في سبيل هدم السنة والتشكيك فيها هو اثارة الشبهات حول أكابر رواتها وحماتها ومدونيها ، كما اثاروا الشبهات حول الصحابي الجليل ابي هريرة رضي الله عنه والامام محمد بن شهاب الزهري وهو الامام الحجة الثبت الذي دون السنة في عهد عمر بن عبدالعزيز بأمر منه ٠٠ فهذا الامام الجليل لم يتورع شيخ المستشرقين في القرن الماضي ـ كما يذكر المرحوم مصطفى السباعي ـ وهو يعني به ذلك المستشرق اليهودي « جولد تسيهر » ٠٠ لم يتورع هذا اليهودي من ان يتهم الامام الزهري بأنه كان يضع الاحاديث ارضاء للأمويين ٠٠

ومن اخطر ما شوهه الاستعمار الغربي والتبشير من حقائق الاسلام ، وتاريخ الاسلام ، ومبادىء الاسلام هو تشويههم لمعنى الجهاد في الاسلام والاغراض النبيلة التي فرض الجهاد من اجلها والاهداف التي توخاها الاسلام في فتوحاته فليس الجهاد في سبيل الله ـ

في نـظر الاستعماريـين والمبشرين الا حمـل المسلمين السيف لاكـراه الشعوب غير الاسلامية على الدخول في الاسلام ! وهذه فرية ٠٠ يقول المؤلف : يكذبها واقع تاريخ المسلمين ، وكتاب رب العالمين قـال تعالى « افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ويقول سبحانه : « فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيـطر » ومع هـذا فقد شـاعت فكرة قيـام الاسلام بالسيف والقوة حتى اصبحت عند بعض الغربيين ان شريعة السيف وشريعة الاسلام شيء واحد ودخلت هذه الفرية على كثـير من كتاب المسلمين انفسهم ٠

**افتراءات على الجزية**

ويتناول المؤلف موضوع الجزية في الاسلام وما طعنه به اعداؤه بشأنها من زعمهم انها دليل على الظلم والقهر والاضطهاد وانكـارهم فضل الاسلام في الجزية اذ ترك اهل الكتاب احرارا في دينهم واقامة شعائرهم ، واذ نظم الجزية تنظيما حكيما وجعلها جزءا من نظام التكافل الاجتماعي ٠٠

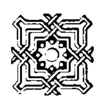
ويقول المؤلف في موضع آخر : ولو كان الجهاد في الاسلام لاجبار غير المسلمين على الدخول في الاسلام ـ كما يقول خصومه ـ لاكتفى الجيش الاسلامي بتخيير العدو بين امرين : اما الاسلام ٠٠ واما القتال ٠٠ ولكنه جعل بينهما دفع الجزية ليكون الخيار لهم في البقاء علي دينهم او الدخول في الاسلام ٠

والحق ان هذه الفرية : فرية قيام الاسلام بالسيف ما تزال شائعة ـ كما يقول المؤلف ـ لدى بعض المسلمين فكأنهم بذلك يتابعون اصحاب هذه الفرية الظالمة من حيث لا يشعرون !

ومن الموضوعات التي عرض لها المؤلف : موضوع « الغاء الخلافة الاسلامية » بفعل دسائس ومؤامرات الاستعماريين والصهيونيين وهو يفيض القـول في هذا المـوضوع ويـأتي بالكثـير من الحقائق المـذهلة والصارخة ممـا لا نشك في ان الكثيـرين اصبحوا يجهلونـه الآن ٠٠

فتسجيل المؤلف لهذه الحقائق ·· يعتبر في الواقع تاريخا ـ كما يقولون ـ لما اهمله التاريخ !

ومن موضوعات الكتاب ايضا « وجه الأدب والصحافة » « احياء الحضارات القديمة لطمس حضارة الاسلام » « السيطرة على الدوائر الاسلامية » « الغاء المحاكم الشرعية » « مؤتمر سوفييتي لملاحقة الاسلام من جديد »«مخططات الاستعمار في افريقيا » « الانكليز والمبشرون » « اثارة النعرات الطائفية » « طريقة الغرب في الاستيلاء على الامم » « بواعث التبشير الحقيقية » « حقيقة الماسونية » « التعليم والتبشير » « المجتمع الاسلامي ·· الاوربي بين السفور والاختلاط » « المؤامرة الكبرى » « القاديانية » « حقيقة القاديانية » وغير ذلك من الموضوعات ·



## أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة

الأستاذ حسين محمد يوسف

هذه دراسة قيمة يتحدث فيها مؤلفها الفاضل عن أهداف الأسرة في الاسلام ·· ثم عن محاولات الغرب المستمرة ضدها بما يثيره من حملات التشويه والتضليل ، وما يتظاهر به أتباعه ومقلدوه من عطف مكذوب على المرأة المسلمة في صورة دفاع عنها حينا ، أو اشفاق عليها حينا آخر ·· وليس لهم أي غرض من كل ذلك سوى القضاء على النظام الاسلامي للأسرة وهو ما تسعى جاهدة اليه محاولات الغزو الفكري - الصليبي - والصهيوني للاسلام والمسلمين ·

وقد أفاض المؤلف في بحثه عن الدعوة المشبوهة لتحديد النسل ·· وأبان لنا في وضوح وجلاء - كيف أن القائمين عليها في الغرب يركزون على نشر هذه الدعوة في الدول النامية - وفيها شعوب الدول العربية والاسلامية - في حين يدعون الى عكسها في بلادهم المتحضرة · أي يدعون إلى تزايد السكان ! وهو ما يكشف نواياهم الشريرة في الهدم ويعبر عن حقدهم وما يرمون اليه ويخططون له من رغبة في اضعاف هذه الشعوب لتبقى دائما خاضعة لسيطرة الاستعمار والصهيونية ، وهو ما لا يمكن ·· ولن يمكن أن يتحقق على أي الأحوال !

وهذا الكتاب تنشره دار الاعتصام في القاهرة ·· وهو جزء أول - حافل بحقائق ووثائق ·· يدعونا إلى أن نتبصر دور الأسرة في الاسلام

لنعي ما يراد للانسان المسلم في هذه الآونة ممثلا فيما يحاك من أساليب الهدم للأسرة المسلمة ٠

يقول المرحوم ، محمد طلعت ( باشا ) حرب :

ان رفع الحجاب والاختلاط : كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية في النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الاسلامي ٠

« انه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الاسلامي في الشرق ـ لا في مصر وحدها ـ إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل ، بل الفساد الذي عم الرجال في الشرق » ٠

« ان ارادة الوصول إلى تغيير حال المرأة المسلمة ، شيء كامن في نفوس الفرنج ، لذلك كانوا يطالبون به كل من حادثهم من أدباء الشرق وعلمائه حتى انك ترى الواحد منهم متى ناظرته مشفقا على المرأة اشفاقا غريبا ، ويرثي لحالها ويصدر منه من الأقوال ما يدل على جهله بحالة المرأة وحقوقها في الاسلام ٠٠٠ » أ هـ ٠

❊ ❊ ❊

ومع أن الكثير من عقلاء الغرب وكبار مفكريه ، وقفوا موقف الانصاف والتقدير من تعاليم الاسلام وتقاليده ، فوضعوا الامور في نصابها ، وأعلنوا لبني قومهم ما في الاسلام من سمو وحكمة ، وما في تعاليمه من تكريم للمرأة ، واعلاء لشأنها ٠

ومع أن الكثير من احصاءات وتقدير الهيئات الدولية جاءت مؤكدة لعظمة الاسلام ، ومعلنة ان تقاليده في الأسرة كانت خير علاج للمشاكل المعقدة التي عجز المجتمع الغربي عن حلها ٠٠ مع ذلك كله فان بعض المتأثرين بالمدنية الغربية مازالوا يرددون الأباطيل والمفتريات ، ضد التقاليد الفاضلة التى تقوم عليها الأسرة المسلمة ، وكأنها التنزيل

المحكم ، أو الوحي المقدس · حتى لقد طالب البعض منهم بقانون جديد للأسرة يمنع تعدد الزوجات ، أو يقيده بقيود تجعله في حكم العدم ·· ويحرم الطلاق الا اذا وقع باذن القاضي مستندا في طلبه لا إلى نص شرعي ، أو حكم فقهي ، أو حجة قوية ، وانما كل سنده « حقوق الانسان » التي أعلنتها الأمم المتحدة ·· الأمم المتحدة التي كانت ومازالت أداة مسخرة في قبضة الدول الاستعمارية الكبرى ، لهضم حقوق الأمم والشعوب !!

يقول المؤلف : « لذلك عنيت بوضع هذا البحث ، موضحا أهمية الأسرة في المجتمع الاسلامي ، وهدف الاسلام الحنيف في تكوينها ، والوسائل التي كفلها لحمايتها من العواصف ، ووقايتها من الانحلال ، مع المقارنة بما تعانيه الأسرة في بلاد الغرب من تفكك في العرى ، وما تقاسيه المرأة من استغلال وامتهان ومع بيان وجه الحق في الضلالات التي رددها بعض المعاصرين وموقف الكتاب والسنة منها ، بما يوضح كل غموض ، ويدحض كل ادعاء ، ويطمئن أبناء الاسلام إلى أن دينهم القيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن نبيهم الصادق الأمين لا ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحى يوحى ،

***

قسم المؤلف هذا البحث إلى مقدمة وفصلين : الفصل الأول حول « مكانة الأسرة في دولة الاسلام » والثاني حول « أهداف الاسلام من تكوين الأسرة » ·

## مكانة المرأة المسلمة في الأسرة

حظيت الأسرة في دولة الاسلام بقسط وافر من عناية شريعتها ، يناسب أهميتها في كيان المجتمع ، واثرها في حياة الأمة ومستقبلها ،

ويبين كل ما يتصل بتكوينها من الأحكام والواجبات ، وما تقوم عليه من التقاليد والآداب ، وما يكفل سلامتها من الفتن والخلافات ويوفر لها الحماية من عوامل التحلل والفساد ، كي تؤدي رسالتها الخطيرة في أمن واستقرار ، في اعداد الجيل الجديد ، وتربيته على القيم الفاضلة ، والمثل العليا ٠

وسواء كانت الحدود التي تعنيها كلمة « الأسرة » تقتصر على مفهومها القريب الذي ينحصر في الزوجين والأولاد ، أو تمتد الى أبعد من ذلك ، بحيث تشمل الوالدين والاقربين ، وتسمى حينئذ أحيانا - بالعائلة ٠٠ وأحيانا اخرى بالعشيرة فان الشريعة الاسلامية قد احاطت بتعاليمها السامية ، ونظامها المحكم الأسرة في حدودها القريبة والبعيدة على السواء ٠

* * *

٠٠٠ ولما كانت المرأة من أهم مقومات الأسرة فقد كان من الطبيعي أن يعني الاسلام - في تشييده للمجتمع الفاضل بانتشالها من الهوة التي دفعتها الجاهلية اليها ، ووضعها في المكانة الكريمة اللائقة بها ، كزوجة تشاطر زوجها السراء والضراء ٠٠ وكأم منوط بها تنشئة الأبناء ، وكربة بيت تقوم بتدبير شؤون الأسرة وتوفر لافرادها كل سعادة وهناء ٠٠

● انقذ الاسلام المرأة في طفولتها من الوأد الذي طالما تعرضت له خشية الفقر ، أو مخافة العار ٠ قال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم ٠ ان قتلهم كان خطئا كبيرا » سورة الاسراء « اية ٣١ » ٠

● وندد الاسلام بهؤلاء الذين كانوا يتبرمون بالاناث اذا ما رزقوا بهن ، قال تعالى :

« واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ٠ يتوارى من

القوم من سوء ما بشر به · أيمسكه على هون · أم يدسه في التراب · ألا ساء ما يحكمون » سورة النحل ٥٨ ، ٥٩ ·

وكانت المرأة في الجاهلية تورث كما يورث المتاع والمال ، فاذا مات زوجها ، ورثها ابنه من غيرها أو أقرب عصبته إن شاء تزوجها بغير صداق ، وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ، وان شاء عضلها ـ أي تركها معلقة لا هي بالايم ، ولا هي بالمتزوجة لتفتدي نفسها منه بما ورثته عن زوجها أو تموت فيرثها !

وأحيانا يمسك الزوج امرأته مع كراهيته لها ، دون أن يقربها حتى تفتدي نفسها منه بما تملكه ·· أو تموت فيرثها كذلك !!

وقد جاء الاسلام فحرم كل ذلك ، فقال عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » النساء ١٩ ·

● وقد تعودت بعض قبائل العرب أن يخلف الابن على زوجة أبيه ، وكانت هذه الحالة شائعة في الانصار ومباحة في قريش مع التراضي ·· فأنقذ الاسلام المرأة من هذه المهانة ، وحرم على الابناء ذلك ، مبينا ما فيه من « قبح » وبعد عن الكرامة ، فقال عز وجل :

« ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » ·· النساء ٢٢ ·

* * *

● ونظم الاسلام الطلاق ·· وقد كان أمره في الجاهلية فوضى ·· يطلق الرجل امرأته متى شاء ·· ويراجعها متى شاء ·· ولو تكرر ذلك مائة مرة ، فجعل الاسلام الطلاق مرتين ، فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان ، واعتبره أبغض الحلال عند الله ·· وكفل للمرأة من الحقوق بعد الطلاق ما يكفل لها كل كرامة ورعاية ، ويوفر لأبنائها التنشئة الصالحة ·

● وعنى الاسلام بوضع حد لفوضى الزواج في الجاهلية ، حين قيد تعدد الزوجات بأربع ، بعد أن كان مطلقا وحين اشترط فيه العدل في النفقة والمبيت ·· والا وجب الاقتصار على واحدة ·· وحين حرم الكثير من أنواع النكاح الشائعة ·· حفاظا على كرامة المرأة ، وصيانة لشرفها ·

● وأنقذ الاسلام المرأة من الظلم والحرمان حين قرر حقها في الميراث ، وقد كانت محرومة منه ـ كما كانت ممنوعة من التصرف فيما تملك بغير اذن من الرجل ·· فرد لها الاسلام حقها في التصرف · قال تعالى :

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » ·· النساء ٧ ·

● ولم يكتف الاسلام بذلك ، بل عني بتوفير الحماية للمرأة في جميع أدوار حياتها ، وأعفاها من مشقة السعي لكسب رزقها بنفسها فهي مسؤولة من أبيها حتى تتزوج ·· ومن زوجها بعد الزواج ·· ومن ابنها وهي ارملة ·· وهكذا يتكفل برعايتها الاقرب فالأقرب حتى تلقى ربها ·

* * *

● وبلغ من تكريم الاسلام للمرأة أن اعتبرها جوهرة مكنونة ، يسعى الرجل اليها ، ويخطب ودها ، ويدفع مهرها ولا يستطيع الوصول اليها الا عن طريق زواج شرعي ، يصون شرفها ويحفظ حقوقها ويوفر الحياة الآمنة لها ·· والحماية الكافية في حاضرها ومستقبلها ·

● وبلغ من تعظيم الاسلام المرأة وتقديسه لسمعتها وشرفها أن جعل عقاب المفترى عليها أن يجلد ثمانين جلدة مع سقوط عدالته والحكم بفسقه قال تعالى :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم

ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » سورة النور ٠ أما عقاب المعتدى على شرف المرأة فهو الرجم حتى الموت ٠٠

● وعنى الاسلام بحماية المرأة من العناصر الدخيلة على الأسرة ، التى تواضعت الجاهلية على الصاقها بها عن طريق التبني والادعاء ٠٠ مما قد يضعف من تماسك الأسرة ، أو يعرض ربتها لما يمس الشرف والكرامة ٠٠

وهكذا حرم الاسلام التبنى وأمر بألا يدعى الرجل لغير أبيه ، قال عز وجل :

« ادعوهم لابائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم » الاحزاب ٠

● وأوجب الاسلام على الرجل أن يحسن معاملته للمرأة ٠٠ واعتبر اكرامه لها مقياسا لكرم أصله وشرف منبته ، كما اعتبر اهانته لها دليلا على لؤمه وخسته ٠٠ فقال صلى الله عليه وسلم :

« خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لاهلي ، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم"[1]" » ٠

● وزيادة في رعاية الاسلام للمرأة وتوقيره لها حرم على غير المحارم النظر اليها وأمرهم بغض الابصار عنها تشريفا لقدرها ٠٠ وحرصا على كرامتها ، وسموا بمكانتها وتنزيها لها أن تكون مظنة لنزوات آثمة ٠٠ أو مثار شهوات دنيئة ٠٠ قال تعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون » سورة النور ٣٠ ٠

وقال صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافة الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه » رواه الحاكم وصححه ، وتأكيدا لما تقدم من المعاني النبيلة أمر الاسلام المرأة كذلك بغض البصر وضرب الخمر ، وعدم الاختلاط بغير المحارم ٠٠ تنزيها لها

(١) عن الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها وعن ابن ماجة والحاكم من حديث ابن عباس وعن ابن عساكر في حديث علي كرم الله وجهه باسناد صحيح.

عن الدنايا ·· وتأكيدا لحرمتها وطهرها ·· وتمييزا لها عن العاريات الكاسيات ممن تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وزيادة وحماية لها من طمع الفساق والمستهترين ، قال تعالى :

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منهـا وليضربن بخمـرهن على جيـوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن ·· الآية » سورة النور ٣١ ·

ويصل الاسلام في تكريم المرأة الى الأوج حين قدم التفرغ لرعايتها على الجهاد في سبيل الله ·· فقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « يا رسـول الله أردت أن أغزو وقـد جئت استشيرك فقال : هل لك من أم قال : نعم ! قال : فـالزمها فـان الجنة من تحت رجليها"(١)" ·

❊ ❊ ❊

هذا بعض ما حققه الاسلام للمرأة المسلمة من الحماية والكرامة ولا عجب في أن يعني الاسلام بالقضـاء على كـل الأوضـاع الجـائرة ·· والتقاليد الفاسدة التي كانت المرأة ترزح تحت عبئها لما لها من تأثير خطير في كيان الأسرة التي يحرص الاسلام على قيامها قوية الجذور ·· ثابتة البنيان ·· سليمة من عوامل الضعف والانحلال ·

## مكانة المرأة في بلاد الغرب

حصلت المرأة المسلمة منذ أربعة عشر قرنا على هذه المكانة الرفيعة في الوقت الذي كانت فيه أوربا في ظلمات القرون الوسطى ·· حتى لقد اختلف أهل الرأى منهم في حكم المرأة وانسانيتها ؟!!

- هل هي انسانة ذات نفس وروح عالية ـ كالرجل أم لا ؟
- وهل تلقن تعاليم الدين وتقبل عبادتها أم لا ؟

(١) رواه أحمد والنسائي وغيرهما.

ـ وهل تدخل الجنة والملكوت في الآخرة أم لا ؟

وانتهى احد المجامع العلمية وقتئذ الى أن المرأة حيوان نجس !! لا روح له ولا خلود !! ولكن يجب عليها الخدمة والعبادة ٠٠ وأن يكم فمها كالبعير أو الكلب العقور ٠٠ لمنعها من الضحك أو الكلام ٠٠ لأنها أحبولة الشيطان !!

وبالرغم من تقدم المدنية الغربية ومظاهرها الخداعة في تقديم المرأة في المجتمعات ٠٠ وتقبيل يدها ٠٠ ومنحها المساواة المزعومة في الحقوق مع الرجال ، بالرغم من كل ذلك فان المرأة مازالت تعامل معاملة جائرة ٠٠ وتحمل من الاعباء ما ينوء به كاهلها ٠

فمازالت المرأة في كثير من بلاد الغرب محرومة من حق الميراث الذي قرره لها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا كما أنها مازالت محرومة من حق التصرف فيما تملك ٠٠ حتى انه لم يعترف لها بهذا الحق في انجلترا الا في عام ١٩٢٦م بموجب قانون يجعل للزوجة الانجليزية شخصية مستقلة لها حق التصرف في أموالها وأملاكها ٠٠ ـ وفي أسبانيا ـ مثلا فان المرأة المتزوجة ليس لها حق الملكية وليس في استطاعتها أن يكون لها حساب خاص في البنوك إلا إذا حصلت على اذن كتابي من زوجها ٠٠ الى أن تم افتتاح خمسة بنوك في مدريد عام ١٩٧٤م تحمل اسم البنك النسائي تستطيع المرأة أن تودع فيها مدخراتها دون الحصول على تصريح قانوني من الزوج ٠

❊ ❊ ❊

ومازالت في كثير من بلاد الغرب مطالبة عند بلوغها سن الرشد بكفالة نفسها بنفسها واكتساب ما يقوم بأودها بأي وسيلة ، ولو أدى بها ذلك الى حياة التبذل والاستهتار ٠

● ومازالت المرأة هي التي تبحث بنفسها عن الزوج المنشود ٠٠ وتختلط في سبيل ذلك بكل من هب ودب من الذكور ٠٠ وتتعرض لاقسى

التجارب حتى توفق الى الرجل الذي تتراضى معه على الزواج بعد أن تتمكن من جمع المهر المطلوب منها لا منه ·

● ومازالت قوانين الغرب قاصرة عن حماية عـرض الفتاة إلا في سن القصور ·· أما بعد ذلك فان التغرير بها ·· أو الاعتداء عليها لا عقاب عليه لاسيما اذا تم في تراض معها !!

❋ ❋ ❋

ومازالت المرأة في الغرب محرومة من أي حق قبل زوجهـا في حالة طلاقه لها ·· بل انها علاوة على ذلك مكلفة بالانفاق على أولادها مناصفة مع الرجل ··

وبالرغم من دعوى تحرير المرأة في الغرب ، وتكـريمها ومسـاواتها بالرجال فان ذلك لم يحل دون الزج بها لتعمل في المصانع والمكاتب لكسب رزقهـا أو الدفع بهـا الى الحانـات والمـراقص والمـواخـير للمتـاجـرة بعرضـها ·· أو القذف بها في ميادين القتال للترفيه عن الجنود بأوسع معانى الترفيه ـ دون مبالاة بما تتعرض له من أهوال الحروب ·· ومعرة الاسر والسبي !!

تلكم هي مدنية الغرب ·· وذلك هو مبلغ تكريمهم للمرأة ·· وياله من تكريم يهدف إلى استغـلالها إلى أقصى حـد ويرمي إلى تسخيـرها لارضاء الشهوات واشباع النزوات !!

## اعتراف المنصفين من كتاب الغرب

ولقد اعترف كثير من عقلاء الغرب وكبار مفكريه وأهل الانصاف فيه بسمو مكانة المرأة في الاسلام ، ونادى البعض منهم بـالأخذ بـالنظم الاسلامية كحل لمشاكـل المجتمع الغـربي ، حتى انتهى الأمر أخيـرا بايطاليا مهد الكاثوليكية الى اباحة الطلاق ·· خضوعا للواقع ومجاراة لاحتياجات الانسانية ·

يقول العالم الفرنسي المشهور « جوستاف لوبون » :

« ان الاسلام قد أثر تأثيرا حسنا في مقام المرأة أكثر من قوانيننا الاوربية وخير طريقة لنقدر التأثير الذي أحدثه الاسلام في تحسين حال المرأة في الشرق أن نبحث عما كان عليه حالها قبل القرآن » ٠

ويقول الفيلسوف الايرلندي الذائع الصيت « برنارد شو » :

« في المستقبل العاجل ٠٠ عندما يريد الرجال المفكرون أن يلجأوا إلى دين يحمى الفضيلة ، ويقي المجتمع ويكون سببا للحياة السعيدة في البشر سيجدون الاسلام هو الدين الوحيد الذي يضمن لهم ذلك مع السعادة والنجاح !

إن الاسلام هو الدين الذي تجد فيه حسنات الأديان كلها ولا تجد في الأديان حسناته ٠٠ ومن الممكن أن يصل الرجل إلى أعلى درجة في الفلسفة والعلوم ويكون مع ذلك مسلما نقيا » ٠

أما تعدد الزوجات الذي لا يستسيغه مقلدة الغرب فان « جوستاف لوبون » يشيد بمزاياه قائلا : « ان تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين ، أشرف من تعدد الزوجات عند الاوربيين وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين وان النساء المسلمات قد اخرجن في غابر الدهر من الصالحات المشهورات بقدر ما تخرج مدارس الاناث في الغرب اليوم ٠

## أهداف الاسلام من تكوين الأسرة

يهدف الاسلام من تكوين الأسرة الى تحقيق تماسك المجتمع وترابطه وتوثيق عرى الأخوة بين أفراده وشعوبه بالمصاهرة والنسب ٠

وفي سبيل هذه الغاية اعتبر الاسلام المسلمين أمة واحدة ٠٠ دون أية تفرقة في الجنس أو اللون أو اللغة فجاز التزاوج بين العربي والعجمي وبين الأسود والأبيض ، وبين الشرقي والغربي ، وبذلك سبق الاسلام جميع النظم الديمقراطية إلى تحقيق وحدة الجنس البشري

باعتراف الكثيرين من فلاسفة الغرب ومفكريه حتى أن « برنارد شو » يقول :

« والاسلام دين حرية لا دين استعباد وقد قرر اخوة الاسلام منذ ألف وثلاثمائة وخمسين عاما ٠٠ وهو المبدأ الذي لم يعرف عند الروم السابقين ولا عند الاوربيين ، والأمريكيين المعاصرين » ٠

« اذا سألت العربي أو الهندي أو الفارسي أو الأفغاني : من أنت يجيبك أنا مسلم ! أما الغربي فاذا سألته : من أنت ؟ قال : أنا انجليزي أو طلياني ، أو فرنسي ٠٠ الغربي يترك الدين ويتمسك بالجنسية والوطنية في حين أن المسلم يقول : أنا مسلم بصرف النظر عن وطنيته أو جنسيته وهو أكبر دليل على أن الاسلام وحد بين أهل العقيدة المشتركة ، دون أن يجعل أي فرق بينهم بسبب أوطانهم أو الوانهم أو جنسياتهم ٠٠ ولقد نصب الاسلام شابا أسود البشرة ـ يقصد أسامة بن زيد ـ أميرا على جيوش المسلمين وفيها كبراؤهم ٠٠ فالحكومة الديمقراطية الصحيحة لم تعرف إلا في الاسلام » ٠

فأين هذه السماحة الاسلامية الكريمة من التفرقة العنصرية الصارخة التي تحرم على « الملونين » الزواج بالبيض من النساء أو الالتحاق بمدارسهم ، أو الجلوس في الأماكن العامة المخصصة لهم أو الدخول في مطاعمهم ٠٠ والا تعرضوا لاشد صور الانتقام ، والموت الزؤام ٠٠

## الهدف الأساسي من تكوين الأسرة

كما يعتبر الاسلام تكوين الأسرة وسيلة إلى أهداف سياسية هامة لها أثرها في عزة الأمة وسيادتها ٠

ثم يقول المؤلف مشيرا هنا إلى المسلمين الأوائل من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ان التكاثر في النسل من أهم العوامل التي حفظت للقلة المؤمنة

كيانها ، وعاونتها على البقاء رغم ما قدمته من تضحيات في سبيل الله فقد عوضها التكاثر أكثر مما فقدته فاستطاعت الابقاء على لواء الحق عاليا ، وان تقوض عروش الباطل وتهزم جيوشه ، رغم تفوقها في العدد والعدة .

وإذا كان عدد المسلمين في الوقت الحاضر زهاء سبعمائة مليون فان الحاجة مازالت ماسة الى اتباع التوجيه النبوي في التكاثر حتى تستطيع الدول الاسلامية أن تقاوم القوى الجبارة المعادية لها والتي مازالت تفوقها عدة وعددا .

ثم يناقش في حديث طويل دعوة تحديد النسل التي انتشرت في العهد الأخير قائلا :

ومن أعجب العجب أن الدول التي تدعو البلاد النامية إلى تحديد النسل هي الدول الاستعمارية الكبرى مع أن هذه الدول لا تأخذ بهذه الدعوة .. ومع أن كثافة السكان فيها أضعاف أضعافها في الدول الاسلامية !!

## تحديد النسل يخدم التوسع الصهيوني

وقد جاء بالنشرة الأمريكية للشؤون الخارجية عام ١٩٥٧ ص ٢٩١ وما بعدها ان الدعوة إلى تحديد النسل في مصر وسوريا تخدم التوسع الصهيوني !

ومعنى ذلك أن تزايد السكان في مصر وسوريا يهدد التوسع الصهيوني المرسوم كما أن تزايدهم في البلاد الاسلامية التي مازال البعض منها تحت سيطرة الاستعمار ، لا يتفق مع مصلحة المستعمرين .

وفي حرص الاستعمار والصهيونية على تحديد نسل البلاد الواقعة تحت سيطرتهم يصل الأمر الى التهديد باتخاذ وسائل اجبارية .

ففي حديث العالم الأمريكي « بيرترام » يقول « ان الخطر يهدد

العالم إذا لم يوقف تزايد النسل في المستعمرات ٠٠ وإذا ثبت عدم كفاءة الوسائل الاختيارية لخفض السكان في المستعمرات فانه يصبح من اللازم اتباع وسائل اجبارية ٠

ولم يذكر « بيرترام » ما هى الوسائل الاجبارية المقترحة !! لخفض السكان ؟! ولعل منها عمليات « الافناء » بالجملة التي يقوم بها المستعمرون في جنوب افريقيا ضد السكان الاصليين ٠٠ وفي الفلبين ضد المسلمين !

## اقتراح خطير في مؤتمر لهيئة اليونسكو

ولقد بلغ من اهتمام الدول الاستعمارية الكبرى بخفض سكان الدول النامية أن هذا الموضوع كان محل بحث الاوساط الجامعية والعلمية في أمريكا للوصول الى انجع الوسائل لتحقيق هذه الغاية الحيوية بالنسبة لهم ٠

فقد عقدت هيئة اليونسكو مؤتمرها الثالث عشر في سان فرانسيسكو بحضور مائة من العلماء لبحث مشكلة التضخم السكاني ، والحد منه في الدول النامية !!

وكان من أعجب المقترحات التي عرضت للبحث : ذلك الاقتراح الذي تقدم به الدكتور « بول أريش » الاستاذ بجامعة « ستانفورد » الأمريكية ويقضي بوضع مركبات منع الحمل في الغذاء المرسل للدول النامية !!

وفي نفس الوقت أعلن الدكتور « لي دوبريدج » المستشار العلمي للرئيس الأمريكي نيكسون في المؤتمر المذكور ان الاحتفاظ بالعدد الحالي لسكان العالم دون زيادة مسألة هامة وحيوية ٠ وأن الولايات المتحدة تفكر في قطع معوناتها الاقتصادية عن الدول التي لا توقف تزايد سكانها ٠ وقال : ان استخدام مركبات منع الحمل في مياه الشرب والطعام قد يكون حلا لهذه المشكلة في الدول النامية !!

في الدول النـــاميـــة ٠٠ نعـم ٠٠ في الدول النـــاميـــة ؟!! هـكـــذا يخططون ٠٠ فما معنى هذا ؟!

* * *

أما في الدول التي تسمى نفسها متقدمة فالأمر هناك يختلف ٠

● في أسبانيا كان الجنرال فرانكو أشد ما يكون حرصا على زيادة تعداد الشعب الأسباني ، وتشجيع بني وطنه على الانجاب والتكاثر ٠

● أما في ايطاليا مركز الكاثوليكية فان البابـا بولس الســادس ـ وهو الزعيم الديني لأكثر من ٥٠ مليون كاثوليكي قد قرن اسمـه بالجملة المضادة لتحديد النسل ٠٠ وأخذ يعلن طوال الشهور العديدة الماضية بطريقة لا تحمل أي لبس « ان استخدام وسائل تحديد النسل اثم ٠٠ وان مستخدميها آثمون » !!

● وفي اليونان قررت حكومتها صرف مكافأة شهرية ثابتة لكل أبوين على الطفل الثالث ٠٠ أو عن أي طفل ينجبانه بعد الطفل الثالث ٠٠ تبلغ عشرة جنيهات !

● وفي بولندا ـ التابعة للقطاع الشرقي ـ نجد أن رجال الدين فيها قد وقفوا موقفا حاسما من الحكومة البولندية لاصدارها قانونـا بابـاحة الاجهاض ٠

وقد ندد الأساقفة البولنديون بشدة بالقانون المذكور ٠٠ وأكدوا ان الاجهاض فضلا عن أنه سيحدد عدد السكان فانه سيؤدي حتما الى اضعاف الأمة البولندية !!

وهكذا اتحدت أهداف المعسكرين الكبيـرين الشرقي والغـربي في موقفهما من الدول النامية وتشابهت قلوبهم في سعيهم إلى اضعاف هذه الدول بالدعوة إلى تحديد النسل ، أو تنظيمه ـ كما يزعمون ٠٠ وتيسير الوسائل اللازمة لذلك !!

## بلايين الدولارات لتحديد النسل في الدول النامية

وفي سبيل ذلك بذلت أمريكا وغيرها من الدول الاوربية الكبرى - ومازالت تبذل - الأموال الطائلة لنشر الدعوة لتنظيم النسل في الدول النامية ٠٠ لاسيما الدول الاسلامية والشرقية ٠٠ ومن أجل ذلك انشأت عام ١٩٥٢ ما يسمى بالمجلس الدولي لمكافحة التضخم السكاني ويشرف عليه خبراء أمريكيون يعاونهم خبراء بعض الدول الأخرى ٠

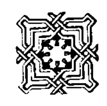
## قلق الاستعمار من تزايد سكان المستعمرات

ان الحقيقة التي لا مرية فيها هي أن تزايد السكان في الدول النامية - التي تشترى الدول الغنية منتجاتها بأبخس الأثمان ٠٠ وتبيع لها مصنوعاتها بأغلى الأسعار ٠٠ هذا التزايد هو الذي يقلق بال الدول الاوربية والأمريكية ٠٠ لأنه يهدد استغلالها المستمر للشعوب الفقيرة والنامية وينذر بتخفيض النسبة العالية التي تحصل عليها من الدخل العالمي !!

أما تزايد السكان في الأمم العربية والاسلامية فهو أشد خطرا على الدول المستعمرة لأنه يزيد من قدرة العرب والمسلمين على التحرر من نير الاستعمار ويحول دون التوسع الذي تحلم به اسرائيل ٠

لذلك لم يكن عجبا أن نرى الهيئات الدولية التي تخضع اكثرها للدول الاستعمارية الكبرى تعمل بكل جد على نشر الدعوة إلى تحديد النسل وتنذر بالأخطار التي تهدد العالم من جراء الخطر الحقيقي على البشرية والسبب الأصلي في شفائها ٠٠ وكأنهم ليسوا هم الذين يستنفذون ٨٧٪ من الدخل العالمي ٠

ثم يتابع المؤلف الفاضل حديثه القيم عن الأهداف العليا في تكوين الأسرة في الاسلام ·· يتحدث عن الهدف الاقتصادي ·· والهدف الخلقي ·· والروحي والصحي وغيرها والحق انه حديث مفيد وشيق ·· غير انه سيطول أكثر فلنكتف بما سبق ·· ومعذرة إلى القارىء الكريم ·





# الماركسيّة والإسلام

الدكتور مصطفى محمود

قرأته حين صدوره منذ شهور ٠٠ وأعود اليه اليوم ، لانه ذكرني به حوار طريف أجراه معه أحد الأدباء المعروفين في مجلة

سأله الأستاذ علاء الدين وحيد ٠٠ عن الماركسية : ماذا كان تصوره القديم لها ، وماذا طرأ اليوم على هذا التصور ؟

وكان جوابه الصريح : « الماركسية انتهت بالنسبة الى الفلاسفة والمفكرين ٠٠ ولا وجود لها الا عند المغامرين وانصاف المتعلمين ، والغوغائيين والسياسيين ٠٠ »

أيضا ٠٠ قرأت له مقالا مطولا « حول الماركسية »

استوعب صفحة بأكملها من « أخبار اليوم » ٠٠

والواقع ان ماشرحه الدكتور الطبيب الاديب « مصطفي محمود » عن الماركسية في مقاله المطول ٠٠ ومن قبل في كتابه « الماركسية ٠٠ والاسلام » يتناول الكثير رغم ايجازه الشديد ـ عن النظرية الماركسية ٠٠

ومع اني لست ممن يرون ان المقارنة بين الماركسية والاسلام « واردة ٠٠ » غير ان حديث مصطفى محمود عن العدالة الاجتماعية في الاسلام ٠٠ وعن الاقتصاد الاسلامي ٠٠ وغير ذلك مما سيطالعه القارىء أقول :

ان هذا الحديث الماتع يمضي فيه المؤلف ومعه أنصع الأدلة من القرآن

والسنة ·· وبأسلوبه المعروف ·· هـذا الحديث الواضـح الصريـح أعتقد أنه حري بالعرض ، ويستحق التقديم :

والجدير بالذكر ان كتاب « الماركسية والاسلام » هذا تجاوز توزيعه المائة الف ·· ولم يمض عليه سوى شهور وهذا رقم لا أظن ان كتابا عربيا آخر وصل اليه ·· أو وصل الى ربعه وكان أغلب قرائه ـ وهذا هو المدهش ـ من الشباب وطلاب الجامعات ··

**الحرية أولا :**

الحرية هي نقطة البدء ··

وليست الحرية هي أن نجد ما نأكله ( كما يعرفها بـذلك الماديـون أصحاب فلسفة المضمون الاجتماعي للحرية ) فالحيوان يجد مايأكله · وضمان الطعام لا يكفي ليجعل من الانسان انسانا ·· فالانسان حيوان حر يفكر لنفسه ، ويقرر لنفسه : وقد يختار الجوع فيصوم ، وقد يختار الموت دفاعا عن قضيته فيموت ··وقد يتطوع في حرب انتحارية يعلم انه لن يعود بعدها لانه قرر ان يقول :« لا » ··

وفي هذه القدرة على ان يقول « لا « للظلم ، « لا » للباطل ، يكمن المعنى الوحيد لحريته ··

فاذا سلبناه هذه الحرية فانا نسلبه في الوقت نفسه الوسيلة الوحيدة لخلاصه ·· فلا فضيلة لمن يطيع القانون خوفا ··

إلى أن يقول :

الحرية اذن هي الانطلاق ··

ولكن الحرية الآن موضوع مختلف عليه ، وكل فرقة سياسية تفهمها فهما خاصا ··

·· الحرية في النظام الرأسمالي هي ان تفعل ما تشاء ، وتمتلك ماتريد ·· ان شئت امتلكت صحيفة ودار نشر ومحطة اذاعة ، ومجمعا

للحديد والصلب ٠٠ومنجما للنحاس ، وآبارا للبترول ٠ مادمت تدفع الضريبة ، وتدفع الثمن ٠٠

ولكن هذه الحرية سوف تتفاقم آليا لتصبح احتكارا يتحكم في السلعة وفي السعر وفي البورصة ، وبالتالي سوف تسلب الآخرين حرياتهم ، وتستغلهم وتحكم في رقابهم ٠٠

ثم يقول :

٠٠ والحرية بهذا المعنى تناقض نفسها ، فهي تقضي على حرية الآخرين ، وفي النهاية تقضي على حرية صاحبها ٠٠ ولهذا رفضنا الحرية بالمعنى الرأسمالي ٠٠

فاذا جئنا الى اليسار فاننا نجد الحرية بالمفهوم الماركسي هي حرية تغيير العالم وإعادة بنائه وفق خطة الحزب وهذا لا يتم الا بخطوات تأخذ بعضها برقاب بعض ٠٠ اولا لابد من تحطيم رأس المال والعلاقات الرأسمالية التي تقوم على الاحتكار والاستغلال وذلك بنزع ملكية الارض والمصنع ووسائل الانتاج كافة ووسائل الاعلام كافة من صحافة وإذاعة وكتب وادارتها من جهة الحكومة لصالح الشعب العامل ٠٠ وكمرحلة مؤقتة تتولى الطبقة العاملة بصفتها صاحبة المصلحة اعلان الدكتاتورية ٠٠ وحينما تنجز دكتاتورية العمال رسالتها ، وتقضي على الطبقة البرجوازية ، وتحقق مجتمعا غير طبقي تنحل الدكتاتورية من تلقاء نفسها ، بل تنتهي الحكومة ٠٠ لأنه لن يعود لها داع ويصبح الانتاج من الكثرة والوفرة بحيث يأخذ كل واحد حسب حاجته ، ويعمل كل واحد حسب طاقته في مجتمع نموذجي تسود فيه الانسانية ٠٠ وينتهي الطمع ٠٠ هكذا كانت أحلام الماركسية ٠٠ ولكن الواقع غير الحلم ٠٠ الى أخر ما يقول ٠

ويمضي المؤلف في شرح طويل لأخطاء النظرية الماركسية ٠ ثم يقول :

ونحن هنا نقول إننا لسنا يمينا رأسماليا ٠٠ ولسنا ايضا يسارا ماركسيا ٠٠ ولا يعني هذا أننا متوسط حسابي بين الشيوعية

والرأسمالية ·· وإنما نحن في فكرنا السياسي أصحاب عطاء خاص ، وأصحاب اجتهاد ذاتي ·

·· ونحن لم ننظر الى الدين كعقبة وإنما ـ على العكس ـ نظرنا اليه كقوة دافقة وطاقة بناءة ·· وفكر تقدمي اكثر تقدمية من كل النظريات المتداولة ·

ولم يكن ضعفا في القرآن انه لم يحدد منهجا سياسيا ، ولم يرسم دستورا محددا ، وإنما كان ذلك أحد أدلة قوته من اعجازه ، فقد أراد الله ان يفتح سبيل الاجتهاد والاخذ بالعلوم واستنباط المناهج والاحكام من الظروف المتغيرة ·· واكتفى القرآن في موضوع السياسة والحكم بتوصيات عامة لها صفة الازلية وعدم التغير عبر العصور ··

ماذا كانت تلك التوصيات ؟

أولا ·· حرية الفرد وكرامته ·

والفرد في الاسلام هو امة ·· بل هو عالم بأسره بل الانسانية كلها في قيمته ··

تقول الاية : « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ·· ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »( ٣٢ ـ المائدة ) الى هذه الدرجة تبلغ قيمة الفرد وقيمة كرامته وأمته ·· ان جميع الانجازات الصناعية والتكنولوجية لا تعدل قتل فرد واحد ظلما في السجون ، لانك إذا قتلت هذا الواحد ظلما فقد قتلت الانسانية كلها ·

فشرط الحكم الأمثل ان يحترم حرية الفرد وأمنه وسلامته ، والا يضحي به من أجل اي إصلاح مادي ·· مهما بلغ ذلك الاصلاح ··

اما الشرط الثاني فهو العدالة الاجتماعية ، والقرآن تناول العدالة الاجتماعية في أكثر من سورة ، وهو يأمر صراحة بالا تحتكر الأموال بين ايدي الفئة : « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » ( ٧ ـ الحشر ) ·

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » ( ٣٤ ـ التوبة ) ٠٠

٠٠ وإذا بات فرد واحد جائعا فالأمة كلها مسئولة ٠

٠٠ وقد نص الاسلام على الملكية الفردية ، وأباحها لحكمة عميقة ٠٠ هي ان مصادرة الملكية الفردية تصادر في نفس الوقت الدرع والسند اللذين يستند اليهما الفرد ٠٠ ومع ذلك لم يطبق الاسلام حرية للكسب الفردي دون ضوابط وحدود وإنما للفرد ان يأخذ بعض مايكسب ٠٠ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ٠٠( ٣٢ ـ النساء ) ٠٠

والبعض الآخر من ذلك المكسب هو حق الله ٠٠ ينفقه الحاكم ليحقق الضمان الاجتماعي للفقير والمريض العاجز والارملة ٠ ولينفق منه على التعمير والاصلاح ، والقيام بالمشروعات النافعة للمواطن ٠

وسبق الاسلام بمبدأ الضمان الاجتماعي ( دون تفرقة في الدين ) جميع تشريعات زمانه ، وقد فرض عمر بن الخطاب للمولود مائه درهم فاذا ترعرع زاده الى مائتين كما فرض مخصصات ضمان لليهودي الاعمى ، وللمجذومين من النصارى ، وخصص حبوسا للانفاق على ضعاف الحيوان وايوائها وحمايتها ٠

وللحاكم في اموال الاغنياء حقوق غير الزكاة لسد الذرائع ، فله ان يأخذ الضرائب الاضافية والاستقطاعات في حالات الوباء والمجاعة والحروب ٠٠

وحرمة الفرد ، وحرمة بيته وحرمة أسراره حافظ عليها الاسلام أكثر مما حافظ عليها ميثاق حقوق الانسان ٠٠

فنهى عن التجسس وعن دخول البيت دون إذن واقتحام المساكن عنوة ٠٠

أما الشرط الثالث ـ في الحاكم الأمثل ـ فهو الشورى والشورى تكون من الحاكم للصفوة من أهل الرأي ٠٠ لا ينفرد بالسلطة ولا يتجبر ٠٠

والله يقول للنبي محمد عليه الصلاة والسلام :

« وماأنت عليهم بجبار » ( ٤٥ ـ ق ) « فذكر إنما أنت مذكر،لست عليهم بمسيطر » ( ٢٢ ـ الغاشية ) ٠٠

وهو محمد النبي المعصوم صاحب اللياقات الكاملة ٠

« إنما المؤمنون إخوة » ( ١٠ ـ الحجرات ) ٠٠

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ٠٠ ( حديث شريف ) ٠٠

« وقضي ربك ان لا تعبدوا الا إياه ( ٢٣ ـ الاسراء ) ٠٠

والحكم في الاسلام للصفوة والنخبة المختارة ولا يصح تحكيم الطغاة والدهماء والسوقة في مقاليد السياسة والفكر ٠٠ لأن « أكثر الناس لا يعلمون »٠٠ ( ٢١ ـ يوسف ) ٠٠

« بل أكثرهم لا يعقلون ٠٠ ( ٦٣ـ العنكبوت ) ٠٠

« أكثر الناس لايؤمنون » ( ٥٩ ـ غافر ) ٠٠

« ان يتبعون إلا الظن ( ٦٦ ـ يونس ) ٠٠

نهى الاسلام عن الغوغائية والديماجوجية وأوصى بتسليم مقاليد الأمور لصفوة منتخبة لأن الكثرة دائما على ضلال ٠٠

كما نهى الاسلام عن العنصرية ونهى عن احترام الناس على مقدار غناهم وطبقاتهم ٠٠

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم »( ١٣ ـ الحجرات ) ٠٠

« لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى » ( حديث شريف ) ٠٠

وهذه الوصايا تمثل الذروة في الحكم والسياسة والتعامل ٠٠ وهي تقدم الخصائص الازلية للحكم الأمثل ٠٠ التي لا تتغير بتغير الظروف والأحوال ٠٠

* * *

ولهذا كله نعتبر القرآن سبق كل ماوضع من نظريات في السياسة ولهذا نحرص عليه ونستلهم اياته ونعتبره ركنا اساسيا في دولة العلم

والايمــان ·· ونرى فيــه نبع علم لا ينفــد ، ومصدر هــدى وبصيرة وحكمة ·· وشرطا في بناء الانسان السوي الكامل ·

**لا يمين ولا يسار :**

·· لايمــين ولا يسار ·· وانمــا صراط الاعتــدال الذي نسميــه الصراط المستقيم ، من خرج عنه باليمين فقد انحرف ، ومن خرج عنه باليسار فقد انحرف ··

والصراط المستقيم ليس هو الوسط الحسابي بين اليمين واليســار وإنمــا هو الوســط الجدلي ·· هــو التركيب الجــامع الذي يــوفق بين النقيضين ، ثم يتجاوزهما في وحدة غنية خصبة جامعة ··

« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوز »··« ٢٩ ـ الاسراء » ··

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قــواما » ( ٦٧ ـ الفرقان ) ··

فــالصراط المستقيم هــو إذن تركيب بــين نقيضــين ، بــين البخــل والاسراف يكون صراط الاعتدال هو الكرم ·· وبين الجبن والتهور هو الشجاعة ·· وبــين اليمين ( طغيــان مصلحة الفــرد ) وبين اليســار ( طغيان مصلحة الجماعة ) يكون المنهج الاسلامي هو التوازن الدقيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ·· دون أن تطغى واحــدة على الآخرى ·· فلا رأسمالية ولا شيوعية ·· وإنما نظام إبداعي يأخذ من الفرد دون ان يطحنه ويغني المجتمع دون أن يجعل منه سلطة تذويب للأفراد ··

وهذا هو النظام الابداعي الذي تسميه الصراط الذي يرفض اليمين كما يرفض اليسار معا ·· ويقيم تركيبا سلوكيا فذا ·· هو صراط الله الحق ··

**طريقنا الى النجاة :**

يقول المؤلف ضمن مايقوله في هذا الفصل :

العلم ضروري ..

ولكن المشكلة هي كيف نأخذ هذا العلم ؟

ان المنهج العلمي الموضوعي يقوم على استنباط قوانين الطبيعة من التجربة ومن استقراء الشواهد المحسوسة .. ولهذا فهو يتضمن رفض كل ماهو غيب .. وكل ماهو غير محسوس .

ولهذا تستبعد العقلية العلمية فكرة الله والقدر والجن والملائكة والعالم الآخر ابتداء ودون مناقشة واذا لم نحل هذه المشكلة لطالب الابتدائي والثانوي الذي نلقي اليه بكتب الكيمياء والطبيعة والكهرباء فانه سوف يدركها بنفسه وسوف يدخل في صراع مع أفكاره الدينية الموروثة وهو صراع سوف ترجح فيه كفة العلم اذا اختار هذا الطالب طريق الجامعة واذا غرق أكثر وأكثر في تخصص علمي ..

وأكبر خطأ ارتكبناه في حق هذا الطالب أننا قسمنا التعليم الى نوعين تعليم ديني وتعليم علمي ..

.. هذه الازدواجية التي فصلنا فيها بين أزهر وجامعة ..

كانت أكبر خطيئة لأنها كانت الباب الذي خرج منه المتعلم الجامعي من دينه كانت الطلاق البائن بينه وبين تراثه الروحي ..

## والعلم لا يقبل الازدواج

والعلم في نظري لا يقبل الازدواج لأن الحقيقة واحدة .. كل مافي الأمر أن هناك حقائق في محيطنا البشري ، يمكن معرفتها بالاستقراء والتجربة .. وحقائق الهية لا يمكن معرفتها بالتجربة .. ولا يمكن ان تأتينا إلا وحيا .. ولا تناقض بين الاثنين ولا يصح ان يستبعد أحد العلمين الآخر ..

ولابد أن تضم الجامعة كلا النوعين من التعليم من سنواتها الاولى الى سنواتها الاخيرة وان يكون الدين مادة اساسية ، وان تكون المعارف الالهية مادة اساسية ٠

وان يكون صراع الدين والعلم في ذهن الطالب صراعا بصوت عال يشترك فيه الطالب والمدرس من بدايته ؛ وأن يتعرف الطالب من البداية على ان هناك نوعين من الحقائق ·· حقائق موضوعية كالكهرباء والذرة والبحار يمكن ان يجتهد فيها بالتجربة وحقائق الهية خافية لا يمكن ان تأتي الا وحيا عن طريق الرسالات وهذه الحقائق وسيلة اليقين فيها القلب وليس العقل ··

ولا تناقض في العلوم الالهية والعلوم الموضوعية ، وكل الفرق ان العلوم الالهية أشمل وأكثر إحاطة ·· وانها علوم يقينية بينما العلوم الموضوعية علوم جزئية احتمالية احصائية تتغير فيها النظريات وتتبدل ٠

وسوف يقتضي هذا تغييرا في المناهج العلمية والمقررات وكتبا جديدة توضح ·· بهذا يمكن ان نأمل في ان نأخذ من الغرب علمه دون ان نفقد تراثنا الروحي ·· ذلك التراث الذي كان أعظم عطاء أعطته هذه الأرض مهبط الاديان وبذلك يمكن ان نأمل في ان يخرج من مدارسنا كل يوم من يستطيع ان يرد على ماركس وفرويد ··

وسوف تكون هذه التجربة العملية أكثر من مجرد خطة علمية ٠

❊ ❊ ❊

سوف تكون خطة سياسية إلى فكر جديد نابع من تراثنا وواقعنا أفضل من السير والجرى وراء الموضات ·· الفكرية الأجنبية ٠

ولو نظرنا الى الاسلام لوجدنا فيه نبعا من الافكار والحقائق تسبق النظامين تقدما ومعاصرة ··

لقد جاء الاسلام من البداية مقررا مبدأ المساواة في الفرص ·· وضمان حق **الكفاية** للفرد وتحقيق التوازن بين حرية الفرد في الربح ،

وحقوق المجتمع ومبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ·· ( القطاع العام والخاص ) ومبدأ تدخل الدولة في الاقتصاد وهو مانسميه اليوم بالاقتصاد الموجه ·ومبدأ مصادرة أموال المستغلين لصالح الفقراء والمظلومين ··

## لا يسمح الاسلام بالطبقية :

فالاسلام لا يسمح بالطبقية ·· ويحرم تداول المال بين فئة محدودة من الاغنياء « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » ( ٧ ـ الحشر )

والعزة في الاسلام بالتقوى وليست بالغنى ·· « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »( ١٣ ـ الحجرات ) ··

« ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وإنما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ·· ( حديث نبوي ) ··

« الناس سواسية كأسنان المشط » لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى ·

* * *

·· ويقوم المنهج الاسلامي في أصوله على أساس فكرة التوفيق بين مصلحة الفرد وبين مصلحة الجماعة ·· فهو لا يسحق الفرد لصالح الجماعة ( كما في الشيوعية ) ولا يسحق الجماعة لصالح الفرد ( كما في الرأسمالية ) ··

ولكن إذا استحال التوفيق كما في حالات الحروب والمجاعات والاوبئة ·· فان التطبيق الاسلامي يختار المصلحة الجماعية ·· ويقرر ان يقتسم الناس الطعام بالتساوي ولو عاشوا جميعا على أنصاف بطونهم ··

ويقول عمر في عام المجاعة :

« لو لم يجد الناس كفايتهم من القوت فعلى أهل كل بيت ان يستضيفوا مثل عددهم فيقاسموهم أنصاف بطونهم فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم ··

ولكن هذا الاجراء ·· هو إجراء طوارىء ·· وحكمه حكم الجراحة العاجلة في حالة الخطر ·· وهو خروج من الأصول الى الفروع ( كتغير الظروف والملابسات ) وهو ليس الدستور الاسلامي للحياة العادية ··

* * *

أما في الحالة العادية فالمنهج الاسلامي يلتزم بالأصول الالهية ، وهي استهداف التوازن الدقيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ··

« لا تظلمون ولا تظلمون » ( ٢٧٩ ـ البقرة ) ··

« لاضرر ولا ضرار » ( حديث نبوي ) ··

وفي حديث نبوي أخر تلخيص جميل لهذا التوازن الدقيق بين المصلحتين :

ان قوما ركبوا سفينة فصار لكل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأسه فقالوا له : ماذا تصنع قال هذا مكاني أصنع فيه ما أشاء ·· فان منعوه نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا ··

ولهذا يخطيء من يتصور الاسلام رأسماليا ··

ويخطيء من يتصور الاسلام شيوعيا ··

ويخطيء من يتصور الاسلام وسطا حسابيا بين النظامين ، او تلفيقا بينهما فالحقيقة ان الاسلام منهج اقتصادي متميز ·· ينطلق من منطلقات مختلفة ·· وان اتفق في هذه النقطة او تلك مع هذا النظام او ذاك ··

فهو ينطبق من فكرة التوفيق والمصالحة والتعاون والتكامل ·· وليس من فكرة الصراع الطبقي والتناقض ·

وهو يهدف الى التوازن بين الفرد والمجموع ·· وليس الى تذويب الافراد في المجموع ( كما في الاشتراكية العلمية ) ·· أو الى التضحية بالمجموع لصالح قلة من الافراد الرأسماليين ( كما في الفكر الرأسمالي ) ·· إنما التوفيق والمصالحة هو دائما المنطلق ··

وإذا كنا نجد في الاقتصاد الرأسمالي ان حرية الفرد في الربح هي

الاصل وان تدخل الدولة هو الاستثناء ·· واذا كنا نجد في الاشتراكية العلمية ان تدخل الدولة وانفرادها بالنشاط الاقتصادي هو الاصل ·· وان إباحتها بعض الحرية للفرد هو الاستثناء ·

فاننا في الاسلام امام شيء مختلف ·

فالحرية الفردية في الربح اصل في المنهج الاسلامي والملكية الفردية أصل كما ان تدخل الدولة في الاقتصاد أصل والملكية العامة أصل ·

## والزكاة في الاسلام أول مؤسسة ضمان اجتماعي

وحين يقرر الاسلام الزكاة ، فانه يشرع تدخل الدولة ، ويقيم اول مؤسسة ضمان اجتماعي ·· وهو يجعل هذا التدخل واجبا ·· حتى لا يصبح المال دولة بين الاغنياء وحكرا لطبقة دون باقي المواطنين ·

والملكية العامة مقررة كأصل في اراضي الوقف الخيري والمعادن والكنوز في باطن الأرض والارض مفتوحة بالغزو والمساجد ·· كل هذه ملكية عامة للدولة كما ان الملكية الفردية أصل يقطع يد من يتعدى عليها ··

وحرية الفرد في الربح أصل ·· ولكن الاسلام لا يتركها مطلقة ·· وانما يضع عليها قيودا فلا يجوز انتاج الخمر ·

أو التعامل بالربا أو الاحتكار او حبس المال عن الانتاج ( الاكتناز ) او صرفه في سفاهة او جمعه من الرشوة ·· او الاضرار بحقوق الآخرين او المغالاة في الاسعار ··

ويتميز منهج الاقتصاد الاسلامي بشيء آخر لا نجده في الرأسمالية او الاشتراكية العلمية هو اشباعه للحاجات الروحية فمعاملة الله وارضاؤه اصل في الانفاق وفي الاحسان ··

وهذا الاشباع الروحي يحمي المجتمع من الخواء النفسي والخراب العصبي الذي وقعت فيه مجتمعات الرخاء الاوربية مثل السويد ·· او

الاشتراكيات الملحدة في الشرق حيث نجد أعلى نسبة من الجنون والانتحار رغم توفر ضمانات العيش للجميع ·

والصبغة الروحية للنشاط الاقتصادي شرط من شروط الاسلام ·· فالعمل الصالح المفيد والنافع لا يكفي عندنا كهدف للمؤمن ·· ولا يكون هذا العمل مقبولا الا اذا قصد به العامل وجه الله ·· والله غير محتاج ··

( ان الله لغني عن العالمين )٦ ـ العنكبوت ـ ولكن العامل هو المحتاج لهذا التوجه لانه يستمد به القوة والمدد من ربه ·· وانما عمل الكافر مهما كان صالحا فهو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف انه يتصور ان توفيقه من عند نفسه ·· وان نجاحه مهارة وشطارة فهو من زرع الانانية وحصاد الغرور والانفصام في الاسلام بين ماهو روحي وبين ماهو مادي ··

وفي البحث في اعماق الاسلام والقرآن والسنة عن هذا الخط ـ الاقتصادي الاسلامي ـ والبحث في حدوده ومواصفاته نجاتنا جميعا من التخبط بين الرأسمالية وبين الاشتراكية العلمية ··
( وهي غير علمية كما رأينا ) ، وفيه نجاة لنا من ترقيع حضارتنا العظيمة بحضارات هي في الواقع في حالة شيخوخة وانحلال ( كالرأسمالية ) او في طور تجربة واختبار ( كالاشتراكية العلمية ) ··

وكلتا الحضارتين مادية تقوم على الفلسفة الظنية وتستهدف المصالح المادية الجافة دون ظلال من روح او معارف الهية أو يقين تسانده السماء ويؤيده الله ·

ثم يقول المؤلف : والفكر المؤمن والفكر الملحد يطرد كل منهما الآخر ولا يمتزجان كالزيت والماء ·

## محاولات التوفيق بين الماركسية والاسلام هي محاولة للتسلل إلى الشرق الاوسط :

التوفيق بين الماركسية والاسلام التي يقوم بها امثال مكسيم رودنسون ٠٠ او جارودي هي في الواقع تلفيق ٠٠ لا توفيق ٠٠ والدوافع الخافية وراء تلك المحاولات هي « فكرة ميكافيلية لترويج بضاعة انتهى موسمها ٠٠ ( وهي الماركسية ) بوضع ماركة الاسلام عليها محاولة التسلل الى الشرق الاوسط داخل حصان طروادة وكما تعلم بدأت الماركسية بإعلان الحرب على الدين فلما فشلت أعلنت الهدنة ٠٠ وطلب الماركسيون من اتباعهم عدم التعرض للدين فلما فشلت الهدنة بدأت محاولات التحالف ـ وبدأ دراويش الماركسية يتكلمون بلغة أهل الله ويسبحون للحي القيوم ويعلنون الزواج الشرعي بين الماركسية والاسلام وهو زواج باطل وحكاية الماركسي الذي يحمل كتاب ماركس في يد ٠٠ والسبحة في اليد الاخرى ٠٠ هو انسان يدجل على نفسه أو علينا ٠٠ او هو انسان مصاب بانفصام في الشخصية وفي حاجة الى علاج عاجل من هذا التناقض والتخبط ٠٠
ونحن لا نرى داعيا لهذا الخلط والتلفيق ٠٠ ونرى ان الاسلام يقدم كافة الحلول العصرية لمشكلة العدالة الاجتماعية ٠٠

### لماذا نعاند الفطرة ٠٠

لماذا نعاند الفطرة ٠٠ ولماذا لا نعود الى الطبيعة السمحة البسيطة لماذا لا نسمي مكتسباتنا وانجازاتنا وخطواتنا التي احرزناها على طريق التقدم باسمها الحقيقي ؟

لماذا لانسميها عدالة اسلامية واقتصادا اسلاميا مادامت بالفعل موجودة في كتابنا ، وخارجة من تراثنا ٠

# الإسلام والأمن الدولي

الأستاذ محمد عبد الله السمان

الأمن والسلام الدوليان مايزال الحديث عنهما يتردد في كل وقت وفي كل ناحية من انحاء الأرض شرقا وغربا ٠٠ وذلك بالرغم من أننا نعيش - كما يقال - في عصر الأمم المتحدة ٠٠ وفي عصر التقدم والعلوم !

بل انه ليس من شك في أن هذا الحديث المكرور المعاد عن الأمن الدولي والسلام العالمي انما هو حديث يشوبه الكثير من القلق ٠٠ أو الكثير من الشك في أن الأمن والسلام سوف يسودان في العالم ٠٠

ذلك لأن روح السياسة المكيافيلية مازالت - مع كل أسف - هي المبدأ المسيطر ٠٠ ومازالت الأنانية الطاغية هي الطابع المميز لسياسة الأقوياء !

ان الحرب التي اشتعل أوارها من أسابيع في قسم كبير من العالم ٠٠ بين شعبين كبيرين من شعوب الأرض ، هما الهند وباكستان لاشك في انها مظهر بارز من مظاهر هذه السياسة : سياسة الأنانية الحمقاء ، والعدوان الرهيب !

ان هذه الحرب الطاحنة المدمرة لم يكن لها من سبب سوى مجرد العنت ٠٠ والا فما الذي يحدو بالهند وهي التي رأيناها خاصة في سنواتها الأخيرة بعد الاستقلال ٠٠ في طليعة أمم تدعو الى السلم ، وتنادى بحق كل جماعة من الناس في تقرير مصيرها ٠٠ ما الذي يحدو بحكومة هذا منزعها وهذا شعارها أن تصر على حرمان شعب كشمير

المسلم من أن يقرر مصيره بنفسه وفقا لما قررته هيئة الأمم وتمشيا مع حقه الطبيعي المشروع ، الأمر الذي أدى في النهاية - بعد الصبر الطويل - الى أن يحدث هذا الذي حدث ·· الحرب ولا شيء غير الحرب ·· وماذا بعد هذه الحرب - ان لم يتلافها عقلاء قوم ·· وان لم يرجع المتعنتون الى صوابهم سوى شيء واحد كنتيجة حتمية لاستمرار الحرب - شيء واحد ·· هو اللا أمن واللاسلام !

الأنانية الطاغية ، والعنت والصلف ·· ما أجمل أن يتخلى عنها كل من احس بأنه قوى ·· وما أجمل أكثر من ذلك أن يخضع للحق ، وان يسود بين الشعوب مبدأ احترام حقوق الآخرين ، بعيدا عن شريعة الغاب ·· وعن الصلف ، والكبرياء !

ولقد كان الاسلام حقا أول من ضرب المثل عاليا في تثبيت هذا المبدأ النبيل سواء في المجال النظري ، أو في مجال التطبيق !

كان مثلا عاليا في احترام الحق ، وفي تطبيق العدل ، وفي تجنب العدوان ، وفي البعد عن سياسة الأنانية والعنت ·· وبذلك استطاع في عصور قوته وازدهاره أن يوطد الأمن وان يحافظ على السلام !

وما أكثر ما تناول الباحثون سواء في القديم أو الحديث ، هذه الناحية الهامة من نواحي الاسلام !

وكتاب « الاسلام والأمن الدولي » للأستاذ السمان ، الكاتب الاسلامي المعروف ، هو واحد من كتب عديدة قيمة ظهرت في هذا العصر ، تتحدث عن الاسلام ، وموقفه من الأمن والسلام ·

ولقد أعطى المؤلف الفاضل - بأسلوب ينبض حرارة وصدقا ، موضوع بحثه هذا ، حقه من الدقة والشمول !

ولم يفته من خلال بحثه أن يقارن بين منهج الاسلام سواء في الحرب أو السلم بالنسبة لمناوئيه ·· وبين المناهج الأخرى لغيره من الأمم والشعوب ·

بل ، لم يفته كذلك ان يشير الى المدى الذي يستطيع أن يبلغه في توطيد

الأمن الدولي اذا ما وجد من شعوبه المسلمة المؤازرة والتأييد بوقوفها بجانب قضايا الحرية والعدل ونصرتها لكل شعب يناضل من أجل الكرامة ومن أجل الاستقلال !

ولنمض مع مؤلف الكتاب الاستاذ السمان في حديثه حيث يبدأه في تقديمه لكتابه بقوله :

ان الذي لا ريب فيه ولا جدال ان العالم اليوم يتأرجح فوق بركان على وشك الانفجار ولم تكد تسلم رقعة من رقاعه من هذا البركان المزعج ، والذي لا ريب فيه أيضا أن الاضطراب قد أصبح ضرورة من ضرورات العالم لا تكاد تستغنى عنه بقعة من بقاعه ٠

وكان وجود هذا الاضطراب مرتبطا تمام الارتباط بحياة دول يهمها أن يظل قائما فوق وجه البسيطة ، وتذود عن كيانه بما تستطيع من قوة ، وتحرص على خلقه من جديد اذا تلاشى أو أوشك أن يتلاشى في ركن من الأركان ٠

ويستطرد الكاتب الى أن يقول : « وقد يستطيع الاسلام أن يلعب دورا خطيرا في استتباب الأمن الدولي ٠٠ وهو هدف رسالته الغراء ، ولكن حين يجد الشعوب المسلمة الحية التي تؤيده والتي ترغب في تحطيم اغلال العبودية والمسكنة ٠٠ فنحن لا ننكر أن الدول العربية وحدها هي مطمع الكتلتين المتنافستين ، بل هي الفريسة المنتظرة للذئبين المتربصين ٠٠ واليوم الذي تستطيع الفريسة فيه أن تتنمر لا يجد الذئبان مفرا من التقهقر ٠٠ وكذلك في اليوم الذي يمكن للدول الاسلامية أن تتحرر بقوة شعوبها ، لا تجد الكتلتان المتنافستان مفرا من السكون ٠

ان هذا العالم المضطرب لفى أمس الحاجة الى الهدوء حتى تتنسم البشرية بعض الأنسمة العذبة بعد مراحل من الحياة قضتها في جو من العنت والارهاق ـ فلا يكاد العالم يتناسى آلام حرب مضت حتى يهدد بحرب ستأتي ٠٠ وهكذا قدر له أن يعيش في حالة حرب ٠٠ أو مهددا

بشبحها ، وهذه حياة من شأنها أن تحطم الأعصاب ، وتذهب العقول ٠

وقد كان للاسلام الفضل في أن يهب للعالم فترة من الزمن للهدوء والاستقرار ٠٠ ثم يقول المؤلف : « ونحن لا يكفينا أن نقدم للعالم صفحة مضت للاسلام ٠٠ أو نوضح أهمية الأسس التي قام عليها بناء الاسلام لصيانة الأمن الدولي ولكنا نود أن تتيقظ الشعوب الاسلامية لتؤيد الاسلام اليوم في هذه المهمة الخطيرة ٠٠ اذ لا قيمة لماض لم يكن حافزا على النهوض والطموح ، ولا لتعاليم لم تنل شيئا من التأييد والتنفيذ !

ان العالم في كل زمان ومكان في مسيس الحاجة الى استقرار الأمن ، وارساء قواعده على أسس متينة من الحق والعدل ، والرحمة والمساواة ٠

ولم تكن رسالة الاسلام رحمة للعالمين إلا لأنها حرصت على أن تهب للبشرية حياة تتوفر فيها كل أسباب الأمن والطمأنينة ٠٠ ولأنها أخذت على عاتقها ان تسمو بالانسانية الى أعلى مراتب الاستقرار والهدوء ٠٠ وتأخذ بيد مركب الحياة حتى يتحول بها عن مزالق الفتن والشرور ٠

والذي يستعرض حالة العالم قبيل ظهور الاسلام ، وخاصة جزيرة العرب ، وما أصابه من محن وقلاقل ، وما اكتنفه من اضطرابات لم تقف عند حد ، وما شمله من حروب طاحنة مدمرة لم ترحمه من الفوضى عاما واحدا ـ يستطيع أن يدرك مدى حاجة ذلك العالم الشقي البئيس الى دعوة اصلاحية كدعوة الاسلام ٠٠ تخلصه مما لحقه من فوضى ، ولتنقله من مرحلة صاخبة عاتية الى مرحلة وديعة هادئة ٠

كما يستطيع أن يدرك مدى تأثير هذه الدعوة الاصلاحية الكبرى في كل أرض حلت بها وفي كل بقعة أشرقت عليها شمسها ، وانبثق ضياؤها ٠

## حالة الأمن قبل الاسلام

فأوربا خلال القرنين السابقين لظهور الاسلام قد اصيبت بسلسلة من الحروب المهلكة المدمرة فالوندال مثلا في القرن الخامس الميلادي اقلقوا الدولة الرومانية ، واستطاعوا ان يفسدوا في الأرض ، ويمعنوا نهبا وسلبا ·· وقتلا وتخريبا كما استطاع المغول والهون ، ان يغزوا شرقى أوربا ويبسط الهون نفوذهم على الجهات الممتدة من نهر الراين الى جبال الاورال ، ويخضعوا قبائل الجرمان وغيرها ·

وفي القرن السادس الميلادي ظهر من القواد العتاة امثال « كلوفس » مؤسس دولة الفرنجة الذي أذاق دولتي الرومان والقوط وغيرهما الوانا من التنكيل في حروب لا يوزن ما أريق فيها من دماء ·· ولا يحصى ما حصد فيها من أرواح ·· كما حدث في هذا القرن ان احدق الخطر ببريطانيا من ناحية الاسكتدلنديين وغيرهم في الشمال ، ومن ناحية الجرمان والسكسون وغيرهم في الجنوب وظلت خلال هذا القرن ، العناصر الهمجية الضاربة أطنابها وراء جبال الألب تهدد الأمن والسلام ، وتثير الفوضى والاضطراب ، دون أن يقف في وجهها احد وظلت شبه جزيرة البلقان هدفا لعبث العابثين من البرابرة واستهدفت انطاكية لنهب الفرس ، وتتابعت موجات الجرمان على ايطاليا لتهدد امنها ·

ولم تكن آسيا احسن حظا ، ولا أقل فوضى من اوربا وحسبنا ان نعلم أن دولة الفرس كانت تتربع في اعظم بقعة من بقاعها ، ولا يغيب عنا امر تلك الحروب الطويلة التي وقعت بين دولتي الروم والفرس والتي أخصبت أراضي القارتين بالدماء قرونا عدة ·

أما افريقيا فقد كانت قبل الاسلام نهبا لدولة الروم ، ومرتعا خصبا للحروب الدامية لاسيما شماليها الذي ظل مئات السنين لم يهدأ الاضطراب خلالها ساعة واحدة ·

أما الاضطراب الذي ساد الجزيرة العربية نتيجة الحروب فهو أوضح من أن يوضح ٠٠ تلك الحروب العاتية التي كانت العصبيات القبلية تشعلها ، وقد كانت تشعل لاتفه الأسباب ولعل من هذه الأسباب التافهة أن يرمى احدهم ضرع ناقة ، فتظل حرب البسوس الشهيرة بين بكر وتغلب أربعين عاما ٠٠ وهناك حرب داحس والغبراء من أجل السباق ، والتي احدثت اضطرابا واسعا ، وقتل بسببها الألوف من البشر ٠

كانت الحرب في الجاهلية مسلاة وملهى ٠٠ وكأنها غذاء ضروري لا يقوون على التفريط فيه ، ولا استغناء عنه اذا استعرضت اشعارهم تلمس مدى شغفهم بالنضال والنزال والفخر بالخيل والسيوف كأنهم لم يخلقوا الا لاراقة الدماء ، وازهاق الأرواح ، وكأنهم لا يصلحون الا للجو الملبد بالقلاقل والاضطرابات ٠٠ وكأنهم لا يطمئنون الا الى الحياة الملوثة بالنوائب والفواجع ٠

## فوضى الطبقات

أما فوضى الطبقات فقد كانت تشمل ارجاء العالم كلها لاسيما دولة الفرس التي كانت فيها الخاصة تحرم على العامة ان يتمتعوا بمجرد الشعور بأدميتهم وكانت على أشدها في الهند والصين حيث يبدو الاستعباد على حقيقته حتى ان القانون في الهند كان يمنح طبقة البراهمة امتيازات تلحقهم بالالهة وقرر انهم صفوة الله ، كما صرح في نفس الوقت بأن المنبوذين لن ينالوا رحمة الالهة الا بخدمة البراهمة ، وتتساوى كفارة قتل الواحد من المنبوذين وكفارة قتل الكلب والقطة والبومة ٠٠ وما اليها ٠

ولم ترحم فوضى الطبقات دولة الروم ، ولا اقطاعيات افريقيا ، ولا الجزيرة العربية التي استحلت الخاصة فوق اديمها استعباد العامة ، وتسخيرهم والتحكم في رقابهم ٠

وعلى كل فلم يكن هناك شبر من أرض الله يتمتع بلمحة من الأمن قبيل الدعوة الاسلامية أو فرد يمس جانبه ذرة من الاستقرار مما جعل العالم في مسيس الحاجة الى موجة انقاذ تكتسح ما أمامها من الفوضى ، وتقيم بناء المجتمع الانساني على قواعد من العدل والرحمة والحرية والاخاء والمساواة ٠

اذن فهذه الدعوة الاسلامية الاصلاحية جاءت في الوقت المناسب في وقت كان لابد لها من الظهور فيه لتؤدي واجبا انسانيا جليلا ، وأحق البقاع المضطربة بتأدية هذا الواجب الانساني لها هي البقعة التي خرجت منها الدعوة الاسلامية ٠

فقد كان مجرد اعلان هذا الدين الجديد الذي يدعو الى الله وحده ، ويندد بعبادة حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ، وينفر من تقاليد الجاهلية الموروثة عن جهل وغباوة وحمق ٠٠ كان مجرد اعلان هذا الدين الجديد مفاجأة لمكة فاعتبرته حدثا يتحدى صلفها وعبادتها وتقاليدها ويعبث بآثارها ومقدساتها ، فأعلنت الحرب عليه ٠٠ لتقضي على الدين الجديد قبل أن يقوض اركانها ،ليشيد فوق انقاضها بلدا آمنا يعيش أهله اخوة يربط بينهم التوحيد برباط من المودة والصفاء ٠

ولم يكد الدين الجديد يحل بيثرب حتى وضع حدا لاقسى حرب بين أكبر قبيلتين بها هما الأوس والخزرج ، اشتعلت بينهما قبل مجيئه بسنين عديدة وأهلكت من الأنفس ما لا يحصى له عدد ٠

وهكذا كلما حل الدين الجديد بأرض ، كانت أول خطوة من خطواته أن يطوح بأسباب الفزع والاضطراب فيها ويمهد لاستقرار الأمن واستتبابه ٠

**هدف الاسلام : الأمن للعالم**

ثم يمضي المؤلف في حديثه الى أن يقول : « ان الأسس التي يقوم عليها بناء الاسلام كفيلة بأن تضمن للعالم الأمن والسلام ٠٠ وتقوض اركان الفوضى والاضطراب ، ولم تكن مهمة الاسلام أن يبسط دعوته

على الجزيرة العربية فحسب ، ولكن ليبسطها على الكـون باسـره ٠٠ ليكون في استطاعته تحقيق هدفه الاسمي ٠٠ وهو ان يهب لهذا الكون الامن ، فيسعد في ظله وامنه ، ولتحقيق ارادة الله سبحـانه : « ومـا أرسلناك الا رحمة للعالمين » ٠

فالاسلام يدعو العالم الى عقيدة واحدة ، ويوجهه الى قبلة واحدة ، ليقيم صرحا للاخوة التي لا غنى للعالم عنها ، فيعيش في جو من الامن والهـدوء ، ويمحـو من الوجـود تفـاوت الطبقـات الذي يعكـر امنـه وهدوءه ٠٠ « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » ٠

ويقول المؤلف : « والاسلام يلفت نظر العالم اجمع الى ان النـاس جميعا مخلوقون من مادة واحدة ، ومتساوون في اطوار الخلقة كلها ، ومنتسبون جميعا الى اب واحد هو آدم ابوالبشر عليه السلام ، وذلك ليؤكد الاخوة المنشودة بينهم فيؤيد لديهم وينتصر لها ٠

ويتابع المؤلف حديثه ٠٠ ليقول : « وفي سبيل استقرار الامن الدولي يحب الاسلام الخير للجميع ولا يضمر شرا لجنس من الأجناس لأنه يعتبر أن الخليقة كلها من صنع الله وحده وانها دليل وجوده ، ورمز قدرته ، وما اجمل كتاب الله حين يؤكد هذا المعنى فيقول : « ولقد كرمنا بني آدم » فدل على شمول التكريم بني ادم كلهم فلا تعصب لجنس دون جنس ولا لون دون لون ٠

بل ان القرآن الكريم نفسه تولى مكافحة التعصب الجنسي الذي كان يتزعمه اهل الكتاب من اليهود والنصارى حين ادعوا انهم ابنـاء الله وشعبه المختار ٠٠ وان الجنة خاصة بهم دون غيرهم ٠

والمسلمون الذين جعلهم الله خير امة أخرجت للناس ادركوا هـذا المعنى السـامي فلم يتعصبوا لجنسهم ٠٠ واعتبـروا أن الخلق كلهم شعب الله وان الرسل جميعهم رسل من عند الله لا فرق بينهم ، وان الجنة ليست محتكرة لجنس دون جنس ، بل هي عامة لكل من يتقي الله ويعمل صالحا وليس بغريب على المسلمين ادراك هذا المعنى ، وقد تولى

تربيتهم القرآن الكريم الذي يقول : « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير »٠

ومن الأسس التي قام عليها الاسلام ، واهتم بها ليحفظ كيان الامن ان يكون الناس رعية ورعاة ٠٠ او شعوبا وحكومات والحكومات مسؤولة عن الشعوب : مسئولة عن فقر الفقير وجوع الجائع وحرمان المحروم ، ومرض المريض ، ودماء القتيل وضعف المستضعف وذلة المستذل ، مسؤولة عن تحقيق العدالة والمساواة بين الافراد ٠٠ وقد اشتمل الدستور الاسلامي الخالد على قاعدة من اهم القواعد التي يستقر فوقها الأمن وهي إقامة الحدود ، لتحول دون بغي الباغين ، وعدوان المعتدين ، واستخفاف المستخفين بالأنفس والأعراض ، والمجتمعات وهذه الحدود بمثابة حاجز يحجز الشر والفتنة ، ويطفىء لهيب القلق والاضطراب ويهيىء للحياة جوا من الأمن والسلام والهدوء ٠

فاذا قطعت يد السارق وجلد الزاني أو رجم ، وجلد القاذف والشارب ، ووقع القصاص العادل على قاتل النفس بغير حق ، ونال المفسد في الأرض العقاب الاوفى ٠٠ تنسم المجتمع انسمة الهدوء ، وارتدى لباس الأمن ، واذا اهمل هؤلاء الأثمون لم يقدر للمجتمع في أي مكان الا أن يصلى جحيم الفزع والاضطراب ويتجرع كئوس القلق والشقاء ٠

وقد اهتم الاسلام بقاعدة من القواعد الراسخة الثابتة التي يستقر عليها الأمن والاستقرار كله ، وهي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلها فرضا محتما على كل قادر ، فالخير اذا وجد من يأمر به ويحث على فعله ، ساد وعم وادى واجبه كاملا في تعبيد سبل السلام ، والشر اذا وجد من يقاومه وينكر على مرتكبه ، والتخلص منه ٠٠ سكن وهدأ ، واراح المجتمع من كوارثه ، وفواجعه ٠٠ أما إذا نضب معين الخير لأن

احدا لم يهتم به وقدح أمر الشر لأن أحدا لم يقاومه فلا ينتظر أن تقوم للامن قائمة ، ولا أن يطيب للبشرية حياة ٠

إن الاسلام يعتبر الأمن نعمة وفضلا لأنه عامل من أهم عوامل الراحة والسعادة لبني الانسان في الحياة يتحصنون به من غوائل الفوضى ، وجرائر الشرور ، وينعمون في ظلاله بلذائذ الهدوء والاستقرار والاطمئنان ٠

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن « دعائم الامن » ومن هذه الدعائم التربية السليمة وهي لا تقوم الا على أساس من العقيدة الدينية ٠٠ فالتربية السليمة دعامة من الدعائم التي يقوم عليها استقرار الأمن وترسو عليها قواعد السلام ٠

ومن دعائم الامن : الاستقرار ٠٠ يقول المؤلف : ان الاستقرار الفردي لبنة في بناء الاستقرار الشعبي ، والاستقرار الشعبي لبنة في بناء الاستقرار العالمي فاذا تلاشى استقرار الافراد تلاشى بجانبه استقرار الشعوب ثم تلاشى بجانبه استقرار العالم ٠

والسلام من اهم دعائم الامن ولا يمكن ان تقوم للامن قائمة في بقعة من بقاع الارض الا اذا سادتها روح السلام ٠

ولن يكتب لشعوب الأرض قاطبة ذرة من الاستقرار الا اذا كانت نفوسها على أكبر قسط من المسالمة ٠

وليس هناك دين دعا الى السلام كما دعا اليه الاسلام ، ولا مذهب من المذاهب القديمة أو الحديثة أسهم في تدعيم أسس الاستقرار كما أسهم الاسلام ٠

فالسلام في الأرض هو هدف دعوته ، وأنشودة رسالته ولم تكن حروبه في الواقع إلا وسيلة لاقرار هذا السلام في الأرض ٠

**المطامع الاستعمارية**

يقول المؤلف : إن المطامع الاستعمارية وحدها كفيلة بان تزلزل كيان الأمن الدولي وتعكر صفو السلام العالمي ، ونقب كيفما شئت في تاريخ

الحـروب القديمـة والحديثـة فانـك لا تجد لهـا سببا غـير المـطامـع الاستعمارية ٠

ويمكن للامن الدولي المنكوب أن يستقر ، وللسلام العالمي البائس ان يصفو لو أن المطامع الاستعمارية تلاشت وتـوارت ٠٠ وافقرت منهـا نفوس المرضى بداء الاستعمار ٠

والعجيب أن الدول ذات المطامع الاستعمارية والاقتصادية ليس لها حجة في استعمارها الدول الصغرى الا المحافظة على الامن والسلام ٠

ويمضي المؤلف الباحث في حـديثه عن مـطامع الاستعمـار وتحليله الدقيق لمختلف البواعث التي تدفعه الى غزو الشعوب الآمنة ٠٠ الى ان يقول :

« هناك هدفان اساسيان للاستعمار الغربي في الشرق ، تتركز فيهما كل اهدافه وتتجمع ٠٠ أما الأول فهو حقدي محض ٠٠ لقتل الروح العربية ومحو الصبغة الاسلامية في الشرق ، وأما الاخر فهو اقتصادي محض لاستغـلال بلاد الشـرق وشعوبـه استغـلالا يعـود عـلى دول الاستعمار بالفائدة ٠٠ ان الغرب المسيحي لا ينسى أبدا أن الاسلام سبق له أن دحره في أفريقيا أو آسيا ولذلك يصر على توجيه ضربة قاضية للاسلام يثأر منه لنفسه ٠٠ وهو يعلم تماما أن محو الطابـع العربي الاسـلامي خير معـين له عـلى إخضـاع المستعمـرات الاسـلاميـة ، والارساليات التبشيرية ، والمدارس الاجنبية وما اليها معاول يستخدمها الاستعمار في هدم كيان الاسلام !

## الفتوحات الاسلامية لم تكن من اجل الاستعمار

لم تكن الفتوحات الاسـلامية استعمـارية ، لأن الاستعمـار معناه الاستغلال ، وما أبعد فتوحات الاسلام من الاستغلال !

لقد فتح المسلمون بلادا لا يحصى لها عدد وسجل تاريخ حكمهم صفحات بيضاء من العدل والمساواة ، واي عدل اكبر مـن — ان يشكـو احد الرعية من الفرس ٠٠ الوالي الى الخليفة لأنه اغتصبه ارضا استغلها

للنفع العام بغير رضا منه ٠٠ فيكتب اليه وريقة بها بضع كلمات يسلمها الى الوالي وفيها : « انصف فلانا من نفسك وإلا فأقبل والسلام »

ولم يكن الخليفة ليقتصر على النصيحة يوجهها الى ولاته الذين يتولون شؤون البلاد ، بل كان يفتش عليهم ، ويحاسبهم حسابا دقيقا ٠

والحكومة الاسلامية كانت مسؤولة عن كل فرد من الرعية من غير تفريق في الملة والجنس واللون وكان مفروضا عليها ان تيسر له سبل العيش الكريم ، وتكفل له الحياة التي تجعله في امن من الفاقة والمرض والحرمان ٠

في عهد عمر بن عبدالعزيز حين اخذ الاسلام في الانتشار خشي أحد الولاة اضطراب ميزانية بيت المال بسبب نقصان مورد الجزية فكتب الى الخليفة يستفتيه في وقف الدخول في الاسلام حتى لا تتلاشى الجزية فرد عليه عمر يقول : ( ضع الجزية عمن اسلم ، فانما بعث الله محمد هاديا ولم يبعثه جابيا )

فالاسلام لا يعترف بالاستغلال في اي وجه من الوجوه لأن دعوته اصلاحية ٠٠ ولا يجدي الاصلاح إلا إذا توافر الاستقرار في المعيشة للرعية على السواء ٠٠

ونظم الاسلام سليمة ، وأصوله في حكم الشعوب تحقق العدالة المطلقة وليس مسؤولا عما يحدث في بعض العهود لأنه يقرر أعدل الاوضاع ٠

## الحروب الاسلامية

وحين نستعرض الحروب الاسلامية المعتمدة والمؤيدة بالقرآن الكريم التي حدثت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٠٠ سنخرج بنتيجة واحدة هي ان هذه الحروب جميعها وفي شتى مشاربها واتجاهاتها لم تهدف الا الى اقرار الامن ٠٠

وكان من الطبيعي ايضا ان يكون لكل حرب من حروبها ما يبرر وقوعها من جانبها وانها لم تعلنها الا بعد أن دفعت اليها دفعا وأجمعت

كل الظروف على ضرورة إشعالها وفشلت كل المحاولات للحيلولة دون وقوعها ..

على أن الذي يستعرض الحروب الاسلامية يعرف أنها لم تكن من النوع الفتاك المخرب .. وكيف تكون كذلك .. وهي لم تكن إلا وسيلة من وسائل الاصلاح في الأرض وإقرار الأمن والسلام فوقها ؟

ولا يمكن أن يعثر على حرب واحدة دفعت الى اشعالها مطامع استعمارية أو اقتصادية أو استغلالية .. ولا تحقيق لرغبة البغي أو استجابة لنزعة العدوان ولا اكراه على قبول الاسلام ، أو ميل الى توسيع رقعته .. ولذلك لم يكن عجيبا أن تحاط بسياج من القيم الانسانية السامية ، ولم يكن عجيبا أن يتجلى فيها أروع أمثلة النبل والرحمة والعدالة والانصاف !

وما كان الاسلام احرص على شيء حرصه على الوفاء بالعهد .. لأن العهد مقياس للرجولة ، والذمم ، والضمائر .. والوفاء به من الأسس التي تقوم عليها عدالة الاسلام مع الاحتياط للامر اذا غدر الجانب الآخر .

( الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين )

ولقد سار الاسلام واتباعه سيرا حميدا خلال النضال على هذه الاسس المتينة من النبل .. فلم يغدروا بأمان .. ولم ينقضوا عهدا .. وادع المسلمون بعد الهجرة اليهود بيثرب .. فلم يغدروا بامان .. ولم ينقضوا عهدا .. ولكن اليهود هم الذين غدروا بالمسلمين ووادعوا كثيرا من الأفراد والقبائل فلم يؤخذ عليهم انهم نكثوا عهدهم مرة واحدة .. وأعطوا الأمان لكثير من الأفراد والقبائل ، فلم يتمردوا على أمان ابدا ..

لقد وقعت ـ قبل الاسلام وبعده ـ حروب اخضبت الأرض كلها بالدماء وحدثت فتوحات لا حصر لها ، ولكن هذه الحروب لم تسجل غير

الخراب والدمار ، وهـذه الفتوحـات لم تسجل غـير النهب والسلب ، وامتصاص دماء الشعوب !

ووقعت حروب اسلامية ، وحدثت فتوحات اسلامية ، فلم تسجـل الحروب ولا الفتوحـات الا صفحات من النبـل والسمو ، والاصـلاح والاستقرار ، وصفحات من الفخر بما بثته من علوم وفنون ·

## دور الاسلام في عالم اليوم

ويتساءل المؤلف في ختام البحث ·· هل يمكن للاسلام ـ اليوم ـ ان يقوم بدوره في تدعيم اسس الامن الدولي ؟ ثم يجيب بأن من الممكن ان يلعب الاسلام دورا خطيرا في وقف عجلة الاضطراب الدولي ؟

وهذا الاضطراب العالمي لا تصلح لوقف عجلته المنظمات الدولية ، فقد انشئت عصبة الامم بسويسرا عقب الحرب الكبرى ، فلم تحل دون اشتعـال الحرب الكبـرى الثانيـة ·· وانشئت عقب الحرب الكبـرى الثانية ، منظمات هيئـة الامم المتحدة ومجلس الامن ومحكمـة العدل الدوليـة ·· فلم تحل دون اشتعـال الاضطراب الذي شمـل العـالم باسره ·

هذه المنظمات الدولية في كل عهد انمـا قصد بهـا تسكين خـواطر الشعوب المغلوبة على أمرها ·· وموارات عدوان الدول الكبرى ·· اذن فلابد من كتلة قوية محايدة تلعب دورا خطيرا في القضاء على الاضطراب الذي شمل كل شبر من الارض ·

ولابد ان تكون هذه الكتلة من دول شعوب تربطها روابط متينـة ، وتعصمها وشائج قوية من الدين والاخوة الاسلامية ·· وتكون مهمة هـذه الكتلة القويـة الوقوف بـالمرصـاد للبغي ، تكسر شـوكتـه حتى يتلاشى ·· ومتى كسر البغي فلن يكون هناك ادنى اضطراب ·

ويجب ان تعتمد هذه الكتلة على القوة ·· فالقوة هي الاسلوب الذي

يقنع كل معتد ·· وباغ ، ان كتلة قوية كهذه تستطيع ان تضع حدا للفوضى والاضطراب ·· وتستطيع ان تقي العالم الشرور التي لم ترحمه ولا تريد ان ترحمه وتهيىء له جوا يستنشق فيه انسمة الاستقرار والهدوء ويتنسم عبيق الامن والسلام ·





# الثقافة الإسلامية من بعض زواياها

بأقلام مجموعة من الكتاب المسلمين

هذه طائفة من الفصول شارك في تقديمها بعض الباحثين الافاضل ·· في باكستان والهند ·· وجلهم من كبار رجال التربية وأساتذة الجامعات هناك ·

ويعود الفضل في إعداد هذه الفصول إلى الأمانة العامة لمؤتمر العالم الاسلامي في كراتشي ·· فهي التي سعت إلى الحصول عليها ونشرتها في هذا الكتاب ·

والواقع ان أمثال هذه البحوث والدراسات ، في موضوع هام كهذا الموضوع ، متعدد الجوانب إنما تأتي اهميتها ـ وخاصة في هذه الآونة ـ من حيث انها تعتبر « أفصح رد » ضد ( المفتريات ) وضد محاولات التضليل والتشويه ·· والتي مازالت تثار ـ وباستمرار ضد كل ما هو اسلامي ، وفي أكثر من ميدان ·· مفتريات ·· وشبهات ·· ومحاولات تضليل وتشويه يواجهها الاسلام منذ القدم ، ومن شرق ومن غرب ·· وما من شك في أنها في هذا العصر وفي هذه الفترة بالذات تبدو اشد ضراوة ·· بعد أن اتسعت الجبهات ، وتكاثر الخصوم وأتباعهم ، وأصبح في كل واد لهم أثر ·· ولئن سبق للكثيرين من الباحثين العرب وغير العرب إسهام ملحوظ في هذا المجال : مجال الثقافة الاسلامية وما يتصل بها ·· إلا أن الفصول الواردة في هذا الكتاب لها ميزتها ··

وهي أنها تناولت الموضوع من زوايا مختلفة ·· وبأقلام متعددة ، وبأسلوب له سماته ومعطياته من ناحيته الفكرية ··

في مقدمته للكتاب يقول السيد إنعام الله خان ، الأمين العام لمؤتمر العالم الاسلامي :

« الاسلام عقيدة وثقافة في وقت واحد » والثقافة الاسلامية تنتشر وتتسع بالدرجة نفسها التي تنتشر بها الانسانية وتتسع ·· وليس في ملكوت الله ، بحسب تعاليم الاسلام أقوام ( مختارون ) أو ( محببون ) الى الله ، فالتقوى وحدها هي التي تجعل الانسان مكرما عند الله ·· وهذا الانسان قد يكون اسود البشرة ، أو أصفر أو أسمر أو أبيض ، وقد يكون فلاحا أو أميرا ، كما أنه ليس بالثقافة الاسلامية أي تمييز قائم على العرق أو اللون أو الطبقة ، فالاسلام ينظر الى الناس جميعا على أنهم أعضاء في اسرة انسانية كبيرة واحدة ·

لقد كان أول ما اوحي به الى الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) قوله تعالى : « اقرأ » ·· ولذلك فانه ليس عجيبا أن يلح الاسلام ويصر على أن الجماعة الانسانية لا تستطيع أن تفلح وتنجح وهي سادرة في الجهل والظلام ·· بل تحتاج الى النور والمعرفة قواما لها وسندا على الحياة ·· والمسلمون الاوائل انما حافظوا على الصفة العقلانية البسيطة للاسلام ·· فطلبوا العلم حيثما استطاعوا الحصول عليه ·· ونتيجة لذلك نجحوا « صالحين شرفاء » ووهبوا الحصافة فلا عجب إذن إذا أصبحوا قادة الفكر في جميع أرجاء العالم المفكر ، ووضعوا القواعد والمقاييس كيما يتبعها الخير ويتقيد بها · في تلك الايام المجيدة لم يكن الاسلام قد ضيق وهبط به الى مستوى الشيع والطوائف ·· بل ظل قوة تقدمية تشع نورا ومعرفة ·

ومما يؤسف له أن المسلمين عندما توانوا في طلبهم العلم والمعرفة ، وفي تقصيهم العلوم الطبيعية ·· بدأ يلفهم الجهل شيئا فشيئا ·· ودون أن يشعروا وبدأوا عرضة لشعور من الكبرياء الزائفة

والاضمحلال ·· لقد ظل المسلمون حملة مشاعل الحضارة والثقافة طالما اتبعوا مبادىء الاسلام النبيلة السامية ، وعاشوا عيشة كبار المجاهدين الساعين الى نيل العلم والمعرفة ، والمكافحين في سبيل الحرية والانسانية ، والتقدم الانساني والسلام العالمي ·

الى أن يقول : « لقد آن للمسلمين ان يفكروا في أمورهم وأن يبحثوا في ضمائرهم وأن يبذلوا الجهود الصادقة في سبيل العودة من جديد الى دين النبي الكريم ·· ان توجيه الفكر الاسلامي من جديد على ضوء تعاليم الاسلام النقية الفطرية هو ما نحتاج اليه في ساعاتنا هذه ·· ولابد لنا من ازالة ما علق بالذهن من الشوائب ، كما علينا أن نزيل ما تراكم عليه بفعل الزمن ·· وأن ننحي جانبا جميع العناصر الغريبة الضارة ·· ومتى فعلنا ذلك فاننا سنرى عندئذ الصورة الاصلية بجميع بريقها وظرفها ، ان الاسلام يجب أن ينقذ من أعماق الاهمال والجهل ، ويجب أن يخلص من عبوديته الاجنبية ·· وما لم يتحقق كل ذلك فاننا لن نستطيع أن نعيد تنظيم حياتنا من جديد حسب متطلبات الاسلام ثم يقول : إن الثقافة الاسلامية ليست ثقافة شرقية ولا ثقافة غربية ، بل ان لها صفة عالمية عامة ·· فما هي اذن الصفة المركبة للثقافة الاسلامية ؟ إن الصفحات التالية تقدم جوابا عن هذا السؤال ··

فقد حاولنا الحصول على آراء بعض العلماء المسلمين البارزين في هذا الموضوع وجمعناها بين دفتي هذا الكتاب :

حول الثقافة الاسلامية يتساءل كاتب الفصل الذي يحمل هذا العنوان ، الدكتور محمود حسين وهو من رجال التربية المعروفين ووزير سابق للتربية في باكستان يقول :

هناك سؤالان يتبادران الى الأذهان بادىء ذي بدء ·· الأول : هل هناك شيء اسمه الثقافة الاسلامية ؟ وثانيهما اذا كان الجواب عن السؤال الاول ايجابيا ما هي هذه الثقافة ؟

ان هناك من الكتاب من شك في وجود الثقافة الاسلامية !! وهؤلاء

الكتاب التزموا موقفا من موقفين · بعضهم أنكروا بل سخروا وبعضهم الآخر رأوا أن ما يعتبر ثقافة اسلامية ليست في الحقيقة سوى ثقافة يونانية أو رومانية أو مصرية أو ايرانية او هندوسية والمثل النموذجي للفريق الاول هو : « البانديت جواهر لال نهرو » الذي يقول في سيرة حياته : « لقد حاولت جاهدا أن أفهم ما هي هذه الثقافة الاسلامية ·· ولكني اعترف بأني لم افلح »·· الى آخر ما يقول ··

يقول كاتب الفصل : لم نكن طبعا لنلتفت الى هـذا القول لولا انـه صادر عن فيلسوف الهند ورجل دولتها ، عن الرجل الذي يصادف ايضا أنه من المؤرخين ·· لقد قال قولا عجبا في الحق وان من العسير علينا أن نتصور كيف لا يستطيع المرء ان يجد في تاريخ الاسلام الذي يمتد الى أربعة عشر قرنا أو نحو ذلك أيما صفة مميزة فى عالم المعتقدات أو العلوم أو الفنون أو طريقة الحياة ولعله لمثل هؤلاء يقول القـرآن الكريم ·· « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها »··

أما المدرسة الاخرى التي ينتمي اليها بعض المستشرقين فتنكر على الثقافة الاسلامية أن تكون قد جاءت بأي شيء جديد تقريبا سواء من حيث جوهرها وتركيبها الأساسي ·· ومن بين هؤلاء الدكتور ( صن ) الذي ربما كان الشخص الذي قام باكثر من أي فرد آخر سواه في عصرنا لتعليم الدراسات الاسلامية في الولايات المتحدة الامريكية انه وأمثاله قد أوردوا النظرية القائلة بأن العرب المسلمين عندما استولوا على الهلال الخصيب وارض فارس ومصر احتكوا بامم عرفت بثقـافتها القـديمة الشائخة ·· كذلك يؤكد هؤلاء ان العرب المسلمين لم يكن لهم تـراث ثقافي خاص يستطيعون ان ينسبـوه لأنفسهم لا في ميدان الفن ولا في مضمار العمارة أو الفلسفة او الطب أو العلم أو الأدب أو الحكم ، ولكن كانت لهم قدرة مـدهشة عـلى التعلم والاكتساب ·· وهكـذا هضموا وأخرجوا من جديد التراث العقلي لرعاياهم الجـدد ·· واذن فان مـا ندعوه بالحضارة الاسلامية هو في نظر هؤلاء الكتاب تلك الفنون والعلوم

« الآرامية والايرانيــة » التي طورها العــرب أولا ، وتبعهم في ذلك من بعد ، غيرهم من المسلمين في اجزاء مختلفة من العالم ٠٠

هؤلاء الكتاب قد اساءوا على ما يبدو فهم المعنى الصحيح للثقافة الاســلامية وفشلوا في أن يقــدروا روح الاســلام تقــديــرا صحيحــا سليما ٠٠ ذلك أنه ليس هناك ايما سبب يدعوهم الى ان يقللوا عامدين من أهميتهــا ٠٠ يبــدوا أنهم أخــطأوا في التمييــز بــين التــأثــير ٠٠ والمصدر ٠٠ فالصحيح الذي لاشك فيه أن الثقافة الاسلامية قد تأثرت في كثير من وجوهها ونواحيها بالثقافات الاخرى التي احتكت بها ولكن هناك شيئا أساسيا يجب الا يغفل أو يهمل ٠٠ اذ أن الثقافة هي نتاج دين عالمي كالاسلام لم يكن باستطاعتها أن تتجاهل الأفضل والأطيب في الثقافات الاخرى ، والحق أن الثقافة الاسلامية قد اعتزت بهذا ، ولكنها إذا كانت تتألف من فكرات ومثل عليا ، وقيم اجتماعية وأدبية أدت الى نقل مجتمع من حالة بدائية الى صعيد من الوجود ارفع وأسمى ٠٠ فان الذي لاشك فيه أن الثقافة الاسلامية تكون حيئذ ( ثقافة أصيلة )٠٠ أصيلة بمعنى أنها لا تدين بوجودها لا للتراث اليوناني والروماني ولا للتراث الثقافي الايراني ٠ ان دعائم الثقافة الاسلامية تقــوم على دين الاسلام المتجسم هو نفسه في القرآن الكريم ، وفي حياة الرسول ( ص ) وتعاليمه ٠٠

لقد كان الاسلام وما يــزال المصدر الرئيسي للالهــام بالنسبــة إلى المنجزات الثقافية المختلفة التي حققتها الشعوب الاسلامية ٠٠ فالدين الاسلامي هو الذي صاغ الثقافة الاسلاميــة أكثر من أي شيء آخــر ســواه ٠٠ وليس في تعاليم الاســلام تعليم أساسي اكثــر من مفهــوم ( التوحيد ) والذي لا ريب فيه أن عبادة الله ، والله وحده ، هي فرض عظيم ، فبالخضوع لله ٠٠ والاعتراف بوحدانيته تستطيع الانسانية أن تحرر نفسها من الخضوع لكل شيء آخر ٠٠ وبسبب من التوحيد فان الثقافة الاسلامية خلافا لمعظم الحضارات الاخرى لا تعترف بفــروق

العرق واللون والبلد ·· كما انها لا تقيم أيما اعتبار خاص لايما زي ·· أو أيما لون من ألوان الطعام ·· والمجتمع من الناحية الثقافية يمكن ان يفهم جيدا على ضوء معتقداتهم حدود الله ·· ولم يخالف روح الاسلام ! وان ما قدمه المسلمون فى ميادين العلم والفن ·· وفى بناء المدينة المادية يمكن ان يفهم على ضوء معتقداتهم الاساسية ·· وموقفهم من الحياة نفسها ·· والحقيقة القائلة بأنهم ظلوا قادة العلم فى هذه الميادين زمنا طويلا هى حقيقة تاريخية اخذ علماء الغرب يدركونها ويقرون بها شيئا فشيئا ··

وهذا فصل يكتبه دكتور محمد مارمادوك بيكتهول ·· وهو مستشرق بريطاني اعتنق الاسلام وادى خدمات جليلة لقضايا الاسلام حينما كان رئيسا لتحرير مجلة « الثقافة الاسلامية »·· بحيدر أباد ودكن ·· يقول : تختلف الثقافة الاسلامية عن غيرها من الثقافات في أنها لا يمكن أن تكون اطلاقا هدف الفرد المثقف وغايته ، لأن هدفها كما هو محدد بوضوح ليس تهذيب الفرد أو الجماعة ·· بل الجنس البشري بأكمله ·· الى أن يقول ومع ذلك فان الاسلام كدين يشجع الانسان على بذل جهده في سبيل تحسين ذاته وترقية الانسانية عامة بأكثر مما يشجعه على ذلك أي دين آخر ·· وهو منذ أن أصبح دولة في العالم أعطى من النتائج الثقافية ما يمكن مقارنته بالنتائج التي أعطتها سائر الاديان والحضارات والفلسفات مجتمعة ·· وأنا لا أعني بالثقافة الاسلامية ·· تلك الثقافة التي يبلغها في أي وقت قوم يقرون بالاسلام ، مهما كانت مصادر هذه الثقافة بل أعني بها ذلك الضرب من الثقافة التي يأمر بها الدين الذي جعل من التقدم الانساني غايته الواضحة العلنية ·

في أيام الاسلام المجيدة لم يكن هناك أي فرق بين التعليم الدنيوي والتعليم الديني ، بل ان التعليم كله كان يقع ضمن النطاق الديني ، يقول أحد الكتاب الاوربيين المحدثين : « من أمجاد الاسلام أنه ساوى

بـين تعليم القرآن والحـديث والفقـه ، وبـين تعليم سـائـر العلوم في المساجد ٠٠ كانت المحاضرات تلقى في المسجد ، في الكيمياء والفيزياء وعلم النبات والطب وعلم الفلك ٠٠ الى جانب المحاضرات الدينية ذلك ان المسجد او الجامع كان « جامعة الاسلام » في تلك العصور المجيدة ٠٠ وقد استحق اسم الجامعة لانه كان يتقبل في رحابه كل معارف العصر ، ومن اي قطر أو صقع ٠٠ وهذا التوحيد لجميع ضروب التعليم هو الذي أعطى قدماء الكتاب والمؤلفين المسلمين تلك الصفة الخاصة التي لابد أن قد لاحظها فيهم كل من قرأ لهم ٠٠ صفة الرزانة والرصانة الهادئة التي تتميز بها العقول الجامعة ٠٠ ثم يتابع الكاتب بحثه ٠٠ الى ان يقول ان الاسلام يقدم نظاما سياسيا واجتماعيا كاملا كبـديل عن الاشتـراكية والفاشية والنقابية والبلشفية وكل المذاهب الاخرى التي تقوم بديلا عن نظام يهدد بالسقوط ، ان نظام الاسلام يعد بالسلام والاستقرار حيث نجد اليوم نزاع الطبقات والامم عـلى غير طائـل ، ولاشك في أنـه من الحماقة أن يرفض أي فرد حتى دراسة فوائد مثل هذا النظام ومضاره لا لشيء الا لأنه نظام قائم على التفكير بالله ٠٠ ونظام يقول بأنه إنما جاء بـه رسول من عنـد الله ٠٠ وهذا لعمـري منتهى التمسـك بـالكفـر والالحاد ٠٠

وحول هذا المعنى يقول دكتور أ ٠ رؤوف وهو مرب معروف :

لقد أعطى الاسـلام حضارة ثـورية الى أبعـد الحدود ٠٠ وثقـافة ديناميكية الى أبعد الحدود ٠٠

الثقافة الاسلامية هي الاسم الذي يطلق على الحضارة الخلاقة التي حافظت على نموها وتطورها على مر الزمن تحت التأثير الملح ، والنفوذ الدائم لتعاليم الاسلام ٠٠

انها تنبع من تعاليم الاسلام ، وسلسلة الانبياء المسلمين من ادم ٠٠ الى محمد ( ص ) وهي تدل على ذلك الاتجاه الثوري للعقل الذي هو نتاج المبادىء الاسلامية الاساسية : الايمان بوحدانية الخالق ٠٠ وكرامة

الانسان ·· ووحدة الانسانية كلها والمساواة بينها · ومن الناحية السياسية فان هذه الثقافة هي ثقافة اسلامية بمعنى أنها ازدهرت في الاسلام كدين ودولة ·

ولقد لعبت الثقافة الاسلامية دورا كبيرا في تطوير الانسانية بأسرها ، ولقد أصبحت الثقافة الاسلامية والعلوم الاسلامية ذات أهمية تاريخية بارزة للانسانية كلها ·· فقد حفظت المعارف التي اكتسبتها الحضارات السابقة وسلمت الى الحضارات التالية ·· واضيفت اليها اسهامات جديدة اصيلة ولعبت الاكاديميات والمكتبات التي انشئت في كل مكان دورها البارز في هذا التطور هذا العنصر العالمي العام في الثقافة الاسلامية المبكرة لم يفقد ابدا في الازمنة المتأخرة ·· وهو ما يزال يشكل تراث الحضارة الاسلامية الحاضرة ·

لابد لنا من اعطاء وصف موجز لبعض المعالم المميزة للثقافة الاسلامية ، اذا اردنا ان نقدر تقديرا صحيحا روح هذه القوة الفذة ومضامينها ·· وفيما يلي بعض هذه المعالم المميزة البارزة ·

١ ـ وحدانية الله : ان مبدأ التوحيد الاسلامي ، ووحدة الانسان وكرامته ، والمساواة بينه وبين أخيه الانسان ، يشكل أساس هذه الثقافة ·

٢ ـ السلام المتين الدائم : تشدد الثقافة الاسلامية على وجوب نشر سلام متين ودائم في جميع أرجاء العالم ، كما تضع الاسس العلمية لهذا السلام على نحو ملموس ·

٣ ـ التفكير الخلاق المشع : تفترض الثقافة الاسلامية مسبقا التحرر من جميع انواع الحقد والتحامل ، وتعد بالتفكير الخلاق المشع ·· وتدعو الى نظرة محكمة مسؤولة وموزونة للحياة عامة وجميع مشاكلها المتنوعة ·

٤ ـ المراقبة المحكمة للطبيعة : توصي الثقافة الاسلامية بمراقبة الظواهر

الطبيعية ورصدها بطريقة محكمة ·· وباكتشاف القوانين التي تتحكم بها · وبتقدير هذه القوانين وفهمها ·

٥ ـ التحرر والديناميكية : الثقافة الاسلامية في روحها متحررة جدا ·· وديناميكية جدا ·· وهي تشمل جميع العناصر الخلاقة في جميع الثقافات السابقة وتوفر في الوقت نفسه مدى كاملا لتطويرات اخرى ·

ان المعالم المميزة للثقافة الاسلامية قد مكنت هذه الثقافة من أن تلعب دورا خلاقا وحاسما الى ابعد الحدود في تاريخ الحضارة الانسانية ·· وقد بلغت اسهامات المسلمين في العلم والأدب ذروتها في العصور الوسطى ··

الثقافة الاسلامية هي تجسيد لمعظم المثل العليا الملهمة ·· ونحن نرى من المفيد أن نذكر باختصار بعض هذه المثل العليا : السياسية والاجتماعية والعقلية التي ترفع الثقافة الاسلامية لواءها ·

أ ـ المثل الاعلى السياسي : يشتمل من الناحية السياسية على ايجاد مجتمع سليم منظم يهتدي بقوانين ومؤسسات محددة واضحة ·

ب ـ المثل الاعلى الاجتماعي : يركز الانتباه على تطوير نمط حياتي ونظام اجتماعي لا يعترف اطلاقا باي تمييز في الجنس واللون والوضع المالي أو غير ذلك ·· بل ان الاسلام بدلا من ذلك يعطي الاعتبار الاسمي للفضائل الاخلاقية ، والصفات الحسنة للخلق والشخصية ··

ج ـ المثل الاعلى العقلي : في عالم العقل يحظى حب العلم والتعليم باوفر نصيب من التشديد والتوكيد حتى ان مداد العالم ·· يعتبر اكثر قدسية من دم الشهيد ·· ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ·· والقرآن الكريم الممتلئة كل صفحة من صفحاته باطراء العلم والمعرفة ·· يذهب الى حد أنه يأمر النبي الكريم ( ص ) بأن يطلب دائما المزيد من العلم ··

د ـ المثل الاعلى الاخلاقي : يحتل الايمان بالاعمال الفاضلة محور الآداب الاسلامية · وهذه الآداب تعطي اسمى الاولوية للقيم الاخلاقية

العامة واعتبارات تطوير الخلق والسلوك ٠٠ يقول القرآن الكريم « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » ـ الآية ١٣من سورة الحجرات ـ

وفي تاريخ الحضارة شواهد غزيرة على الحقيقة القائلة بأن التقدير المتبصر والتطبيق المناسب في الوقت المناسب لهذه المثل العليا ٠٠ قد لعبا دورا حاسما في تطوير الثقافة الاسلامية والحضارة الانسانيتين ٠٠ والواقع انهما كانا وما يزالان مسؤولين عن تغيير مجرى التاريخ الانساني بأكمله ٠٠ وحتى يومنا هذا ما زالت هذه المثل العليا للثقافة الاسلامية تشكل مصدرا دائما للالهام المباشر بالنسبة الى ثلاثة ارباع سكان الارض ، وبالنسبة الى أقوام كثيرين على نحو مباشر ٠٠

تتميز الثقافة الاسلامية بشعور ديناميكي من الاعتدال ٠٠ يقول القرآن الكريم : « وكذلك جعلناكم امة وسطا »٠٠ الآية ١٤٣من سورة البقرة ٠٠

والاسلام يدعو الى روح الاعتدال في الحياة اليومية ٠٠ ويحذر بعنف من كل شكل من أشكال الصلابة والقسوة ٠٠ وجميع المذاهب المتطرفة ٠٠

الثقافة الموفقة : بينما تشدد معظم ثقافات العالم على ناحية من نواحي الحياة على حساب الاخرى فان الثقافة الاسلامية تتحاشى كل تطرف كهذا إنها تلائم بين النواحي المادية والنواحي الروحية للشخصية الانسانية وتوفق بين متطلبات الشخصية الانسانية وتوفق بين متطلبات الواقع ومتطلبات المثل العليا ٠

والثقافة الاسلامية تحاول تحقيق أفضل انسجام ممكن بين الفردية والجماعية ، فلقد نظم الاسلام العلاقة بين الفرد والمجتمع بحيث لا تصاب الشخصية أو الفرد بأي تصغير أو تحقير أو ذوبان شأنهما في الأنظمة الاجتماعية الفاشية أو الشيوعية ٠٠ كما أن الفرد لا يسمح له بتجاوز حدوده الى درجة يصبح معها ضارا بالمجتمع كما يحدث في الديموقراطيات الغربية ٠٠

ان الغرض من حياة الفرد في الاسلام هو الغرض نفسه من حياة المجتمع ·· أي تنفيذ القانون الالهي ، واكتساب رضا الخالق ·· من هذه الزاوية يمكن القول ان **الثقافة** الاسلامية هي الثقافة الوسطى بين الثقافات كلها ··

ان العديد من أعقد مشاكل العالم الغربي المعاصر ، ينبع من بعض المبادىء والأنظمة الحياتية المتطرفة ·· والثقافة الاسلامية بتقديمها أسلوبا عمليا معتدلا ، يوفق الى أبعد الحدود بين جميع هذه المبادىء والأنظمة ·· إنما تفرض نفسها كحل لمشاكل الانسانية وتعقيداتها ، جدير بالثقة والاعتماد ·· ومن زاوية اخرى يتناول الكاتب المعروف دكتور م ·ز · صديقي ، موضوع الثقافة الاسلامية وماذا تعني ·· فيقول :

إن التعبيرين « الثقافة » و( الحضارة ) كثيرا ما**يستعملـ**ـهما حتى العلماء على نحو مبهم ·· وكثيرا ما يستعملونهما أيضا كمرادفين لا يختلفان في المعنى ·· ولكني أعتقد أن لكل منهما معنى واضحا يختلف عن معنى الآخر ·· فالثقافة تعني ( التطور العقلي ) بينما تدل الحضارة على مرحلة متقدمة من مراحل التطور الاجتماعي ·· واذن فان الثقافة تدل على حالة عقلية بينما يتضمن معنى الحضارة شكلا ماديا واذن فان الثقافة الاسلامية حسبما استطعت أن افهمها تدل على اتجاه عقلي خاص ينشأ عن التعاليم الاسلامية الاساسية : الايمان بوحدانية الله وبكرامة الانسان وبوحدة الانسانية ··

الى أن يقول :

ولكن تعبير « الثقافة الاسلامية » يستعمل ايضا بمعنى المنجزات الجماعية في مختلف ميادين الأدب والعلم التي تمت برعاية المسلمين ·

ويمضي الكاتب في بيان المنجزات الثقافية في ميادين الأدب والعلم في ظل الاسلام وما شاركت فيه الامم المختلفة في هذا المجال ··

ويقول الدكتور م · صفير معصومي الاستاذ في المعهد المركزي

للابحاث العلمية الاسلامية في كراتشي : ان العالم اليوم يقلد الغرب في كل ناحية من نواحي الحياة وكل مظهر من مظاهرها ، ولكن الحالة لم تكن كذلك حتى منذ قرن مضى ·· فحتى القرن السابع عشر كان الاسلام ما يزال محتفظا بتأثيره ونفوذه على جزء كبير من العالم المتحضر ··

ان الغرب ليفخر اليوم - وبحق - برقيه وتقدمه اللذين لم تعرف الانسانية تقدما مثله في حياتها ، ولكنه ينسى أحيانا أنه مدين للاسلام ·· ولقد كانت هناك وما تزال محاولة مستمرة من جانب بعض المستشرقين القلائل للحط من قدر المسلمين الذين كانوا فيما مضى اسيادا للامم الغربية · والحقيقة المعترف بها هي أن « غرب اليوم » ما كان ليكون كما هو عليه اليوم بالتأكيد لو لم يكن هناك مسلمون وعرب ·· تؤيد ذلك وتدعمه سنة التطور ·· ليست الغاية ولا الهدف من هذا البحث احتقار الغرب ، كما انها ليست مدح المسلمين واطراءهم بل الغاية هي لفت انتباه المسلمين الى مقدار المهانة والجهل والتأخر الذي تردوا فيه خلال القرون القليلة الاخيرة ··

ومهما كانت أسباب انحطاط المسلمين فان المؤكد ان اطراحهم لاول وصية من وصايا الاسلام : « اقرأ » و« قل رب زدني علما » قد كان السبب الرئيسي الاول في سقوطهم في مهاوي الجهل والخراب ·

ثم يقول الكاتب : ان تأثيرات الثقافة الاسلامية في اوروبا وغيرها من اجزاء العالم أكثر من أن تعد في هذه المقالة القصيرة ··

لقد اعترف بعض العلماء الاوروبيين المحبين للحقيقة أن الاسلام في الواقع قد بدل « بربرية الشعوب المحلية في أوروبا » الى علم وثقافة ·· والى حضارة الغرب اليوم ، فالامم الغربية التي لم تهتم قط بالنظافة وحفظ الصحة ، والتي ظلت قذرة جسديا وجاهلة عقليا ·· والتي سكنت الاكواخ والخلايا المظلمة ·· وتبدلت تبدلا كليا عندما جاءها نور الاسلام من الزاوية الجنوبية الغربية من القارة ·· لقد تعلمت من

المسلمين الزراعة والانعاش الاجتماعي والمبادىء الاقتصادية وفنون الحرب واسلحتها ٠

ولقد كان للغة العربية تأثير عظيم في اللغات الاوروبية ٠٠ فالكلمات العربية المستعارة كثيرة في اللغات الاوروبية في حين أن الكلمات الغربية المستعارة في اللغة العربية ليست كثيرة جدا ٠٠

وبعد : فان في هذه المجموعة من البحوث بحوثا اخرى طريفة لا تقل اهمية ٠٠ منها بحث يحمل عنوان « ما قدمه الاسلام للحضارة » وبحوث بعنوان « الثقافة الاسلامية » منشأها ونموها وصفتها والثقافة الاسلامية والاسلام والثقافة وغيرها وغيرها ٠٠ مما لم نتعرض له نظرا لضيق المجال ٠٠





## مفاهيم إسلاميَّة

الشيخ محمّد حسن آل ياسين

أصل هذا الكتاب محاضرات وأبحاث للمؤلف سبق له أن نشرها متفرقة ·· ثم رأى أن ينشرها متكاملة تحت هذا العنوان الشامل « مفاهيم اسلامية » ·

وقد تناول فيها عددا من القضايا الرئيسية ·· مما اعتاد الكتاب الغربيون وغيرهم من الشرقيين المناوئين للفكر الاسلامي أن يخوضوا فيه ، ويرددوه ، قاصدين بذلك أن يشوهوا من صورة الاسلام ومن مفاهيمه بالقدر الذي يرون أنهم واصلون اليه ·· مع ما يستتبع ذلك من اتهام للاسلام بالتخلف عن روح العصر ·· وما الى ذلك ، بعيدين في كل ما يلوكونه ويعيدون القول فيه عن نزاهة العلم ·· وبطبيعة الحال ، هم ليسوا ملومين في كل هذا الذي نراهم دائما منساقين إليه ويكابرون فيه لأن دافعهم اليه : الهوى والغرض ، ثم الحقد القديم ··

من فصول الكتاب ما يحمل هذه العناوين : « الله أم المادة ؟ » و « الاسلام والرق » و « الاسلام والطبقات » و « الاسلام والسياسة » و « الاسلام دين ودولة » و « الاسلام بين الرجعية والتقدمية » وغيرها ··

وقد عرضنا لأهم هذه الفصول هنا بالقدر الذي يتسع له المجال ·

## الاسلام والطبقات

الحديث عن نظام الطبقات حديث ذو شجون !

لقد تفرع عنه من الفظائع والآلام ما لا يسهل شرحه وتعداده ··

وكان لمآسيه من الآثار النفسية والاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية ما لا يدخل في حساب !

وها هو العالم يتأرجح اليوم بين افراط وتفريط فيه ·

فالنظام الرأسمالي محافظ عليه كل المحافظة ، ومصمم على ابقائه ـ على ما هو عليه ـ كل التصميم ، وقد بلغ به ذروة الاعتزاز والاهتمام من دون التفات الى مخاطر تلك الذروة ومفاسدها التي لا يصح السكوت عنها ··

والنظام الشيوعي مصر ـ جدا ـ على محاولة الغاء الطبقات نهائيا من المجتمع ، وبهذا بلغ الذروة في محاربة هذا النظام ·· بلا تأمل في نتائج بلوغ تلك الذروة ·· وبلا تفكير في امكان تحقيق ذلك أو عدم امكانه ··

وللنظام الاسلامي رأى وسط بين الرأيين ·· لا افراط ·· ولا تفريط ·· « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ·

***

ويحدثنا تاريخ أوربا في العصور الوسطى حديثا مسهبا عن تجسيد هذه المشكلة وبروزها ـ بكل جلاء ووضوح في تلك المجتمعات حينا طويلا من الدهر ·· كما يقسم لنا التاريخ تلك الطبقات على النحو التالي :

١ ـ طبقة النبلاء ·

٢ ـ طبقة رجال الدين ·

٣ ـ طبقة الشعب البائس المحروم ·

واذا عدنا الى النظر فيما كان عليه الناس قبل الاسلام ·· لنقرأ ملامح مجتمعهم نجد أن نظام الطبقات هو الحاكم في ذلك المجتمع المتأخر الفاسد ·

فهناك رؤساء القبائل والسادة والاشراف وهناك التفاضل الكاذب

بين قبيلة وقبيلة ·· بل بين فخذ وفخذ ·· من القبيلة الواحدة !

وهكذا كان في المجتمع من الفروق الطبقية ما لا يدرك بحساب !

***

وجاء محمد صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله ، جاء يحمل رسالة السماء ، الطافحة بالخير والهدى الى تلك الأرض الكالحة المتجهمة العبوس ·· لتشرف بنور ربها وتخرج أهلها من الظلمات الى النور ·· وتهتز وتربو ، وتنبت من كل زوج بهيج ·

لقد جاء الاسلام في عهد متفسخ كذلك العهد ، وفي مجتمع فاقد لكل شيء إلا القتل والاذى والعدوان ·· فلا نظام يوجه ولا قانون يهدي ·· ولا زعيم يرشد ·· ولا ضمير يردع ·· ولا أي دستور يتبع سوى دستور السيف وحكمه الذي لا يرد ·

جاء الاسلام في مثل ذلك الظرف فلم يكن منه - وهو الدين القيم القويم - إلا أن ينادى بأعلى صوته في دستوره تارة ، وعلى لسان رسوله العظيم صلى الله عليه وسلم تارة اخرى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » ··

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون » ·

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا · وبذى القربى واليتامى ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل وما ملكت ايمانكم » ·

« سلمان منا أهل البيت » !

« لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » !

« كلكم من آدم ، وآدم من تراب » !

« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » !

بهذه الصرخة المدوية الهدارة ·· أيقظ الاسلام مجتمع الجاهلية من

سباته ·· ونقله من حال الى حال وهيأ له من القدرة ما حطم به كبريات الدول التي كانت قائمة حينذاك ··

وبهذه الصرخة الصادقة التي تطفح على هـذه الآيات الشـريفة ، والأحاديث المباركة قوض الاسلام نظام الطبقات ·· وأحاله الى هشيم تذروه الرياح ··

وأعلن شجبه لتفضيل قوم على قوم ·· أو تمييز فئة على فئة ، بلون أو عنصر أو أصل ، أو أي شيء من زينة الحياة الدنيا ·

فكل البشر يرجعون إلى ذكر وأنثى ·· وكلهم قد خلقوا من تراب ·· ولا فضل لعربي على غيره إلا بالعمل الصالح ·· وكان هذا هو السبب في لعن القرآن لأبي لهب ·· وفي دخول سلمان في عداد أهل البيت ·· وان اختلاف الألوان والألسنة لا يوجب اختلاف الرتب ·· وان نظرة المسلم لعبده أو جاره أو لغيرهما من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل ·· لا تختلف عن نظرته للوالدين وذوى القربى والأصدقاء ··

وفي هذا كله تحطيم شامل لنظام الطبقات ، في سائر فروقه اللونية ، والعنصرية ، والقبلية ، وما تستلزمه المنزلة الاجتماعية القائمة على المال والسلطة ، أو ما شاكلها من مبررات السمو الاجتماعي في العرف القديم والحديث ·

وهكذا الغى الاسلام أية ميزة ، أو أي تفاضل بين أفراد المجتمـع الاسلامي السعيد ·· إلا ميزة التقوى والعمل الصالح ··

والتقوى بمعناها الواسع الدقيق هي الميزة الأولى والأخيرة في نظام الاسلام !

***

والتقوى التي يفضل بها الاسلام بعض الناس على بعض ·· درجة عليا من الاخلاص ، وحب الخير والتفاني في سبيل المجموع ·· ووسيلة كبرى لرفع مستوى المجتمع من سائر جهاته وشتى نواحيه ··

وبهذا ـ وبه فقط ـ تكون خير أمة اخرجت للناس ·· كما أراد خالق

هذه الأمة · ويكون مجتمعنا أفضل مجتمع رأته البشرية ·· أو تمنت وجوده خلال التاريخ !

## الاسلام دين ودولة

ما هو الدين وما هي أهدافه ؟

وما هي الدولة وما هي واجباتها ؟

لقد أجهد الغربيون أنفسهم في التفكير بما ينبغي أن يكون جوابا على ذلك حتى انتهوا الى تحديد اختصاص للدين والدولة يلائم ما يرمون اليه من وراء هذا التساؤل :

فهدف « الدين » كما فرضوه ـ هو التوجيه الروحي للأفراد !

وواجبات « الدولة » كما صوروها هي تنظيم العلاقة بين الأفراد ·

ثم استخلصوا النتيجة المطلوبة ـ بعد ذلك ـ وهي عدم وجود علاقة ما بين التوجيه الروحي « الداخلي وبين تنظيم العلاقات الخارجية ··

واذن فلا علاقة بين الدين والدولة ··

وكان لهذا التفسير أسبابه ودوافعه :

فقد كانت تصرفات رجال الدين في أوربا متجاوزة كل حد مقبول ، حتى اصبحت خطرا متفاقما لا يصح السكوت عليه ·· وكان تحكمهم في البلاد والعباد خارجا على شريعة المسيح المبشرة بالحب والاخاء ·· حتى غدا ظلما صارخا ، واعتداء فظيعا ما أنزل الله به من سلطان ··

يضاف الى ذلك ان الدين المسيحي لم يعن بغير التهذيب الخلقي ·· ولم يأبه بغير الصفاء النفسي ·· ولم يتدخل في شؤون الحكم والدولة والتشريع من قريب أو بعيد ·· بل ترك للقوانين الرومانية ، ودولتها القائمة يومذاك ـ كل الحرية في تسيير شؤون الحكم ، وتنظيم المصالح العامة ، وادارة الامبراطورية الواسعة ، وكان ابتعاد شرع المسيح عن الدولة ونظامها ، واقتصاره على المسائل الخلقية التهذيبية فقط مشجعا لمفكرى الغرب على المجاهرة بما جاهروا به ·· والسعى في سبيل تحقيقه وتنجيزه بكل ضراوة واستبسال ·· وتساءلوا واستفهموا قائلين :

مـا علاقـة الدين الداعي الى صفاء النفس ، بـالدولة وقـوانينهـا وواجباتها ؟

وما هي الرابطة بين الدين كتوجيه روحي ، والدولة كتنظيم لعلاقات بعض الناس ببعض ؟

وكان الجواب أن لا علاقة بين الدين والدولة !!

وسرت تلك الفكرة سـريان النـار في الهشيم حتى أصبحت مبدأ أساسيا مؤيدة اكثرية تلك الشعوب ··

وجاء أعداء الاسلام ومحبو الشهرة من اتباعهم فحملوا لواء الدعوة لهذا المبدأ في مجتمعنا الاسلامي ، وجندوا كل ما يستطيعون تجنيده لغرض التأثير على السذج والبسطاء من الناس ، ليضمنوا بذلك شيئا من الشعبية ·· وشيئا من الأنصار المهرجين لهذه الفكرة المستوردة ·

وكان من نتائج تطبيلهم وتزميرهم أن استجـاب لهم بعض الأفراد والمشعـوذين ممن لم يفهموا حقيقـة الاسلام ، ولم يـؤمنـوا بـه حق الايمان ، فسودوا بعض الأوراق ونشروها بين المسلمين باسم « حرية الفكر » و « تطهير الاسلام من القشور » بأمل خدع الجماهير غير المثقفة اسلاميا ، وجلبها الى حظيرتهم ، ليتسنى لهم ولاسيادهم من ورائهم تحقيق ما يهدفون اليه من وراء هذه الدعوة ، وكأنهم نسوا أو تناسوا ان الاسلام غير المسيحية وان ما قاله المفكرون الاوربيون ودعوا اليـه لا ينطبق على الاسلام ونظامه العظيم ·

·· ونعود الآن الى الاسلام ·· لنحاول فهم حقيقته ·· ولنحـدد رأينا فيه بكل حرية وتجرد واخلاص ، ونضع الجواب المقنع الشافي عن السؤال الذي يكثر ترديده اليوم في البلاد الاسلامية جمعاء عن مقدار علاقة الاسلام بمفهومي الدين والدولة ومقدار ارتباطه بهما ··

ولو رجعنا إلى واقع الرسالة المحمدية لرأينا الاسلام « دينا » بلاشك لأنه قائم على الطاعة والجـزاء ·· والمكافـأة ·· وبديهي ان الطاعـة والجزاء والمكافأة هي الركن البارز من اركان الدعوة الاسلامية الغراء ·

وما معنى البعث والمعاد لولا الجزاء المتوقع والمكافأة المنتظمة في ذلك اليوم الموعود ؟

واذن فالاسلام بمعناه الكامل ، كما قلنا قائم على الطاعة والجزاء والمكافأة وهو نفس معنى الدين وهو في الوقت نفسه دولة ·· بمعناها الكامل ايضا لأنه الطريق لتنظيم الحياة الاجتماعية وذلك هو معنى الدولة في الاصطلاح الحديث ·

وتتضمن هذه الطريقة كل الأسس والمقومات للدولة من ناحية تحديد شكل الحكم وتنظيم شؤون السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية على نحو دقيق ومستوعب وشامل ·

من الناحية التشريعية جاء الاسلام بدستور ثابت لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه · ذلك هو القرآن المجيد ·· ثم كانت السنة الشريفة جزءا من مصادر التشريع بما فسرت وشرحت وفصلت من مجملات الدستور ، ثم فتح الاسلام باب الاجتهاد على مصراعيه بشروط مقدرة ليفي التشريع بحاجات المجتمع ، وليكون باستطاعته تحديد الحكم الشرعي لكل ما يستجد من الشؤون والمسائل ··

وكل المطلعين على الشريعة الاسلامية يعلمون انها قد تضمنت حكما لكل واقعة من الوقائع ، وكل حادثة من الحوادث في مختلف أبواب التشريع وفصوله ، بالشكل الذي لم يدع مجالا لادعاء أي نقص فيه · أو أي عجز عن مواكبة حاجات الناس وتنظيم مجتمعهم ··

***

ومن ناحية السلطة التنفيذية يعلم جميع الناس أن الاسلام لما كان قد أقر مفهوم الدولة ·· فلابد له من سلطة تشرف على العمل والتنفيذ ·· وتهتم هذه السلطة بكل شؤون الناس ·· وتشرف على تطبيق التشريع في كل جوانبه واطرافه ··

ومن الناحية القضائية أولى الاسلام القضاء أهمية كبرى ، وجعل للقاضي من الشروط ، وللقضاء من الأهمية والهيبة ما يكفل بذلك استقلاله وابتعاده عن تدخل من يريد التدخل ، وفي الفقه الاسلامي باب كبير باسم « كتاب القضاء » يدور حول شؤون القاضي والدعوى ، والمدعى ، والمدعى عليه ··

**هذا هو الاسلام في واقعه**

دين يوجه ·· وتشريع ينظم ·· وحكومة تنفذ ·· وقضاء يعطى لكل ذي حقه حقه وفوق ذلك دستور لا يمكن فيه التلاعب ، ولا تمس قدسيته المصالح والأغراض ، فهل يصح ابعاده عن مجال الحكم ، وحجزه داخل اسوار الجوامع وبيوت العبادة ؟

ان الاسلام دين ودولة بلاشك ·· وان أي محاولة لفصل الدين عن الدولة تحت شعار « ما لله لله وما لقيصر لقيصر » خروج على الاسلام ·· واقصاء له عن أهم ميادينه ، ومحاربة له في أهم مجالاته ··

**الاسلام بين الرجعية والتقدمية**

هذا الصراع العنيف الدائر بين الاسلام وخصومه اليوم صراع قديم ·· لا يختص بحاضرنا الذي نعيش فيه ، وانما يرجع في تاريخه الى مدى بعيد من القرون الماضية أو على وجه التحديد الى اليوم الذي نزلت فيه رسالة السماء على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وتهديهم صراطا مستقيما ··

ولم يكن غريبا أن يستفز نداء السماء المجلجل سائر قوى الجور والضلال والطغيان ، وان يملأها غضبا وغيظا وحقدا ، فيدفعها الى الانطلاق والزحف في محاولات مستميتة لاطفاء شعلة الاسلام الوهاجة واسكات صوته الهدار وسد الطريق أمام تياره المتدفق بالخير والحياة ··

وباءت تلك الجهود الخبيثة بالفشل الذريع القاتل ، ورد الله الذين

كفروا على أعقابهم ، لم ينالوا شيئا ، وفتح لرسوله فتحا مبينا ، ونصره نصرا عزيزا وكان حقا عليه نصر المؤمنين ٠

وهكذا ابتدأت الحرب بين الاسلام واعدائه ومازالت حتى اليوم دائمة اللهب مشتعلة الاوار ٠٠

وعلى الرغم من سائر تلك الوقائع التي حدث بها التاريخ ٠٠ فقد كان لقرننا الأخير « حصة الأسد » من هذه الحرب الضروس وكان ما شهدناه من ألوان هذا الصراع ٠٠ متجاوزا ـ إلى حد بعيد ـ كل ما شهده المسلمون السابقون في سائر الأدوار والقرون ٠٠

لأن الدول والكتل الطامعة بنا اليوم تختلف عن ذوي الأطماع السالفين اختلافا كبيرا في المنهج والاسلوب ٠٠ وان اتحد الهدف ٠٠

لقد فكر وقدر الاستعمار طويلا ، وهو يتطلع الى السيطرة على العالم الاسلامي الكبير ، وتأمل مليا فيما يجب عليه فعله للوصول الى الهدف ٠٠ فخرج من ذلك مؤمنا بأن العقبة الوحيدة في طريقه الى هذه المنطقة المسيلة للعابه ، هو الاسلام ٠٠ والاسلام وحده٠٠ لأن في طياته من أسباب الحياة والقوة والمنعة ما يستعصى على كل طامع ٠٠ كما أشار الى ذلك « غلادستون » الوزير البريطاني المعروف في كلمته الشهيرة :

« مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا ان تكون هي نفسها في أمان ٠٠

واذن لابد لهم من القيام بعملية تخريبية واسعة النطاق في صفوف المسلمين ، لينفذوا منها إلى ما يريدون ٠٠

وحشد هؤلاء الطامعون لتحقيق أملهم الكبير ـ في هدم الاسلام واقامة قواعد نفوذهم ـ كل ما لديهم من امكانيات عظيمة ، وطاقات هائلة ، لم يكن لدى المسلمين عشر معشارها ٠٠ وسخروا للتبشير بفكرتهم كل وسائل الدعاية والاغراء والتدجيل التي تضمن لهم خداع السذج والبسطاء من قليلي المعرفة ، وضعاف العقيدة ٠٠ ومهدوا لكل ذلك بعبارات خلابة ، والفاظ خداعة ، كان ظاهرها مليحا براقا ٠٠ يأخذ

بألباب الاميين ، وأنصاف الأميين ، وكان باطنها محشو بآلات الهدم وأدوات التخريب ، ومعاول تحطيم المقاومة الدينية التي ذاق الكافرون والمستعمرون منها الأمرين ، ولاقوا من بأسها وقوتها وثباتها ما أطاش صوابهم وسفه احلامهم ورد سهامهم الى نحورهم مصحوبة بالخسران المبين ٠

***

وكان اختيارهم لهذا الاسلوب الجديد مستندا الى تجربتين مهمتين :

الأولى : الفشل الذريع الذي منيت به حملاتهم العسكرية ، وخيبة الأمل في تطويع المنطقة ، والسلطة عليها بقوة الجيش والسلاح ٠

الثانية : اعتقادهم بعد الاختبار والمشاهدة ـ بأن الاسلام كعقيدة ومبدأ وكنظام سليم للدين والدولة ٠٠ وكقانون يحدد علاقة الفرد بربه ، وعلاقته بمجتمعه وسائر أفراد بني جنسه ٠٠ ان دينا كهذا لا يمكن أن يكافح بالحديد والنار ، ولا يمكن أن يخيف البطش والارهاب معتنقيه المؤمنين ، فيسوقهم الى البراءة منه ، والتخلي عنه ٠٠ بل لا يكون أثر ذلك الا اتقادا وضراوة ولهيبا في نفوس اتباعه الصادقين المخلصين ٠٠

**وهكذا اهتدوا الى طريق الهدم والتخريب من الداخل**

ولقد ايقنوا بأن الأمل الوحيد في تحقيق هدفهم الخبيث متوقف على سلوك طريق جديد ، هو طريق الهدم والتخريب الداخلي ، باسم الفكر والثقافة والتربية والتعليم ، ومحاولة غرس تلك المفاهيم والمبادىء ـ بواسطة الاذناب والمأجورين ـ في اذهان بعض المسلمين الاغرار الذين لا نستطيع وصفهم بغير كونهم « عديمي المناعة الدينية » ٠٠ أو « ذوي المناعة الضعيفة » ٠٠

***

وسرعان ما وضعوا خطتهم المهيئة موضع التطبيق ، وكان مظهرها في أول الأمر مقتصرا على تأسيس المدارس ، ومحاربة الأمية ، ومكافحة الجهل ، وتنظيم مناهج حديثة ، تتكفل بغرس بذور العلم والمعرفة في

نفوس النشىء الطالع ، لكي يتدرجوا في مدارج الثقافة صعدا حتى يصبحوا في نهاية المطاف حملة لمشعل التقدم والتطور٠٠

وهكذا كان غطاء الخطة ومقدماتها ٠٠ وهكذا كانت مفعمة بالاغراء ٠

وكان صدى ذلك كله متجاوبا مع اغراض الطامعين ٠٠

- فأصبح كل من يحارب هذه المدارس عدوا للعلم ٠٠
- وكل من لا يرضى بهذا الاسلوب نصيرا للجهل ٠٠
- وكان من يشك في سلامة هذا الطريق مخرفا من بقاء القرون الوسطى ٠

***

وقامت حركة انشاء المدارس في سائر ارجاء الوطن الاسلامي الكبير ، على قدم وساق ، وبدأت المطابع تدور لطبع الكتب الدراسية المطلوبة التي تم تأليفها طبقا للخطة المقررة بعد أن شحن كثير من صفحاتها بكل ما يزعزع العقيدة ويفسد الاخلاق ٠٠ ويثير الحزازات والاحن ولا ينفع في مجالات الحياة العامة في قليل أو كثير ٠٠

وركض الشباب لمدارسه بشوق ورغبة واندفع الأطفال لصفوفهم بلهفة وهوى ٠٠ ودفع الآباء أبناءهم الى تلك المعاهد تحت مفعول تخدير الألفاظ المعسولة والعبارات المغرية ، من دون تفكير في النتائج ، وتأمل فيما وراء الاكمة ، وخلف الستار ٠

## تصريحات

ويجب الا يفوتنا ـ كمثال نستشهد به ـ أن نقرأ بامعان تصريحات المستر « نبروز » احد رؤساء الجامعة الأمريكية في بيروت ، حيث جاء فيها بالحرف الواحد :

« لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون ان يلجأوا اليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان » !

ويؤكد هذا المعنى المبشر « تكلى » اذ يقول :

« يجب أن نشجع على الأخص التعليم الغربي ·· ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمرا صعبا جدا ··

وكان من جملة أساليب الهدم واشاعة البلبلة العقائدية الدينية مجموعة من « الفاظ » مضللة جوفاء ·· اشاعها لفيف من أدباء الثقافة في أوساط الطلاب والشباب ·· بعد أن طلوها بما اسموه « الحرية الفكرية » و « الانطلاق الذهني » ·· و « التحرر من الجمود » ·· ثم استغلوا تلك الألفاظ لصالح أهدافهم الخاصة ، فراحوا يطلقونها بحسب أهوائهم ، ويوزعونها على الشكل الذي توحى به مصالحهم الضيقة ويدور معه حبهم وبغضهم ··

وكانت « الرجعية » و « التقدمية » في طليعة تلك الألفاظ ·

فالرجعية تطلق وتوزع على الناس هنا وهناك ·· ويراد بها في اكثر الأحيان كل ايمان برأى سابق أو عرف سائد ·· أو عادات موروثة ·

ويكون ـ بناء على ذلك ـ رجعيا كل من آمن :

ـ بالله واليوم الآخر ··

ـ بالقيم الاخلاقية ، والفضائل التي دعت اليها الشرائع السماوية ··

ـ بحرمة الربا والخمر والميسر ·· وحرية اتصال المرأة بالرجل وما الى ذلك ··

أما التقدمية ·· فيقصد منها عند اطلاقها في أكثر الأحيان أيضا :

ـ التحلل المطلق من كل ما سلف ذكره ·· ويكون الالحاد والسخرية بالدين ونواميسه والتجرد من كل القيود الاخلاقية « تقدمية » بمعناها الصحيح في عرف هؤلاء الهدامين ·

هذا هو المفهوم من هاتين الكلمتين في عصرنا الحاضر ·

وهذه هي موارد استعمالها فيما قرأنا وسمعنا من الأحاديث المتداولة حتى اصبح وجود الله عز وجل من مدعيات الرجعيين وأصبحت كل دعوة

الى الفضيلة ومكارم الاخلاق رجعيـة ٠٠ في نظر التقـدميين ٠٠ كمـا أصبح الاسلام بدعوتـه إلى الله ، وإلى الفضائـل ومحاربـة المفاسـد الاجتماعية رجعيا أيضا ٠





# الجهاد

الدكتور أحمد الحوفي

منذ أول يوم ظهر فيه الاسلام كان عليه أن يواجه التحدي ·· ويتلقى العدوان :

ولقد كان « رسولنا الاعظم محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أول من واجه هذا التحدي ؟ وتلقى هذا العدوان ! واجه كل ذلك بمنتهى الشجاعة والبطولة ·· وببراعة قيادة ليس لها مثيل :

وبسبب هذا التحدي وهذا التصدي ··· كان لابد ان يصبح الجهاد فريضة في الاسلام !

وكان لزاما ـ تبعا لذلك ـ ان يكون المسلمون أهلا للقيام دائما بما يفرضه الجهاد عليهم من واجبات والتزامات ··· ومن صبر وثبات ·· وتحمل للتضحيات ·· واعداد للقوة بكل ما يستطيعون ·

والواقع ان المسلمين في هذا العصر ؟ هم أشد الامم حاجة الى مواصلة الجهاد ·· لانهم كانوا وما يزالون أكثر الامم تعرضا للضغينة والكيد ·· وتعرضا للتآمر والهجوم ·· على اعتبارهم العدو المشترك لكل شريعة باطلة ·· ومذهب منحل ·· وعلى اعتبار ان الاسلام يقف حجر عثرة ضد الظلم والبغي والطغيان !

ولا ننسى ·· اليهودية بطبيعة الحال ·· والتي هي أشد الاعداء عداوة ـ في القديم والحديث ـ للاسلام والمسلمين ! فالمسلمون ـ اذن ـ

هم اليوم في حاجة ماسة وملحة الى البذل من أجل الجهاد ٠٠٠

وعندما نقول الجهاد ٠٠ وعندما يدعو الناس الى الجهاد فانما يعنون به الجهاد الفعلي والذي يحقق الهدف ٠٠ وتكون ثمرته تحرير فلسطين والقدس ٠٠ واخراج المحتلين من كل بلد محتل ٠

❋ ❋ ❋

ان الكتاب الذي نقدمه اليوم ـ وهو للاستاذ الدكتور احمد محمد الحوفي عضو مجمع اللغة العربية بمصر والباحث المعروف ـ فيه حديث مستفيض يدور حول الجهاد ومعناه وحكمه ٠٠ ووسائله واهدافه ٠٠ وفيه حديث عن الحض على التسلح ٠٠ وعن جزاء المجاهدين ٠٠ وعن الرفق والسماحة في الحرب الاسلامية ٠٠ الى غير ذلك من موضوعات تتصل بالجهاد والمجاهدين ٠٠

والمؤلف الفاضل نفسه يعرف لنا كتابه بقوله :

هذه الدراسة موضوعها الجهاد : وحكمه والحض عليه ٠٠ ووسائله وأهدافه وجزاؤه ، وعقوبة المنافقين ، وتقريع الجبناء ٠٠ وعدد النصر من شجاعة وتسلح ، واستعانة بالله ٠٠ وتوضيح كثير من القضايا المتصلة بالجهاد والمجاهدين ، وفي ختامها لمحات الى صور من الجهاد في أحقاب شتى من القديم والحديث ٠٠٠

« فلعلها تذكر المسلمين بأن اسلافهم الابطال لم يكونوا يعتمدون على سيوفهم وقسيهم ورماحهم وخيولهم بقدر اعتمادهم على ايمان قلوبهم ٠٠ وشجاعة قلوبهم ، وشوقهم الى الاستشهاد في سبيل الله ٠

« ولعلها تهديهم الى ان عدد الحرب كلها مغلولة القوى ٠٠ مغلولة الأثر ٠٠ اذ لم يوازرها ايمان وطيد بالله ، واخلاص عظيم للوطن ٠٠ وايثار للاستشهاد على الحياة ٠٠

❋ ❋ ❋

وماذا ينتظر المسلمون بعد ان اعتدى الصهاينة على ديارهم ٠٠ وطمعوا في مقدساتهم ٠٠ وشردوا الاهلين من وطنهم ٠٠ وقتلوا الرجال

والنساء والاطفال ·· واغتصبوا الاموال ··· وانتهكوا الحرمات ؟؟

* ماذا يرتقب المسلمون بعد ان اقترف الصهاينة جريمتهم الدنيئة ، فحرقوا المسجد الاقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ·· ومسرى خاتم الانبياء ·

* أيتوقعون ان يرتحل الصهاينة ، وهم يقيمون اقامة من لا يريد الرواح ؟

* ام ينتظرون ان يقنع الصهاينة ومطامعهم تتوافد كما يتوافد الذباب في المستنقع والبراح ؟

لا ·· لا ··

فما السبيل ؟؟

وهل من سبيل امام المسلمين غير الجهاد ؟

وهل من أمل في غير الحرص على الاستشهاد ؟

ان الذين يريدون تنحية محاربتنا للصهاينة عن معنى الجهاد واهمون ··

·· لان الصهاينة ـ وهم المعتدون ـ يندفعون الى العدوان بنداء عن دين مزعوم ·· مكذوب على الله ·· فأولى بنا نحن المدافعين ان نسارع الى الدفاع بهتاف من الدين الصحيح الذي ارتضاه الله ·

* * *

ليس أجدى علينا في هذه المحنة التي نصطلي بلظاها من ان نفيء الى ديننا نعتصم بقواه ·· وننهض بما يوجبه علينا من علم وعمل وانتصار بالله ، ونصر لله ··

فلنرجع الى الاسلام لنتعرف حقيقة الجهاد ومعناه ·· ولندرك حكمه العام ·· وحكمه في هذا الوقت العصيب الذي نحيا فيه ·

* * *

لطالما شهد التاريخ حروبا شنتها أمة على أمة مبعثها الاذلال بالقوة ··

والغرور بالسطوة ·· وغايتها السيطرة والاستعلاء ·· والاستئثار بالسلطان ·· واحتكار خيرات الناس ··

فهل هذه الحروب جهاد ؟؟

وكثيرا ما شهد التاريخ حروبا اشعلها مشركون بالله على قوم مؤمنين بالله ·· ليصرفوهم عن العقيدة الصحيحة ·· الى الوثنية والشرك والضلال ·· فهل هذه الحروب جهاد ؟؟

كلا ·· ان هذه وتلك حروب باغية يبرأ منها الجهاد ؟

أما الحروب التي تقاوم الحروب الباغية وتصد ، لتحمي العقيدة الصحيحة والدين القويم ·· والوطن ·· والعرض ·· والمال ·· والحياة ·· فهي الجهاد واذن فالجهاد والحرب كلمتان تلتقيان وتفترقان ، فالحرب أعم من الجهاد ، لأنها قد تكون جهادا ·· وقد تكون بغيا وعدوانا ··

❊ ❊ ❊

···· ومعنى هذا أن الجهاد حرب في سبيل الله ، فهي اذن حرب محتومة مشروعة للذود عن الدين ·· أو للدفاع عن الوطن ··· وما يتصل بالدين والوطن ·· من أموال وأرواح ، وأعراض واخلاق ولهذا كان الجهاد حربا شريفة البواعث ·· نبيلة الاغراض ·· سامية الاهداف ··

- فالغزوات النبوية جهاد !
- ومحاربة ابي بكر للمرتدين جهاد !
- ومقاتلة عمر للروم والفرس جهاد !
- ومناضلة المسلمين للتتار جهاد !
- ومكافحة مصر للحملات الصليبية جهاد !
- وثورات مصر على الاحتلال الفرنسي والبريطاني جهاد !
- ومناضلة ليبيا لايطاليا جهاد ! والجزائر لفرنسا جهاد !

● وهكذا كل حرب يشنها المسلمون للدفاع عن دينهم ووطنهم جهاد !

● والحرب التي ينهض بها العرب اليوم لتخليص وطنهم من اوضار العدوان الاسرائيلي جهاد ‥ واي جهاد !

وللجهاد أحكام تختلف باختلاف الدواعي والملابسات ‥

* فهو تارة مفروض على المسلمين جميعا لا يسقط عن بعضهم اذا نهض الآخرون ‥

* وهو حينا مفروض عليهم فرض كفاية ‥ يقوم به بعضهم فيسقط عن الباقين ‥

**فما حكم الجهاد اليوم ؟**

* ما حكمه واسرائيل تبغي فسادا في فلسطين ، وتعبث شرا في بيت القدس اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وتنزل بالمسلمين هناك ابشع ما سمع به التاريخ من وحشية وتنكيل ، وانتهاك للحرمات وتطرد الاهلين الاصلاء الابرياء من ديارهم ، وتنتهب ثرواتهم ، وتحشد في السجون والمعتقلات عشرات الالوف من الابرياء ، وتقتل الرجال والصبيان والشيوخ والنساء ؟

* ماحكمه واسرائيل تطغى على قطع عزيزة من الوطن العربي الاسلامى في مصر وسوريا والاردن ؟!

* ماحكمه واسرائيل تتطلع في جشع مسعور الى ان تستولى على شمالي الحجاز الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

* ما حكمه واسرائيل تراوح المسلمين والعرب وتفاديهم بعدوان مسلح توازره دول معادية للعرب والاسلام ، وبينهم وبين العرب والمسلمين احن وثأرات ؟

* ماحكمه وقد احرقت اسرائيل المسجد الاقصى ‥ فكشفت عن خبث طويتها ، ودنس نيتها ، وشرها الذي تبيته للاسلام والمسلمين ‥؟

أهو فرض عين على أهل فلسطين ؟ نعم ‥ انه فرض عين عليهم جميعا ! ولكنهم عجزوا عن صد اسرائيل ‥

فصار فرض عين على جيرانهم في الاردن وسورية ولبنان والعراق ومصر ·· فاذا كان هؤلاء قد ضعفت قوتهم ان تهزم القوى الدولية التي تمد اسرائيل وتساندها فقد صار الجهاد فرض عين على المسلمين جميعا ·· من الباكستان شرقا ·· الى المغرب غربا ·· ومن البحر الابيض المتوسط شمالا الى السودان جنوبا ··

**الجهاد اليوم فرض عين ·**

* ···· الجهاد اليوم فرض عين !
* فرض عين على الدول الإسلامية !
* وفرض عين على الجيوش الاسلامية
* وفرض عين على كل فرد يستطيع ان يساهم فيه بجهد يساعد على النصر ويمحو وصمة الهزيمة ·· ويرد الحقوق الى ذويها ، ويعلي كلمة الله ، سواء أكان الذي ينهض به نائيا عن فلسطين ، ام دانيا من نواحيها ·

❊ ❊ ❊

**الحض على الجهاد ··**

في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالجهاد أمرا ، وتحض عليه حضا · فقد أمر الله تعالى بالجهاد كل قادر عليه ، فمن استطاعه بنفسه فليجاهد بنفسه ··· ومن لم يستطعه الا بماله فليبذل ماله ·· ومن استطاعه بهما معا فعليه ان يسترخص حياته وماله ·· ثم بين سبحانه وتعالى ان هذا هو الخير الذي يعلمه ، ان كان المسلمون لا يعلمونه قال تعالى : « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ـ سورة التوبة ·

فمن الخفاف ؟ ومن الثقال ؟

* أهم المسارعون الى الخروج حماسة ·· والمتثاقلون عن مشقة ؟
* أهم الاغنياء والفقراء
* اهم الشبان والشيوخ ؟
* اهم الذين ليس لهم عيال ، والذين لهم عيال ؟
* أهم الرجال والفرسان ؟
* أهم السابقون الى الحرب كالطلائع واللاحقون بهم من الجيش كله ؟

كل هذا صحيح ، والمعنى انهم امروا جميعا ، اي انفروا سواء خفت عليكم الحركة ام ثقلت ··

* * *

··· ولقد ضرب المسلمون الاولون اروع المثل في تلبية هذا الامر الكريم ··

وحسبنا ان نذكر ابا ذر الغفاري ابطأ به بعيره في غزوة تبوك ، فحمل متاعه على ظهره ، واقتفى اثر رسول الله ماشيا ·· فقال الرسول لما رأى سواده من بعيد : كن أبا ذر ! فقال الناس : هو يارسول الله ابو ذر ·· فقال الرسول : « رحم الله أبا ذر ·· يمشي وحده ·· ويموت وحده ·· ويبعث وحده » ··

وكان بعض السلف الصالح يجدون في الجهاد سعادة نفوسهم ·· وزلفى الى ربهم ·· مع انهم معفون من اعباء الجهاد ، فقد قرأ ابو طلحة سورة براءة فلما اتى على هذه الاية قال : « اي بني جهزوني ، جهزوني ·· فقالوا له : يرحمك الله ، قد غزوت مع رسول الله حتى مات ·· ومع ابي بكر حتى مات ·· ومع عمر حتى مات ·· فنحن نغزوا عنك ! » ·

قال : لا ، جهزوني ·· فغزا في البحر حتى مات » ··

وخرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه ·· فقيل له : انك عليل ·· فقال : « استنفر الله الخفيف والثقيل ·· فان لم

يمكنني الحرب ·· كثرت السواد ·· وحفظت المتاع ! »

فانظر الى ابي طلحة ـ وقد غزا مع رسول الله وخليفتيه الاولين ـ يصر على ان يصل جهاده ما دام حيا ·· ثم يموت مجاهدا ··

وانظر الى سعيد بن المسيب وهو يخرج الى الجهاد ومعتزما انه ان عجز عن القتال ·· فلن يعجز عن ارهاب العدو بكثرة العدد ·· ولن يعجز عن مساعدة المقاتلين على حفظ أمتعتهم !

**وسائل الجهاد ··**

الجهاد في سبيل الله لاعزاز دينه ، والدفاع عن الحقوق التي امر بصيانتها ، ولحماية الوطن والعرض والمال ولنجدة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ·· هذا الجهاد ضروب وانواع يؤازر بعضها بعضا ·· ليتحقق النصر المنشود ·

**١ ـ المحاربة بالنفس :**

أول ما يتبادر الى الذهن من ضروب الجهاد هو المحاربة في ميدان الحرب اذ يلتقي الجمعان ، فيقدم المسلم اقدام البطل الذي لا يعبأ بالحياة ·· لانه يشتري اخرته بدنياه ·· مطمئنا الى رعاية الخالق ، والي نصر الله ·

**٢ ـ الحراسة والمرابطة :**

ومن انواعه : حراسة الجنود ، والمرابطة في الثغور والحدود ، واستطلاع خطط الاعداء ·· قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ـ آل عمران ··

··· وقد ورد الحض على الحراسة والمرابطة والتنويه بالثواب العظيم الذي يناله الحارس والمرابط في كثير من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، مثل قوله :

* « رباط يوم في سبيل الله أفضل من ألف يوم فيما سواه فليرابط امرؤ كيف يشاء ·· هل بلغت ؟ قالوا : نعم ؛ قال اللهم اشهد » ( المسند ) ·

※ « رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطا في سبيل الله كان له أجر مجاهد الى يوم القيامة »( كنز العمال ) ··

**٣ ـ المال :**

تقتضي الحرب أموالا ، لاعداد الاسلحة والرواحل والزاد ، ووسائل النصر ، وهذه الأموال تختلف باختلاف الحروب والعصور والحاجات ··

فقد كانت الحروب القديمة تحتاج الى خيل وابل وسيوف ورماح وقسى ودروع ثم جعلت الأسلحة تتطور حتى صارت في الحرب الحديثة تعتمد على الدبابات والسيارات والطيارات والمدافع ، والصواريخ والغواصات وما شاكلها ·· وهذه الاسلحة على اختلافها محتاجة الى مال !

···· ولاشك ان احوال الناس متفاوتة ·· فمنهم من يقدر على الجهاد بالمال والنفس ·· ومنهم من يقدر على الجهاد بالنفس وحدها لصحة بدنه ويعجز عن الخروج لفقره ، ومنهم من يعجز عن الخروج بنفسه ويقدر على الجهاد بماله ··

فيصبح لهذا الاخير ان يجهز بماله من يخرج بنفسه ، فيكون الخارج مجاهدا بالنفس ، والقاعد مجاهدا بالمال ، والمؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا ·

**والحرب محتاجة الى المقال**

كانت الحرب وما زالت محتاجة الى المقال سواء أكان خطابة ام كتابة ام شعرا ·· لاشعال حماسة المحاربين وتثبيت اقدامهم ، واعزاز حقهم ، وتبشيرهم بالنصر ، وتقدير جهودهم وجهادهم ، وتبصيرهم بما يثمره فوزهم من حفاظ على دينهم ، وحماية لوطنهم واموالهم وأعراضهم · ولا ينفك هذا ونظائره بالحملات على الاعداء بالكشف عن باطلهم ·· وتبيان طغيانهم وعداوتهم واضعاف قوتهم ·· واجتذاب الآخرين الى التخلي عن نصرتهم ، فان شاءوا ناصروا الحق ، وان

شاءوا لزموا موقف الحيدة ٠

ومن هنا لم يكن بد للحرب من سلاح قوي يغذي اسلحتها الاخرى ويقويها وينميها ٠

واذا كان هذا السلاح قد تمثل فيما مضى في الخطبة والقصيدة والرسالة ، فانه قد زاد عليها في العصر الحديث وفي الوقت الحاضر وسائل اخرى ، كالصحافة والاذاعة والقصة والمسرحية وغيرها ٠٠

فالذين ينهضون بهذا العمل مخلصين لكسب النصر مجاهدون في سبيل الله ٠

وقد اشاد النبي صلى الله عليه وسلم بفضل الجهاد باللسان فقال : « جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم » ٠٠ « ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه » ٠٠

## ووسائل اخرى

هل الجهاد مقصور على تلك الوسائل من مشاركة بالنفس ، او بذل للمال ، أو مرابطة بالثغر ، او مقاومة باللسان ! ليست هذه من وسائل النصر ، لاعلاء كلمة الله ، واعزاز دينه ، وحماية الوطن واهليه ؟ بلى ، والقياس يقتضي ان يلحق بها ما يعززها ويقويها ٠٠

* فمن الجهاد أن يخترع العلماء الاسلحة ٠٠ وان يشترك الصناع في صناعتها ، لأنها عدة المحاربين التي يستعينون بها على المقاومة والدفاع والانتصار ٠٠

* ومن الجهاد ان يقوم المهندسون والعمال بتمهيد الطرق للجيش ، واقامة الجسور ، وانشاء الخنادق والحصون ، ومن الجهاد ان يرافق الاطباء المقاتلين ، ليطببوهم وليضمدوا جراحهم ٠٠

* ومن الجهاد أن يرعى المسلمون اسر الشهداء والمحاربين ، رعاية خالصة لله ٠٠ فيها الحنان والاخاء والمساواة ٠٠

وهكذا تتعدد أنواع الجهاد ، وبخاصة في هذا العصر الذي تنهض

فيه الدولة والجيش بأعباء الحرب ، ولكنها لا تستغني عن جهود الشعب أفرادا أو جماعات ··

## الحض على الشجاعة في القتال

هل يغني السلاح البتار عن الشجاعة ؟ وهل تجدي كثرة العدد ، والقلوب خاوية من الشجاعة ؟

لا ·· فالشجاعة اقوى سلاح للمجاهد ·· كثيرا ما تعوض قلة العدد ونقص العدد ، لان الشجاع يقتحم المخاطر ·· ويتعالى على النكول والفرار ··

* * *

١ ـ لهذا امر القرآن الكريم بالثبات الباسل الذي لا يرهب ولا يميد ··

قال تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » ( الصف ) ·

وقال تعالى : « يأأيها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ( الانفال ) ·

٢ ـ وأمر المسلمين بالمهارة في تسديد الطعنات ، وتصويب الضربات ، فعليهم أن يثبتوا في الميدان وأن يقصدوا مقاتل اعدائهم قصدا ·

قال تعالى : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها » ( سورة محمد )

اما الكفار الذين ذكرتهم الاية « فاذا لقيتم الذين كفروا » فهم في رأي ابن عباس المشركون عبدة الاوثان ··· أو هم كل من خالف الاسلام من مشرك او كتابي اذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة كما ذكر الماوردي ·

والحق ان الآية عامة تشمل كل من يحاربهم المسلمون من اعداء دينهم ، ولا مسوغ لتخصيصها بنوع من هؤلاء ··

* وأنها لتنطبق ايما انطباق على الصهيونية التي اضطرت المسلمين الى محاربتها ، اذ طغت على اهل فلسطين من مسلمين ومسيحيين ، وبغت هناك بغيا لا يرتضيه دين ولا قانون ، ولا خلق كريم ، وسلبت الاموال ، وقتلت الرجال والنساء والاطفال ، وشردت مئات الالوف من الاسر التي كانت آمنة في ديارها ·· وهددت العرب والمسلمين جميعا ·· ثم حاربتهم مرات ·· واعتدت على بيت المقدس عدوانا افزع المسلمين والنصارى ··

فعلى كل مجاهد أن يستبسل في حربهم ويستقتل في طردهم ، ليكشف عن دينه الغمة ، وليطهر وطنه من الوصمة ·· وليسترد حقوقه المسلوبة ، ويثأر لكرامته المزدراة ··

**النصر من الله ··**

أمر الله عباده المؤمنين ان يعدوا للدفاع عن دينهم وعن أنفسهم ما يستطيعون من قوة ·· وأمرهم ان يجاهدوا في سبيل الله من صد عن سبيل الله ·· ولا يدخروا وسعا ولا طاقة في هذا الجهاد ··

ووعد المجاهدين أجرا من لدنه عظيما لا يعلم مقداره سواه ، وأوعد المنافقين عذابا اليما يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا جاه ، وقرع الكسالى ·· ووبخ الجبناء ·· وأنذرهم ان استحبوا على الجهاد الحياة ··

ولكن السلاح والحماسة والشجاعة وعدد الحرب كلها قديمها وحديثها مغلولة القوى ، مسلوبة القدرة طائشة الاهداف اذا لم يؤازرها نصر من الله فليقبل المسلمون على الجهاد ·· وبأيديهم سلاح لا يفل ·· وفي دمائهم حماسة لا تفتر ·· وفي عقولهم فكر سديد وتدبير محكم ·· وفي قلوبهم يقين لا يتزعزع بأن النصر ليس مرده الى سلاحهم وشجاعتهم وتدبيرهم فحسب ·· بل مرده الى هذا ·· والى عون الله وتوفيقه وتأييده ··

وهم اذ يقدمون على المعارك بهذه العقيدة السامية يزدادون قوة الى قوتهم لانهم يلتمسون التأييد من ربهم الذي يجاهدون في سبيله لاعزاز دينه ونصرة حقه ··

ولاشك ان هذه العقيدة تقي المسلمين داء طالما حاق بسابقيهم وبلاحقيهم فدمرهم تدميرا وهو الغرور الباغي ·· والزهو الطاغي والاعتداء المبيد ··

وشتان بين مسلم يسارع الى الحرب مستعدا لها ·· موقنا بأن معه قوة الله تسانده وتوفقه وتؤيده وبين أخر يندفع الى الحرب معتدا بقوته وحدها ·· مزهوا بما حمل من عتاد وسلاح ، وبما دبر من وسائل الكفاح !

## جزاء الجهاد

اقتضت حكمة الله تعالى ان يكون في الارض خير وشر ·· وحق وباطل ·· وعدل وظلم ·· وتوحيد وشرك ·· وان يصطدم هذا وذاك ·· مادام الناس يحيون على هذه الارض ··

فلم يكن بد من الجهاد لنصرة التوحيد والخير والحق والعدل ·· ولم يكن بد لاصحاب العقيدة السماوية الصحيحة من ان يلاحوا دونها ·· وان يفتدوها بأرواحهم ودمائهم واموالهم ، سواء كان العدوان مصوبا الى العقيدة نفسها ·· ام موجها الى وطنها ومقرها ·· ام واقعا بأهلها وانصارها ··

لهذا فرض الله الجهاد ، وحض عليه ·· ولهذا كان للجهاد جزاء عظيم متنوع ·

أولا : الثواب الالهي ··

المؤمن الحقيقي هو الذي يجعل من نفسه حصنا لدينه ·· ويفتدي دينه بحياته وبماله ·· قال تعالى « انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » « الحجرات » فهم الذين امنوا وصدقوا ولم يشكوا ·· ثم

حققوا ذلك بجهادهم وبأعمالهم الصالحة ٠

* * *

ومن البديهي انه سبحانه وتعالى غني عن الجهاد وعن المجاهدين ، لأن ثمرات الجهاد لهم وحدهم ومعاطب الاستكانة والضعف عليهم وحدهم « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين » ٠٠

* * *

ومن أنواع جزاء المجاهدين : الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين ، يذوقون فيهامن ألوان النعيم مالم تره عين ٠٠ ولم تسمع به أذن ٠٠٠ ولم يخطر على قلب بشر ٠٠ وينعمون فيها برحمة من الله ورضوان ٠٠ هذه الجنة هي النزل الذي وعد الله به المجاهدين في سبيله ، وانه لمنجز وحده ، ومحقق عهده ٠٠

قال الله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهد من الله فأستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » « التوبة » ٠

اما الاحاديث في هذا المعنى فكثيرة منها « انتدب الله عز وجل لمن خرج في سبيله ـ لا يخرج الا جهادا في سبيلي وايمانا بي ، وتصديقا برسولي ، فهو على ضامن ان ادخله الجنة ، او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر وغنيمة » « مسند احمد » ٠

ومن انواع الجزاء : الرضوان ٠٠ وحسب المجاهدين انهم في ظلال من رحمة الله ورضوانه ٠٠ وأنهم في الدرجة العليا التي أعدها لهم ووعدهم بها ٠

* * *

وجزاء الشهداء ، أولئك الذين يغضبون لدينهم ان يعتدي عليه اعداؤهم والذين يثورون لوطنهم ان يغتصبه خصومهم ٠٠ والذين يهيجون لعرضهم ان يثلمه غاصب ٠٠ والذين يحمون مالهم من أن

يسلبــه ســالب ٠٠ والذين يهبــون للذود عن أرواحهم والدفــاع عن حياتهم ٠٠ أولئك هم الشهداء الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، « كنز العمال » ٠

فما جزاؤهم ؟

لقد وعدهم الله تعالى ـ ووعده الصدق ـ ان يغفر لهم ما سلف ٠٠٠

وأن يدخلهم الجنة ٠٠ قال تعالى ٠٠ « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب » « آل عمران » ٠٠

## السعادة النفسية ٠٠

أولئك الشجعان الغير على دينهم وعلى وطنهم وعلى اعراضهم وأموالهم وحرياتهم وكرامتهم ، الذين يجاهدون بأنفسهم وبمالهم فينتصرون على اعدائهم يجدون في اعماق نفوسهم سعادة لا تعد لها سعادة اذ نهضوا بما افترضه عليهم الله تعالى فأدوا للدين حقه ، وصانوا للوطن حياته وكرامته وحموا كل ما تجب عليهم حمايته فعاشوا في ديارهم مرفوعة **رؤوسهم** ، خفاقة اعلامهم ، أعزة نفوسهم ، مرهوبا ذمارهم ، مطمئنين على حرية بنيهم ، وحرية دراريهم فان تخلف النصر عنهم مدة لم يستسلموا ولم ييأسوا ٠٠ بل استأنفوا الجهاد وهم اشد حماسة ٠٠ واقوى عدة ٠٠ واعظم خبرة حتى يؤيدهم الله بنصر حاسم مبين ٠٠

اما الضعاف الذين يؤثرون الخفض على الدعة ٠٠ والسلامة على الجهاد ٠٠ فانهم يستبدلون خبيثا بطيب ٠٠ وذلا بعز ٠٠ وحرية بعبودية ٠٠ وفقرا بثراء ٠٠ وموتا بحياة ٠٠ ثم ينشأ بنوهم في هذا

الهــوان ، ويتمــادي بهم الزمن ··· فيحسبــون ان حيــاتهم هــي الحياة ··· حتى يقيض الله لهم من يوقظهم عن الغفلة ، ويقيمهم من الرقاد ·· ويصيح فيهم صيحة الجهاد !

❊ ❊ ❊

على ان المجاهدين يتبوأون مكانة علية في مجتمعهم لأنهم ذادوا عن مقدساته وعن حرماته ·· وجادوا بحياتهم وبمــالهم وجهودهم ·· لا يبتغون من احدا جزاء ولا شكورا ··

❊ ❊ ❊

ولم تزل الأمم كلها تكرم أبطالها وترفع اقدار رجالها المجاهدين ·· فتحتفي بهم احياء وتباهي بهم امواتا ·· وتخلد ذكراهم بوسائل شتى ليتخذ من السلف قدوته المثلى ·· وعظته الكبرى ··



## الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني

الأستاذ أنور الجندي

هـذا الكتاب في تصـديه للغـزو الفكري الاوربي للاسـلام والعالم الاسلامي وفي كشفه عن حقائق كثيرة منها ماهو ظاهر ومنها خفيما هو عن هذا الغزو الرهيب ٠٠ هذا الكتاب ليس هو أول كتاب يؤلفه الكاتب البحاثة المعروف الاستاذ انور الجندي ، حول هذا الموضوع المتعـدد الجوانب والذي ما يزال في حاجة ملحة الى مزيد من البحـوث ٠٠ ان للأستاذ الجندي العـديد من الكتب في هـذا الموضـوع بعضها ظهـر مطبوعا ٠٠ وبعضـها الآخـر في طريقه الى المـطابع ، والواقـع ان هذا الباحث يعتبر في الطليعة بين المؤلفين الاسلاميين ممن تفرغوا ونذروا أنفسهم وأقلامهم لمعركة مقاومـة الغزوة الاستعمـارية الشـرسة ٠٠ وخاصة من جانبها العقائدي والفكري ٠٠

وسيجد القارىء فيما أوجزناه عن كتابه هذا ( الاسلام ـ في غزوة جديدة للفكر الانساني ) لمحات من سجل هذا الغزو ٠٠ اعتقد انها لم تكن في حاجة الى تعليق ٠٠

يقول المؤلف في المقدمة : ( لا تزال حقيقة الاسلام تتكشف وتزداد قوة ووضوحا بعد ان مرت برحلة مظلمة من الغبن والعقوق ٠٠ واجهها به اولئك الذين كان الاسلام بفكره وحضارته وثقافته اساس نهضتهم وحضارتهم الحديثة ) ٠

ولقد واجه الاسلام منذ القرن الخامس عشر حملة منظمة كانت تستهدف امرين :

١ ـ القضاء عليه في نظر الغربيين والانسانية جميعا ، وتشويه معالمه الحقيقية حتى يسقط نهائيا ··

٢ ـ اثارة الشبهات والشكوك فيه بالنسبة لأهله حتى ينتهي فيما بينهم كمقوم اساسي للحياة والفكر والحضارة ··

وقد نجحت هذه الحملات الى حد كبير في تحقيق الهدفين ·

غير ان الاسلام بقوته الذاتية استطاع ان ينفذ الى الفكر الانساني من خلال الكتابات التي حملت عليه ، وشوهته فأمكن ان يلقي ضوءا على النفس الانسانية خارج العالم الاسلامي · وما لبث هذا الضوء ان اتسع حتى اصبح تيارا قويا ، جمع اليه عشرات من اقلام الكتاب والفلاسفة والمؤرخين والباحثين ·· هؤلاء الذين لا يشك أحد مطلقا في ان الاسلام استعملهم أو حملهم على الايمان به وتقديره عن طريق وجدانهم وفكرهم الذي استطاع أن يصل الى الحقيقة ويقتنع بها ·

ويمثل هذا التيار في الفكر الانساني غزوة جديدة للأسلام لاشك في قوتها وأصالتها والنتائج البعيدة المدى المترتبة عليها ·

وجملة القول في آراء هؤلاء الكتاب ان الاسلام دين عالمي انساني لاشك فيه وان الانسانية في أشد الحاجة اليه الآن لحل مشاكلها ·

ولا يخلي بروز هذا التيار من المفكرين العالميين مسؤولية الفكر الغربي ، في حملته الظالمة على الاسلام ، هذه الحملة التي لا تزال مستمرة منذ بدأت في القرن الخامس عشر ، والتي تدفعها عوامل النفوذ الاجنبي والتغريب والتسلط على العالم الاسلامي وسحق مقوماته الاساسية وتحويله عن قيمه وشخصيته ومفاهيمه وفرض قيم عليه ليست من طبيعته ولا من بيئته ، وعندي أن هذا العمل ينفع في خدمة الاسلام العالمي كما ينفع في خدمة المسلمين انفسهم ذلك لأنه اذا كان العالم الاسلامي ما يزال خاضعا للرأي الاجنبي مقدرا له حتى ولو كان

من اعدائه فما أحراه أن يقدر هذا الرأي الاجنبي المنصف الذي يدعوه الى ان يتمسك بالاسلام ·· والذي يدعو الانسانية كلها ان تتخذه سبيلا لحل ازماتها الكبرى ·

## التحديات في وجه الاسلام

في فصل تحت هذا العنوان يقول :

واجه الاسلام التحديات الخارجية منذ اليوم الاول لوجوده ·· واجهها في بيئة مكة ·· ثم في بيئة المدينة ·· ممثلا في مقاومة الوثنية واليهودية له ·· ثم اتسع نطاق هذا التحدي بعد ان فتح الاسلام بلاد الشام ومصر وشمال افريقية حيث واجه تحدي الدولة الرومانية المسيحية ·

ثم امتدت هذه التحديات في صورة الدعوات الهدامة المتعددة التي واجهت الاسلام خلال الدولة الاموية والعباسية وما بعدهما ·· دعوة عبد الله بن سبأ ·· ومحاولات البرامكة ·· والفرس ·· والروانديه ·· والمقنعة ·· والخرميه ·· والبابكية ·· والاقشين ·· وابن ديصان ·· والمزدكية ·· والمانويه ·· والقرامطة ·· وحسن الصباح ·· ثم التتار ·

وكلها دعوات مؤيدة بقوة الفكر والسلاح ·· انبعثت من قلب العالم الاسلامي نفسه ·· ولا يبعد ان تكون مؤيدة بقوى خارجية ·

غير أن التحديات التي واجهت الاسلام من خارج نطاقه ، ومن خلف حدود العالم الاسلامي قد بدأت بالحروب الصليبية حينما أحست أوربا خطر الاسلام الذي نما واتسع سلطانه ·· ومن ثم جاءت هذه الحركة نتيجة اساسية لهذا المعنى ، وان اتخذت من ظهور السلاجقة بمظهر القوة واتساع السلطان السياسي واستيلائهم على بيت المقدس واكتسابهم أملاك الامبراطورية الاسيوية حتى بحر مرمرة ـ سبيلا مباشرا لاعلان الحرب ·

### بطرس الناسك والحروب الصليبية

وكان ـ بطرس الناسك ـ هو أول من دعا الى هذه الحروب مطالبا بحماية البقاع المقدسة ٠٠ فاستطاع ان يسوق جموعا ضخمة في صورة حملات ٠٠ كانت صورة واضحة من الفوضى والاضطراب ، ولم تكن في حقيقتها جهادا دينيا منظما ٠٠ وان اسبغت البابوية نفوذها على هذه الحملات ٠

الى ان يقول : ( واذا كانت الحملات الصليبية التي بدأت ٤٩١هـ ـ ١٠٩٨م قد توقفت ٦٤٤ ـ ١٢٥١ عسكريا فأنها في الواقع لم تنته أو أنها بعد أن استمرت مائة وثلاثة وخمسين عاما لم تقف بل تجددت في الاندلس حتى جاء اللورد اللنبي بعد ذلك بستمائة وسبعة وستين عاما ٠٠ ووقف في بيت المقدس عام ١٩١٨م ليقول كلمته التى لا تنسى ) :

### اليوم انتهت الحروب الصليبية !

ومعنى هذا ان الغرب حين توقف عن الحروب الصليبية في ميدانها العسكري لم يكن قد توقف فعلا ٠٠ وإنما كان قد بدأ مرحلة اخرى من الحرب في مجالات الفكر والسياسة وغيرهما استطاع بها ان يحقق عام ١٩١٨م ما ظنه النصر الذي تخلف عنه عام ١٢٥١م ٠

### ثم جاء دور التبشير والاستشراق

وخلال هذه الفترة الطويلة الممتدة ، مضى الى غايته العمل الكبير الذي أعده الغرب لمواجهة الاسلام ومحاولة القضاء عليه ٠

وخلال ذلك برزت هذه التحديات الضخمة في صورة التبشير والاستشراق ٠٠ والتأليف والصحافة ٠٠ والمؤسسات المختلفة ٠٠ والارساليات العديدة التي اندفعت الى هذه المنطقة في ظل النفوذ الاجنبي المسيطر على الدولة العثمانية ٠٠ وتأييد القناصل لتبدأ عملية

الغزو وتحت سمع الحكومات المختلفة الكبرى التي واجهها الاسلام بقوة ·· وأدال منها ·

**وفي الاندلس اشعلها الغرب حربا صليبية اخرى ··**

وخلال هذه المرحلة ايضا لم يتوقف الغزو العسكري ·· فاذا كانت الحروب الصليبية قد انتهت سنة ١٢٥١م فان حربا اخرى شنها الغرب على الاسلام في الاندلس ·· واستمرت أكثر من اربعة قرون ·· ذلك ان الغرب المسيحي بعد هزيمة الحروب الصليبية في الشرق كان قد صمم على اجلاء المسلمين والعرب نهائيا عن اوربا ·

**ثم الحرب المقدسة مع الخلافة العثمانية ··**

وبينما كانت هذه المعارك التي تعد بحق المرحلة الثانية للحروب الصليبية ـ مستمرة ·· كانت قد بدأت المرحلة الثالثة ، وهي اخراج المسلمين من اوربا الشرقية ·· هذه الدعوة التي علت صيحتها في أواخر القرن السادس عشر ، حتى دعا البابا ـ بيوس ـ الخامس الى حلف يضم ملك اسبانيا ، وجمهورية البندقية ·· ثم اعلنت الحرب المقدسة لاسترداد جميع الاقطار المسيحية ·· والاجزاء الاوربية من دولة الخلافة العثمانية ·

وبذلك اخرج المسلمون من اوربا نهائيا ·

**ثم ماذا ؟··**

من خلال هذه المعارك الثلاث تبدأ خيوط التحديات الفكرية التي حمل لواءها الغزو الفكري الغربي لمواجهة الاسلام ·

لقد استطاع الغربيون عن طريق الحملات الصليبية ومعارك الاندلس وتركيا ·· ومن خلال هذه المنافذ احراز قدر كبير من آثار الفكر الاسلامي ·· حيث بدأت على الاثر حركة ترجمة ضخمة من العربية الى اللغات الاوربية لكل ما ابتدعه المسلمون في ميادين العلم والادب والتشريع ومن هذه الحصيلة الضخمة بدأ عهد ـ الرينساس ـ أي عهد

النهضة لاشك ولا ريب بشهادة المؤرخين المنصفين ·

الى أن يقول : والكلام عن أثر الفكر الاسلامي في الثقافة الاوربية طويل ومتشعب ·· وهو لايقف عند ميدان معين من ميادينه ففي مجال الفلسفة والدين والفقه ، وفي مجال الادب ·· وفي مجال الموسيقى ·· وفي مجال الطب والحساب والكيمياء والفلك وعلوم البحار ·· له آثار واضحة شهد بها كل المنصفين من الباحثين ·

بدأت معركة التحدي منذ اليوم الاول الذي استطاع فيه الغرب ان يسيطر على عصارة الفكر الاسلامي ·· ويجعلها ركيزته الاولى لبناء النهضة ·· وقد شملت هذه المعركة العالم الاسلامي كله ·· كمنطقة خصبة واسعة تمر بفترة من فترات الضعف والركود ·· ويجد فيها الغرب خاماته واسواقه ·· ويتطلع اليها كجزء من مخططه في الاستعمار والغزو ولكل ما سوى اوربا ·

وقد حملت النهضة الغربية في تضاعيفها عوامل التحدي للأسلام كرد فعل لقوته الذاتية التي استطاعت ان تديل من الغرب في أكثر من معركة وان تهزمه في عديد من المواقع ··

* * *

واذا كانت معركة الغزو الغربي للعالم الاسلامي قد حملت عديدا من الخطط الفكرية التي اريد بها تمزيق وحدته ·· أو اخضاعه للسيطرة الاستعمارية تمثلت في دعوات التجزئة ·· والتغريب ·· والقوميات الضيقة : الفرعونية ·· والفينيقية ·· والبربرية ·· فأن الخطة الكبرى فيما يبدو كانت في مواجهة الاسلام بالذات ·· كعامل ضخم يحول بين الاستعمار والنفوذ الاجنبي ·· وبين تحقيق أهدافه في السيطرة الكاملة على معتنقيه ·

ذلك ان الاسلام في صميم تعاليمه يحمل قوة للمقاومة والدفاع عن النفس لا حد لها ·· وقد كان تاريخه كله معركة متصلة لدفع الغاصبين والمعتدين ·· فضلا عن أن الاسلام لم يكن في حجم تعاليمه دينا

فحسب ٠٠ ولكنه كان دينا ومجتمعا وحضارة متصلة بشؤون الحياة والحكم والفكر ٠٠ وهو بطبيعته قادر على مواجهة تطور الازمان ٠٠ واختلاف البيئات والاقطار ٠٠ وله من القدرة الذاتية ما يمكنه ولا يجمد ولا يتعارض مع طبائع الامم في حركتها الدافعة الممتدة عبر العصور ٠٠ بل انه في صميم تعاليمه : قد حمى الحضارة وتألفها ٠٠ واستمد من حضارات الفرس والرومان واليونان والهنود كل ما فيها من عناصر القوة واضافها الى نفسه ٠٠ ووسع بها كيانه ،، وظل مع ذلك محتفظا بملامحه الاصيلة ٠٠ وشخصيته الواضحة ٠

كل هذا كان من شأنه ان يدفع النفوذ الغربي الى مقاومة الاسلام الذي يقف حجر عثرة ضد توسعه وتسلطه ٠٠ واستمرار هذا التوسع والتسلط الى الامد الطويل الذي قدره الاستعمار للسيطرة على العالم الاسلامي ٠٠ وخاماته وقواعده ٠٠ وأرضه وموانئه ٠

* * *

فاذا أضيف الى عامل الاسلام ـ كقوة مقاومة ـ عامل التعصب الذي يحمله الغرب منذ هزيمته في الحروب الصليبية وما تبع ذلك من توسع جديد للقوى الاسلامية امتد على طول جبهة واسعة في اسيا الصغرى ٠٠٠ ومنها امتد حتى بلغ نهر اللوار ٠٠٠ كان موقف النفوذ الغربي عنيفا في حملته على الاسلام فلقد نشأ جيل الغرب يحمل عناصر الحقد على الاسلام والعالم الاسلامي ٠٠ وارتبط هذا الجيل بدراسات في المدارس والمعاهد ٠٠ ودراسات تخصص تحمل ـ التعصب ـ صورة الفكر وترى في الاسلام رأيا مظلما بعيدا عن الحق ٠٠

وتؤمن بأن كل ما سوى اوربا عبيد وبرابرة ٠٠ وأن الجنس الابيض هو الذي يحمل لواء الحضارة ٠٠ وله وحده السيطرة والحكم ٠٠ وان كل الشعوب غير البيضاء لا حق لها في الحياة ٠

وكان للكنيسة دورها الضخم في تقوية هذه الحملة الضارية على الاسلام مما كان له أبعد الاثر في انعدام النظرة الصحيحة للاسلام

واهله ·· فقد بدأت قوى التبشير المؤيدة بالعلم والمال تعمل ، وتتخذ مراكزها في قلب العالم الاسلامي كمقدمة للغزو العسكري والسياسي · وهي تحمل معها فكرا مضطربا بالغ التعصب في انكار فضل المسلمين على الحضارة ، والغاء دورهم من المدنية ·· وتغليف حقائق التاريخ بطابع الحقد ·· فالقرآن الذي ترجمه القساوسة قصد به التحريف وأريد به ان يكون سلاحا لحرب الاسلام ·· وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم زيفت ·· واتخذت الروايات الضعيفة اساسا لتصوير حياة محمد صلى الله عليه وسلم في صورة بعيدة كل البعد عن الحقيقة ، واتهمت اصول الاسلام وقيمه بالضعف والاضطراب ·· وأضيفت الشكوك والاتهامات الى كل تاريخه الناصع ، وهو جمت شريعته ·· ووصفت بالاضطراب والتخبط ·

وقام على هذا العمل علماء لهم اسماء لامعة ، استخدموا لهذه الحملة الضخمة على رأسهم : فولتير ـ ورينان ـ ولامنس ! وزويمر ··

وقد حملت بعثات التبشير التي انبثت منذ عام ١٨٣٠م في انحاء العالم الاسلامي هذه الافكار لأذاعتها في المسلمين انفسهم ··· لتشكيكهم في دينهم ·· ونبيهم ·· وتاريخهم ولغتهم ·

* * *

وقد بدأ التبشير عمله سنة ١٨٣٠ وهو نفس التاريخ الذي بدأ فيه احتلال فرنسا للجزائر بعد أن اقره البابوات ورسموا خططه ·· ووضعت الدول الاعتمادات الضخمة له في ميزانياتها ·· وقد اتجه التبشير الى لبنان ومصر ·· واتخذ منهما مركزين للوثوب على العالم الاسلامي ، ولم يلبث أن وسع نطاقه عن طريق المرسلين الامريكيين واليسوعيين ١٨٢٧م بيروت . ١٨٥٥م أسيوط ·

* * *

ثم يقول وكان الهدف من هذا العمل : القضاء على المقومات الاساسية التي تدفع الى مقاومة الاستعمار ·· والوقوف في وجهه

باسلحة الاسلام · ومن ثم تنشأ طبقة من المؤمنين بالفكر الغربي ·· المعجبين بالحضارة الغربية وما يحمله من عقائد ومذاهب ·· ومن ثم يستطيع هذا الرعيل ان يحكم ويسيطر على مراكز القيادة ·· وبذلك تزول نهائيا معركة المقاومة ·

ويستسلم العالم الاسلامي للغرب على اساس من الاعجاب والتجاذب والالتقاء مع القيم الجديدة ·

ذلك ان هذا الخضوع كان هو اساس بقاء الاستعمار والنفوذ الغربي في العالم الاسلامي · بعد ان تنتهي المعركة العسكرية أو السياسية ·· وبعد ان تنسحب ايضا القوى المحتلة حينئذ يجد النفوذ الاجنبي من الاجيال التي رباها ، وكونها في معاهده ومدارسه وجامعاته خير من يحمل لواء الولاء له ·· والايمان به ·· وبذلك تنتهي حقيقة قيم الاسلام القائمة على حرية الفكر ، والتحرر من سلطان العقائد والمذاهب الاخرى · وبقاء عنصر المقاومة للمستغل والمستبد اساسا حقيقيا للفكر الاسلامي ·

ومن هنا كان نفوذ التبشير اخطر اثرا في حملة التحدي في ظل ذلك المخطط الذي رسمته الارساليات التبشيرية وعملت على تنفيذه فعلا وهو :

- تشويه الاسلام والثقافة الاسلامية ، والتشكيك في الاديان بصورة عامة :
- افساد الخصائص القومية في العالم الاسلامي والعربي ·
- خلق تخاذل روحي وشعور بالنقص مما يؤدي الى الخضوع للمدنية الغربية ·
- توسيع شقة الخلاف بين الاديان والمذاهب ، والطوائف ، واثارة النزاع وتأجيج نيران الخلاف كلما هدأت ·
- اخضاع العالم الاسلامي للأستعمار الغربي ·
- اخضاع الثقافة والفكر الاسلامي للفكر الغربي ·

- اعداد شخصيات قيادية لا تقاوم النفوذ الاجنبي بل تؤيده ..
- القضاء على اللغة العربية بتغليب العامية .. والكتابة بالحروف العامية وقد استطاع التبشير بقوة الكلمة .. وبنفوذ الحكومات ان يحقق الكثير مما اراد ..

**الهجوم على الاسلام :**

أعلن الفكر الغربي هجومه على الاسلام منذ اليوم الاول الذي استطاع فيه ان يسيطر على مقاليد هذا الفكر ويترجمه ويجعل منه القاعدة الاساسية للفكر الغربي الحديث .. ولمعالم الحضارة الجديدة التي بنت قوائمها على الاسس العلمية الاسلامية في عالم الفلك والطب والكيمياء والجبر والحساب والفلسفة .

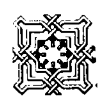
الى أن يقول : ثم لم تلبث الايام ان كشفت عن اسماء لامعة لها وزنها في مجال الفكر الغربي وقد اخذت تتصدى للأسلام نفسه مهاجمة اياه محاولة القاء الشبهات على اصوله وأسسه .. في اسلوب مليء بالهجوم العنيف والاتهام الصارخ على نحو بعيد كل البعد عن منهج العلم .. أو اسلوب العلماء .. ولم تكن هذه الحملة بهذه الصورة القاسية الا خدمة للاسلام نفسه فان كثيرين ممن جذبهم الاسلام اليه .. وصحت مفاهيهم فيه .. انما تأثروا بهذه الحملات وانكروها .. واضطروا الى ان يعودوا الى كتب اخرى ربما تكون أكثر انصافا ، أو بعدا عن التعصب والمغالاة ، فلم تلبث هذه الدراسة ان كشفت لهم عن جوهر الاسلام وضيائه وفي عصرنا الحديث ظهرت كتابات متعددة تحمل طابع الخصومة العنيفة فكتاب فوليتر عام ١٧٤٢م بمسرحيته عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ودراسات الاب لامنس اليسوعي ..

ومقالات هانوتو التي أثارت المعركة مع الشيخ محمد عبده .. وحملات لويس برتران في كتابه - امام الاسلام - وكتاب - مصر للمصريين - لدوق داركور الذي رد عليه قاسم امين بالفرنسية بكتابه - المصريون - وحملة الكردينال - لا فجرى - على - الرق في الاسلام - وقد

رد عليه احمد شفيق باشا وحملات ـ كرومر ـ في كتابه ـ مصر الحديثة ـ و ـ مر جليوث ـ في مقاله المشهور ـ مستقبل الاسلام ـ وسكوت ورينان وزويمر في كتابه ـ الاسلام ماضيه وحاضره ومستقبله ـ و ـ روم لاندو ـ و ـ ماسينيون ـ ودكتور واطسون مدير الجامعة الامريكية ١٩٣٣ ٠

هذه الحملات كانت تمثل في مجموعها صورة من معركة التحدي العنيف للأسلام ٠٠ وفق خطة مرسومة ٠٠ على النحو الذي من شأنه ان يزلزل الرأي العالمي في حقيقة الفكر الاسلامي ومفاهيمه ٠٠ وان يثير الشكوك والشبهات في أهل الدين نفسه ٠٠ في ظل نظم التعليم والثقافة التي بدأ الاستعمار يبثها في اقطار العالم الاسلامي ٠٠ فقد نشرت هذه الابحاث في كل مكان ، وقصد ان تصل الى كل مكان ينتشر فيه الاسلام ، أو توجد جماعات المثقفين ، كالجامعات ، والمجامع العلمية ، ودوائر المعارف حتى نوسم هذه الاراء بالسمة العلمية ٠

**وتحمل معنى قداسة الكلمة المكتوبة ٠٠ في مجلدات ضخام ٠٠ ومن هنا ظهرت ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ باشراف المستشرق ـ فنسنك ـ مشحونة بالاخطاء ٠٠ والاغلاط ٠٠ والاتهامات ٠**





# الإسلام الممتحَن

الأستاذ محمّد الحسني

عنوان هذا الكتاب هو :« الاسلام الممتحن » وهو عنوان معبر ـ ولاشك ـ وسيجد القاريء الكريم ، من خلال عرضنا لمحتواه ٠٠ ان الاسلام في هذا العصر يواجه الوانا من المحن ٠٠ لم يسبق لها مثيل ٠

والمذهل أن اكثر ما يواجه الاسلام من محن في عالم اليوم ، آت من فئات منتمية للاسلام ٠٠ شاء لها الحظ العاثر أو شاءت لها « موجة التغريب » أو الاستشراق الوافد من الغرب ، ان تنحرف ، وان تضل الطريق !

صحيح أن خصوم الاسلام التقليديين : الصليبيين ، والشيوعيين ، واليهود : هم الأشد عداوة ٠٠ ومن هنا فان ما يصدر عنهم من « عنت » أو ما نلمسه من حقد ٠٠ امر مسلم به ، ومفهوم ٠٠ لكن ان يصدر مثل هذا العنت ، أو مثل هذا الحقد ، من افراد منتسبين للاسلام فهو أمر مستغرب ومستنكر في آن واحد ٠

ان مؤلف هذا الكتاب الاستاذ محمد الحسني ، هو رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامي ، التي تصدر بالهند ، عن ندوة العلماء ، ذات التاريخ الناصع المشرق ، في خدمة العلم والثقافة الاسلامية هناك ، ولا اريد أن اضفي على كتابه ثناء ٠٠ اعتقد انه سوف يغنيه عنه ما سيلحظه القاريء بنفسه أثناء قراءته لهذا العرض

السريع ٠٠ أو قراءته للكتاب نفسه ٠٠ وحسب المؤلف الفاضل ما أشاد به في تقديمه الرائع للكتاب الاستاذ السيد على ابو الحسن الندوي رئيس ندوة العلماء ، والداعية والمفكر الاسلامي الأشهر ٠

* * *

في الفصل الأول : العالم الاسلامي على مفترق الطريق - يقول المؤلف الفاضل :

« هذه الفترة من الزمن التي يجتازهاالعالم الاسلامي بوجه عام ، والعالم العربي بوجه خاص ، فترة خطيرة ذات اهمية في تاريخ المسلمين ، انها ساعة لاتتوفر امثالها في تاريخ الأمم والشعوب ، وفي امكانية العالم الاسلامي اليوم أن يؤدي واجبا ضخما نحو الانسانية ، ويلعب دورا هاما في حقل السياسة العالمية ويغير دورا هاما في حقل السياسة العالمية ويغير مجرى التاريخ ، ويحول القيادة من الجاهلية الآثمة الى الاسلام السمح العادل ، ويحقق ذلك الغرض الأكبر والهدف الأسمى الذي بعثت له تلك الأمة الاسلامية ٠ ان ذلك يقتضى سرعة ، لكن بحيطة وحذر ، ويطلب شهامة واقتحاما ولكن بعد تأمل وتريث ويحتاج الى هجوم عنيف على غريمه والانقضاض عليه كما ينقض الصقر على الطير ، والأسد الجائع على الشاة ولكن بعد اكتمال رصيده الايماني والروحي واستعداده المادي والحربي وتنظيمه العلمي الجديد ، وتوزيع صفوفه الموزعة وهذا هو الذي قد فات العالم الاسلامي في احيان كثيرة ، فسقط سريعا امام ثورة العقل والفكر ، ومعجزات البطولة والاختراع ، وقوة الحديد والنار ، ولمعان المدنية المتطرفة ٠

ويمضى المؤلف في حديثه الى أن يقول في ختامه ٠ « ان الفراغ الذي حدث في قيادة الانسانية اليوم فراغ رهيب ، ولكنه فراغ لا يستطيع أن يملأه أحد الا العالم الاسلامي ٠ لأن العالم الاسلامي هو وحده مصباح الهداية والارشاد في بحر الظلمات انه يحفظ في

**وعائه ايمانا افلس فيه الشرق والغرب ، ودستورا لايقبل النسخ والنقد ، وتاريخا ناصعا لاتضارعه فيه امة ، وحكمة ربانية هي مفتاح كل قفل ، وحل كل مشكلة « تنزيل من حكيم حميد » وذلك في حين فرغت فيه يد الانسانية من كل مثل عال ، وتعليم خلقى ، فلا ترى في وعائها الا قطعة من حجر أو شذرة من ذهب ٠**

**وفي فصل عنوانه « اسلام المسالمين » يقول :**

« نحن كلنا مع الاسلام ما في ذلك شك »

نحن مع الاسلام دائما ، وبصفة عامة ، والحمد لله على هذه النعمة العظيمة الباقية ان شاء الله ٠

ولكن ٠٠ لسنا مع ذلك الاسلام الذي لاتضره حركة سياسية ، ولاتنال منه دعوة اجتماعية و« انطلاقة ثورية » ولو خالفت اهم قواعده ، واولى مقوماته ، وينسجم مع سائر الأوضاع والملابسات ولو عارضته من اول الطريق وبداية الخط ٠

بين اسلام « مضمون » عقد عليه في شركات التأمين ، فلا تفسده خيانة ، ولا يفسده نفاق ٠٠ ولايضره استهتار ٠٠ ولا ينال منه اسراف ، ولايكن بحره الزاخر فجور ثقافي ٠٠ وخلاعة ادبية ٠٠ وفضيحة فنية ٠٠ وعري علمي ٠٠ وكفر منطقي ٠٠ وانكار قومي ، وشذوذ سياسي ٠ لأنه اسلام مضمون مسجل !! شهد بسلامته ومتانته وجودته كبار تلاميذ الغرب ووكلائه الموزعين في الشرق ٠

انه اسلام يسمى فيه المولود مسلما بحكم القانون والوراثة ، ويبقى مسلما ليتمتع به بما شاء من منافع مادية وادبية ولا يحتاج الى تجديد في ايمانه لأنه ولد من ابوين مسلمين وكفى !

الى أن يقول : انه اسلام سلبي ، لا يتدخل في شؤون المجتمع والحياة ، بل يترك الحبل على غاربه ويدع جيله تحت رحمة الموجات المادية الطاغية والأفكار السامة ، والأدب المائع فيترك المجتمع فريسة سهلة ولقمة سائغة امام ذئاب الانسانية ، ووحوش الحضارة ،

وقراصنة السياسة ، ولصوص الدين والأدب ، ويظن انه سينجو بنفسه وبأبنائه ، ويقول كما قال ولد سيدنا نوح عليه السلام : « قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء » ثم لايلبث ان يجرفه التيار المارد العنيف وتسوقه « هذه السلبية البريئة » الى كل ما عافه واستنكفه ومقته ومجه ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ٠

ان هذا الاسلام يعيش جنبا الى جنب مع كل كاتب يبيع الهوي وينشر المكر ، ويروج بضاعة الفحشاء ٠٠ مع كل اديب يحسن الكتابة ، ويجيد الوصف !!ولو تطاول على ذات الله عز وجل ، ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويستمع بكل اناة وصبر وشرح صدر الى كل حوار لبق وكلام شيق وحديث حلو ٠٠ ولو كان حالقا للدين ، ماحقا للايمان ، هادما للاخلاق ٠٠ وينظر الى كل صورة على الشاشة ولو ذهبت بالحزم والحلم ، واللب والعقل وأطارت الرشد والصواب ٠

هذا الاسلام يمشى مع سائر التقلبات والموضات الفكرية والمذاهب الاجتماعية والسياسية ، والحركات التقدمية الثورية في الهند الصينية او في امريكا اللاتينية ٠ ومع كل فريق من المغنين والمصورين الهائمين والحالمين ٠ والشذاذ الأفاقين ، لأن « تمشي » هذه « الكلمة السحرية » يضع في يد هؤلاء القوم « ورقة مرور » يتعدون بها كل حد ويحطمون كل سياج ، ويهيمون بها في كل واد وناد ٠٠

انه اسلام « المسالمين ٠٠ لاالمسلمين في تعبير أصح وأفصح ، لأنه يسالم جميع الألوان والأنواع الحضارية الموجودة في العالم المعاصر ٠٠ ويتبع كل سبيل غير سبيل الرشد !

ان هذا الاسلام لاينقص بالتهاون في حقوق الله ، والاستهانة بشعائر الدين ، فاذا وقع عنده صدام بين عبادات واعمال سياسية واجتماعية طغت الأعمال السياسية على العبادات والصلوات ولذة التقرب الى الله والدعاء والمناجاة ٠٠ واذا حدث شيء أو شغله أمر من تحرير في صحيفة ، أو خطاب في حفل ، أو قيادة لموكب ٠٠ أو رفع لمذكرة

احتجاج أو قضية في برلمان ، أو حديث في مأدبة ومسامرة في عشاء ، أو نزهة في حديقة وحتى فنجان شاي بين الأصدقاء ·· نسى ما عليه من حق الله ·· وهو في دوامة الأشغال والنشاطات وفي المشكلات والأزمات اولى بالطاعات واحق بالدعاء والتضرع والمناجاة وأحوج الى العبادة والعبودية من الأوضاع الهادئة ، والظروف العادية فلا اعتبار بطاعة لم تصطدم بما يهواه الطبع ، وعبادة لم تشق على النفس ، ولاقيمة لكأس تطفح وعين لم تفض ·

انها درجات في الاسلام ، ولكنه على كل حال اسلام « المسالمين » اما اسلام المسلمين فهو لايقبل « على ما يرام » ولا يؤمن بمبدأ « الدين للديان والوطن للجميع » ولايجمع بين الخطب الدينية في المحافل والترفيه بالبرامج العارية الراقصة الفاسدة المفسدة بعد صلاة العشاء بين اولاده وفلذات اكباده ·

انه لايؤمن بالجمع بين حضارة الغرب وعقيدة الاسلام وبين الزي الاسلامي والحياة الأوربية والجمع بين الحديث والقرآن ، وافكار لينين وسارتر وماوتسى تونج ·

الى ان يقول : « نحن مع الاسلام القائد السائد ، المعلم الموجه ولكن مع الاسلام المستقل الأصيل ، لا الاسلام الذي يتلقى الأوامر والتعليمات من « الباب العالي » في موسكو ، والبيت الأبيض في واشنطن ·

مع اسلام لاينكر العلم والسياسة ، بل ان العلم والسياسة فيه عبادة ·· ولايهمل الطاعة والعبادة ، فهي مفزع المؤمن ومأمنه ·· وحصنه ومعقله ·· واكبر همه وغاية مناه ·

هذا الاسلام العميق الواسع ، المشرف النير ، الكامل الشامل ، الاصيل المستقل ، المكافح المناضل ·

الاسلام الذي يتكلم ولو كره الصليبيون الجدد ، الحمر والبيض والصفر ، ويرفع صوته لتنظيم المجتمع والحكم ، والاسرة والعائلة على

اسس نقية واضحة من السيرة الطاهرة ، والشريعة الخالدة ، والكتاب الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « تنزيل من حكيم حميد »

هذا الاسلام هو العنصر الاقوى في معركتنا الكبرى ، وردنا الحاسم على هواة الفساد ، ودعاة الانحلال ، والمتآمرين على سلامة البلاد ، ونعمة الأمن والهناء باسم الحرية والعلم والتقدمية والاشتراكية والثورية ٠

* * *

وفي فصل عنوانه « اهلا بهذه المؤتمرات ٠٠ ولكن » يقول المؤلف الفاضل :

نشأت في العالم الاسلامي في هذا الوقت رغبة مخلصة اكيدة في دراسة الاسلام دراسة وافية في مختلف نواحيه ، والدور الذي يمكنه ان يلعبه في تثبيت دعائم العالم الاسلامي ، واستقراره ، وبروزه في الوجود كحقيقة ثابتة ، وواقع حي ، وعقد مؤتمرات وندوات لتحقيق هذه الغاية ، وكان مؤتمر لاهور الكبير نتيجة من نتائج هذه الرغبة وأثرا من آثارها ( يقصد مؤتمر لاهور الاسلامي الذي انعقد في يناير سنة ١٩٥٨ م)

وان الغاية من وراء هذه المؤتمرات ـ كما يبدو منها ـ هي شرح الفكرة الاسلامية امام الطبقة المتعلمة في العالم الاسلامي والقائمين بأمره ، وايضاح ما تحويها هذه الفكرة من صلاحية مدهشة لحل مشاكل الانسان : مشاكل السياسة والاقتصاد والأدب والتاريخ ، والمدنية والعمران ، وتقديم ابحاث مبسطة متنوعة في كل ناحية من نواحيها ، وذلك ما آمنا به جميعا واتفقنا عليه ، ولكننا نحرص أن لاتفوتنا ـ ونحن في مرحلة البناء والتعمير ـ اللبنة الاساسية ، فتأتي عمارة معوجة مهددة بالاخطار في كل حين ٠لذلك ارجو من القائمين بأمر هذه المؤتمرات والعاملين لها ان يكونوا أعمق تفكيرا واكثر واقعية في معالجة هذه الأمور حتى لاتطغى ناحية على ناحية

ماهي ازمة العالم الاسلامي اليوم ؟

اذا فكرنا في هذا الامر عن طريق عملي غير طرقنا واساليبنا المعروفة ، رجعنا منه بنتيجة غير النتيجة التي رجع بها كثير من الباحثين والعلماء ·

ان أزمة العالم الاسلامي انه لايعمل بعشر ما يعلم ويؤمن به ·· وان هناك هوة منفجرة بين الحياة النظرية والحياة العملية في امتنا المسلمة ·

هنا كثير من الناس يعلمون ان الصلاة مفروضة على المسلمين ويعلمون اكثر من ذلك ·· ولكنهم لايصلون ، أو على الأقل لاينشطون لها ·· كما يوجد هنا رجال يكتبون في فلسفة الزكاة ، ولا يؤتون الزكاة ·· لا اقول إن الجميع كذلك ، ولكن ذلك يدل على مبلغ التفاوت بين علمنا وعملنا ·

ثم يقول المؤلف : اني لااقلل قيمة هذه الجهود العلمية والاسلامية ، ولا اهمل شأنها فلاشك أن هذا الكفاح العلمي قد أدى دورا كبيرا في منع الشباب المسلم الجامعي من الوقوع في شبكة الشيوعية ، والانجذاب الى الحضارة المادية ، وله فضل كبير لاينكر في هذه الناحية ان الشيء الذي أريد أن الفت اليه الأنظار هو ان هناك مسألة أهم وأخطر للعالم الاسلامي وهي مسألة التوفيق بين عقله وعاطفته · وبين عقيدته وحياته ، وبين علمه وعمله ، والبحث في امكانية تنشيط قواه العملية للسير في هذا الطريق « طريق الايمان الايجابي » اذا صح التعبير ·

ان الكتب والمؤلفات التي نشرت في شرح الفكرة الاسلامية من نواح عديدة موجودة مطبوعة ، ميسرة متوفرة فهل غيرت هذه الكتب تغييرا ما ·· في اتجاه العالم الاسلامي دولا وشعوبا ·

وهل نجحت هذه المؤلفات العلمية ، والأبحاث المقنعة في ايجاد الايمان الحي والحياة الاسلامية العملية في المجتمع الاسلامي ؟

الجواب في النفي لاشك اننا في حاجة دائما الى مزيد من التقدم العلمي في هذا المجال ومزيد من الجهود العلمية نظرا الى التطورات

الحديثة في المجتمع والحياة ، ولكن يجب ان نتأكد اننا لم نعمل بعد على بالكثير مما عرفنا واننا لم نطبق بعد على حياتنا ابسط المبادىء الاسلامية التي نعرفها ويعرفها كل مسلم ومسلمة ٠

ان التوفيق بين هاتين الناحيتين المهمتين والسير بهما هو الحل الوحيد لهذه المشكلة الكبرى ، بل اسمحوا لى ان اقول : ان الروح المعنوية والقوة العملية في هذه الأمة هي في الواقع اساس كل كفاح ، ومنبع كل خير ، وباعث كل تغيير في حياتها ، فاذا كانت هذه الفوة الكبرى نائمة فيها فلا رجاء في رقيها ونهضتها ، وبعثها من جديد ٠

فالواجب علينا ان نثير اولا قلب هذه الأمة ونجذبه عمليا الى الاسلام مع الاستمرار في جهودنا لاقناعها عقلا ودراسة ، بتفوق الفكرة الاسلامية من نواح شتى ٠

* * *

ويمضى مؤلفنا الشاب على هذا النحو من التحليل النابض في بقية فصول الكتاب : « موقف المسلمين من الحضارة الغربية » و« لغة شقى بها اهلها » و« رسالة الحب » و« بين الدنيا والآخرة » و« القلب الصناعي والقمر الصناعي » ويعني بالقلب الصناعي الحضارة الغربية ، ولنستمع اليه يقول :

« انها حضارة بلا قلب ، او هي حضارة ذات قلب صناعي ، والفرق بين هذا القلب وذاك كالفرق بين القمر الطبيعي الذي خلقه الله ، والقمر الصناعي الذي صنعه الانسان ، غير ان هذين القلبين يتشابهان في الصورة والشكل والحجم ، ولايبدو بينهما فرق في النظر المادي ٠

ان قلب الحضارة العصرية قلب صناعي أو في تعبير آخر هو قلب حيواني شهواني ، ليس للفضيلة والخير والاخلاق عنده معنى ، ولا للعاطفة النبيلة مكان ٠

ان « دارون » و« ميكافيلي » و« فرويد » و« ماركس » هم من الذين ساهموا في صنع هذا القلب بنصيب أوفر ، ليزرعوه مكان القلب

الانساني الذي كان ينبض ـ حينا ـ بالرحمة والحنان ، ويتدفق بالحب والايمان ، ويفيض برا ومواساة لخلق الله ، ويحرق كالشمعة لخير البشرية ، وصالح الانسانية ٠

الى ان يقول : انه « القلب الصناعي » مصيبة القرن العشرين ، القلب الذي ربيناه على آخر انواع علمها البشر من الأثم ، وآخر درجات وصل اليها الانسان من البغي والطغيان ٠٠ انه القلب الذي علمناه الا يرحم احدا ، ولاينصر مظلوما ، ولايرعى إلاولا ذمة ٠

ومن فصول الكتاب : « انها الحضارة الالهية » وفيه يقول :

ان الاسلام « حضارة آلهية » اذا صح هذا التعبير ، فهو ليس كأصنام ينحتها البشر بأيديهم ثم يعبدونها ، أو يحطمونها اذا غضبوا عليها ٠ ويضعون محلها صنما آخر ٠٠ هو ليس كالمذاهب الفكرية والحركات الاجتماعية التي اخترعها الانسان في مختلف ادوار التاريخ ٠٠ ثم فرضها على نفسه من غير سلطان بين ، واحاطها بهالة من التقديس والاجلال حتى اذا وجد ان هذه الحركات لاتوافقه نسيها او تناساها ، ووضع محلها مذهبا آخر ٠٠ وهو مغرور بنفسه وبعقله ، لايدرى ان يسير به هذا الدوران وما هي نهاية المطاف ؟!

ان موقف الاسلام من هذه الاصنام المادية والمذاهب الانسانية موقف صريح ، وموقف بين ، انه لايفرق بين الأصنام القديمة والحديثة ، فكلاهما في نظره سواء ، لأنهما من صنع البشر ٠٠

اما رأي الاسلام فهو « شريعة ومنهاج » من عند الله ٠ انزله على البشر ليسيروا على هداه ٠ وبما انه من عند الله فهو محفوظ عن الخطأ والانحراف ، والزيغ والضلال ، لاحاجة فيه الى تغيير أو تعديل ، ولا حاجة فيه الى ادخال تحسينات واصلاحات ، شأن المذاهب الانسانية والحركات الاجتماعية والسياسية كلها ٠ والى ذلك اشار القرآن الكريم حين قال : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » سورة الملك الآية ١٤ ـ وقال : «ثم ردوا إلى الله مولٰهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين »

ونمضي مع المؤلف مع باقي فصول كتابه : « الغرب في ضوء التحليل النفسي » و« مقياس الحضارة في المجتمع الاسلامي » وحديثه عن الكاتب الاسلامي الشهيد « سيد قطب » والكاتب الاسلامي المعروف « مصطفي السباعي » يرحمهما الله وللأسف توجد في النسخة التي وصلتني من الكتاب صفحات بيض تبدأ من صفحة ١٣٠ الى صفحة ١٥٩ وقد اعتادت بعض المطابع في البلاد العربية الا ترى في مثل هذا النقص المعيب ما يحول دون ارسال هذه النسخ الى مكتبات التوزيع !

ومن فصول الكتاب فصل عن « جون بول سارتر والأدب الوجودي » وفصل آخر عنوانه : « بناء الانسان أفضل أم بناء العمارات » وفصل بعنوان : « همسات الى جزيرة العرب » قال فيه :

« ان نظرة المسلمين اليك ياجزيرة العرب ـ يامهبط الرسالة الأخيرة ومأوى النبوة الخالدة ـ تختلف عن نظرتهم الى شقيقاتك من البلاد العربية والبلاد الاسلامية القريبة والبعيدة كل الاختلاف فانت في نظرهم مأرز الاسلام والايمان ومركز الحسن والاحسان ·· ومنبع الصدق والوفاء ، ومعدن الحب والولاء ، وملتقى الأرض والسماء ·

وانت في نظرهم ـ بجانب ذلك ـ محط الآمال ، وموئل الأمة الشاردة الحائرة المفتتة الموزعة ، المتخاصمة المتناحرة ، وسهمها الآخر الوحيد الذي يتوقف عليه مصيرها ومستقبلها ، وعزتها وكرامتها ، الى ان يقول :

« ان قيمتك هي الحفاظ على سمعة هذا الاسم الحبيب ، والانتصار له ، والتمسك به ، والتفاني في سبيل عزته وكرامته ، في وقت عم فيه الضلال وانتشرت فيه الغوغاء ، وقل فيه الوفاء ، وكثر فيه النكران والجحود ·

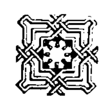
ثم يقول : « انني اراك ياجزيرة العرب تستوردين من الغرب كل شيء ، ولاتصدرين اليه ما خصك الله به من عقيدة نقية صافية ، وايمان عميق ، وغايات نبيلة ، ودوافع صالحة ، وجمعك بين الأخلاق

والوسائل ٠٠ والغايات والوسائط ٠٠ وما خصك الله به من نور النبوة الذي انطفأت مصابيحه ، وانطمست معالمه في الغرب ٠

انك ياجزيرة العرب تواجهين عدوا يضمر لك الحقد والكيد منذ زمن طويل ٠٠ عدوا يعلن مطامعه التوسعية ٠٠ ويهدد الأماكن المقدسة ، ويطمع في المدينة المنورة وخيبر ٠٠ فليكن ردك عليه رد الرجال والأبطال ٠

الى أن يقول : « انك لو كنت ياجزيرة العرب مثل البلاد الاسلامية الاخرى كتركيا او اندونيسيا ، أو افغانستان لخففنا عليك الثقل ، واقللنا عنك الحمل ٠٠ والتمسنا لك الأعذار ولكنك في مكان دقيق ، وموقف دقيق ٠٠ ومسؤوليتك أكبر وأضخم من مسؤولية أى بلد اسلامي في العالم ٠٠٠ فاذا طلبنا من غيرك تضحية ٠٠ طلبنا منك تضحيتين ٠٠ واذا رجونا من غيرك مرة ٠٠ رجونا منك مرتين ٠٠ ولاعجب فهي ضريبة الشرف ٠٠ بل هو عين الشرف !

ان مسؤوليتك بحكم هذا الشرف اضخم واكبر من مسؤولية مصر ـ ومسئولية سورية ٠٠ ومسؤولية الاردن ٠٠ ومسؤولية العراق ٠٠ ومسؤولية الجزائر وتركيا وباكستان ٠





# المسلمون الزنوج في أمريكا

الدكتور ج. أريك

تعريب: عمر الديراوي

منذ أكثر من أسبوع وفي مدينة نيويورك أغتيل « مالكولم اكس » أحد الزعماء البارزين للحركة التي يسمونها حركة المسلمين الزنوج !

وقد أثار هذا الحادث الرهيب الكثير من التعليقات حول هذه الحركة المسماة بالاسلامية ٠

هذه الحركة التي يقوم بها من سنوات فريق كبير من الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية ٠

ويتساءل الناس وما أكثر ما يتساءلون هل هذه الحركة اسلامية حقا ؟

أم هي لا تمت بأية صلة للاسلام ٠٠ وإنما كل ما فيها مجرد الاسم ؟ ومجرد الادعاء !

والواقع أنه لم يثبت ، ولا يمكن أن يثبت أن هذه الحركة حركة اسلامية فعلا ٠

لم يثبت لأن أول دليل قاطع على عدم هذا الثبوت ٠٠ ادعاء زعماء الحركة أن المدعو « أليجا محمد » زعيمهم الأكبر نبي ورسول ٠

واذن ـ فما هو السر الذي يدفع بأصحاب هذه الحركة إلى التمسح بالاسلام ؟

في حين أنها ليست أكثر من حركة قومية « عرقية » ليس لها من هدف سواء في المدى القريب أو البعيد ـ سوى أن تحقق ما تطمح اليه من الانفصال عن حكومة أمريكا ، ومن ثم اقامة دولتهم المستقلة هناك ··

نعم ان هذه الحركة ليست سوى حركة قومية محضة بعيدة كل البعد عن أية فكرة اسلامية ·· وليس من شك في أنها نشأت في أمريكا كنتيجة حتمية لهذا الذي لايزال الزنوج الأمريكيون يعانونه منذ زمن طويل من قسوة التمييز العنصري ·

ما هو السر ـ اذن ـ في اصرار زعماء هذه الحركة على تسمية حركتهم هذه بالحركة الاسلامية ؟

يبدو لنا أن السر في ذلك هو : أولا : شعور القائمين على هذه الحركة بأنه لابد أن ينضوي تحت لواء حركتهم جميع الزنوج القاطنين في أمريكا !

ولما كان أكثر هؤلاء الزنوج يدينون بالمسيحية وهم يرفضون أن يكونوا لا دينيين ·· وليس من مصلحة الحركة في رأى القائمين عليها أن يظل هؤلاء الزنوج المتدينون متمسكين بالدين الذي يدين به الرجل الأبيض ·· كان لابد اذن من حل ·· أو بمعنى آخر كان لابد من « بديل » تقدمه الحركة لهؤلاء الزنوج المسيحيين ·· بدلا من المسيحية ·· واذن فليس سوى الاسلام !

ولم يكن غريبا بعد هذا أن ينضم عشرات الآلاف من الزنوج المسيحيين إلى الحركة الاسلامية !

الأمر الثاني أن اضفاء اسم الاسلام على هذه الحركة يضمن لها مائة في المائة تأييد ملايين المسلمين في آسيا وافريقيا ·

## الغرض الحقيقي

نعم هذا هو ـ فيما يبدو ـ سر اهتمام اصحاب هذه الحركة باضفاء الطابع الاسلامي على حركتهم الانفصالية هذه ·· مع انها ليست في حقيقتها سوى حركة قومية « عرقية » محضة كما سبق أن قلنا ·

ولعل هذا الكتاب « المسلمون الزنوج في أمريكا » هو أوسع ما صدر عن هذه الحركة حتى الآن في اللغة العربية ٠

انه وثيقة مفصلة ـ بحق ـ كما يقول الناشرون للكتاب في ترجمته العربية « دار العلم للملايين في بيروت ـ وثيقة مفصلة عن هذه الحركة « التي لم يكتف زعماؤها باستجداء العطف من البيض والمساواة بهم ، بل ذهبوا إلى حد القول بأن السود الأمريكيين متفوقون على مواطنيهم البيض ، وإلى حد المطالبة بأن تكون لهم في قلب الولايات المتحدة الأمريكية خمس ولايات على الأقل ، على ترابها يقيمون دولة زنجية مستقلة استقلالا كاملا » ٠

وعلى الرغم من أن الطبعة الأولى للترجمة العربية لهذا الكتاب ظهرت مؤخرا في عام ١٩٦٤م ، إلا أنه لا يوجد فيها اية اشارة إلى الخلاف الذي قيل انه وقع بين « اليجا محمد » الزعيم الأكبر لهذه الحركة في الوقت الحاضر وبين الزعيم الآخر « مالكولم اكس » الذي وقع عليه حادث الاغتيال الأخير ٠ على أننا لا نستبعد أن يكون ما لقيه « مالكولم اكس » من مصير سيء ٠٠ في مدينة نيويورك بالأمس نتيجة لخلافه مع الزعيم الأكبر للحركة ان صح ما تردده الصحف من انه خرج على تعاليم الزعيم وأنكر نبوته منذ أن عاد من رحلته المعروفة في البلاد العربية ٠

والآن فلنعرض لهذا الكتاب محاولين أن نلم بأهم ما يعني القارىء عن موطن هذه الحركة من أخبار نشاطها وما ترمي اليه من هدف ٠

***

## الحركة عرقية عنصرية

يصف المؤلف هذه الحركة بأنها عرقية « عنصرية » ، وهى تضم ما يقرب من المائة ألف عضو عامل كلهم من السود ٠٠ ويقول : تتنامى هذه الحركة بسرعة مذهلة بين ظهراني الأمة كما تتخذ طابعا شعبيا واسعا ٠ ففي عام ١٩٦٠ أصبح لدى المسلمين الزنوج أكثر من تسعة وستين مسجدا وفرعا منتشرة في سبع وعشرين ولاية من ولايات أمريكا ـ

مبتدئة من كاليفورنيا حتى فلوريدا ، وتحت قيادة الحاج محمد ـ هذا الزعيم الذي يحظى بالتجلة والترحيب من الألوف من أتباعه والذي خلع عليه لقب « الرجل الأسـود الذي يخاف ـ بضم اليـاء ـ في أمريكـا » استطاعت حركة المسلمين الزنوج أن تجد لنفسها أذنا صاغية ، وتشق طريقها الى قلوب عناصر بارزة كثيرة من السود في الولايات المتحدة ٠

وأهم أهـداف هذه الحـركة ضمـان تمتع المسلمـين السـود بحق الاستقلال التام في واحدة من الولايات الأمريكية ٠٠ لكن رقعة الأرض التي يطلبونها تكاد تعدل خمس مساحة الولايات المتحدة بأسرها ٠

ويؤكد جميع المراقبين بأن شيئا ما ، خطيرا سيحدث في المستقبل القـريب ، كما يسـود الاعتقاد بـأن الحـركـة ستثـور عـلى التمييـز العنصري ٠ وترد على كل عنف بعنف مثله ٠

وتبقى الأسئلة تدور ٠٠ وتطلب الجواب الشافي :

كيف بدأت هذه الحركة ؟

وما معنى حركة المسلمين السود ؟

ما نوع الأشخاص المنضمين اليها ؟

وما هي أهدافها ؟

**أجوبـة المراقبين**

يجمع المراقبون على أن عدد اعضاء الحركة في ازدياد مستمر ٠٠ غير أن البعض من قادة الزنوج يؤكدون أن هذا التضخم العددي قد بلغ أوجه ٠٠ وسرعان ما تبدأ الحركة بالتدهور إلى أن تنهـار ٠٠ ويقول مراقبون آخرون أن الحركة ستظل تنمـو وسيبقى الحاج محمـد يجر وراءه الألوف من الزنوج يشهدون اجتماعاته ويطيعون أوامره ٠

ولكن ٠٠ لماذا يهرع الناس إليه ؟ وماذا يبغون ؟

لابد لنا كي نتمكن من الاجابة على هذه الأسئلة من أن تدرس واقع المجتمـع الأمريكي المعـاصر وتـركيبـه ٠٠ وأن نفهم وضـع الزنـوج الأمريكيين فيه على الخصوص ، ذلك الوضع الذي يزداد تعقيدا فيزداد

الذين يعانون منه مظالمه سخطا ٠

**لم يكن السود شيئا يذكر**

قال أحد شيوخهم : « لم نكن نحن السود شيئا يذكر ٠٠ كنا نشكل الاحتياطي لمن هب ودب من البيض ٠٠ أما الآن فقد تغير الحال وأصبح لدينا ما نقوله ٠ وسنقوله بأعلى صوت ٠٠ وعلى مسمع من العالم كله ٠٠ » ٠

لاشك أن أي زنجي مثقف سيشعر بالسعادة والاطمئنان حين يرى أن المستقبل أمامه مفتوح على مصراعيه ، وأن سبل التطور والتقدم لم تغلق في وجهه وهذا مالكولم س ، أكثر شيوخ المسلمين السود حماسة يقول :

« سرعان ما يوصد الناس الأبواب في وجهك حين تقول إنك زنجي ٠٠ ذلك انك قد وقعت في المصيدة دون النظر الى الكفاءات التي تحملها ، حتى ولو كنت من خريجي جامعة هارفارد » ٠

وليس المسلمون وحدهم هم الذين يحملون هذه المشاعر ٠٠ فها هي الدكتورة حنه هيوجمان المساعدة الادارية لرئيس بلدية نيويورك « واجنر » تشكو مر الشكوى على شاشة التلفزيون وتقول :

« لا سبيل أمامك للنجاح إلا إذا كنت أبيض البشرة ، أزرق العينين ، أشقر الشعر ، ولست أدري لماذا أجد البيض منغلقين على أنفسهم بخصوص هذه المسألة ؟ » ٠

**الدعوة تستغل جميع الثغرات**

من مثل هذه المواقف يستطيع الباحث أن ينفذ إلى حركة المسلمين السود فقد انطلقت الدعوة لهذه الحركة مستغلة جميع الثغرات ونقاط الضعف في المجتمع الأمريكي منددة بالخطر الذي يتهدد الزنوج ، مذكرة اياهم بالظلم الاجتماعي الواقع على رؤوسهم وبذلك استطاعت أن تلف من حولها جماهير غفيرة من الزنوج ٠

إن أبرز ما يميز مشكلة التفرقة العنصرية في أيامنا هذه هو اتساع

أفق الزنجي الأمريكي من الحدود المحلية إلى الصعيد العالمي ·· لقد شهدت الحرب العالمية الثانية نهاية الاستعمار الغربي وأشارت إلى قرب تدهور فلسفته الاستعمارية التي سادت العلاقات الدولية قبل الحرب ، وأصبح التصميم على نيل الحرية والاستقلال لملايين الشعوب المستعمرة هو أبرز قضايا العصر الحاضر ·· فقد ألقى المندوب الفرنسي في هيئة الأمم المتحدة حين اعلان استقلال الكاميرون خطابا أشار فيه إلى أنه لا ضرورة لأن يأتي الاستقلال عن طريق العنف والثورة ، ويجب علينا نحن الدول الكبيرة الا ننتظر حدوث مثل هذا الأمر ·

**نهوض القارة السوداء وعلاقتها بالحركة**

ان سبع عشرة دولة افريقية نالت استقلالها بشكل سلمي عام ١٩٦٠ ومعنى ذلك ان القارة السوداء قد نهضت لتمثل مكانها على مسرح الأحداث في هذا العالم ، فتسلطت عليها الأضواء في كل مكان ، وقد صدق بعض المراقبين الذين اطلقوا اسم « عام افريقيا » على سنة ١٩٦٠ ·

ولاشك أن نهضة القارة الافريقية وتحررها كان عاملا حيويا في نفاذ صبر الزنوج الأمريكيين ، واستثارتهم لتغيير واقعهم المرير ·

وهناك شعور عام بين الزنوج في أمريكا بأن الشعوب الملونة في العالم تنتظر منهم أن يثبتوا أنهم مواطنون جديرون بالحياة ·· وعليهم أن يثبتوا رجولتهم ·· وهذا يخلق فيهم تصميما على أن يتخطوا الصفوف الخلفية ويحتلوا « الدرجة الأولى » مهما كان الثمن ·· والدرجة الأولى فى وسائل السفر الأمريكية تعني الحكم الذاتي السياسي ، والاجتماعي ، ودولة للسود في قلب أمريكا ، في مفهوم الزنوج ·

**الزعيم الأول للحركة**

في عام ١٩٣٠ وفي مدينة ديترويت ظهر لأول مرة في احيائها الزنجية المؤسس الأول لحركة المسلمين الزنوج ·

انه « مستر فاراد محمد » الذي أطلق على نفسه هذا الاسم

آحيانا ٠٠ ووصف نفسه بأنه :

« رسول العناية الربانيـة لايقاظ أبنـاء عمومتـه السود ، وتـوحيد طاقـاتهم إلى أقصى مـدى ٠٠ للتخلص من استعبـاد الرجـل الأزرق العينين ٠

وقد فزع الزنوج الأميون الذين استمعوا إليه من جرأته النادرة في مهاجمة البيض ، واستولت عليهم تلك الصفة فيه ، شأنهم شأن المائة ألف زنجي الذين عقدوا له ولاءهم فيما بعد ، أما هو فقد بصرهم بحدة المظالم الاجتماعية الواقعة عليهم ، فصارت نفوسهم أميل إلى القلق ، وصاروا ينشدون واقعا جديدا ٠

واستمر « فارد » في نشر تعاليمه ، وفي الهجوم على أخلاق الرجل الأبيض ٠٠ ثم مقارنة ذلك مع التاريخ المجيد للسود في آسيا وافريقيا ٠

وكثيرا ما كان يقول لهم : « ان أقوال الرجل الأبيض لا يجوز أن تقبل على علاتها كحقيقة مسلم بها ، وذلك لأن البيض لا يتكلمون الصدق ٠

وقد تطورت حركة « فارد » ونمت بشكل ملحـوظ خلال السنـوات الثلاث الأولى من نشاطه فتمكن صاحبها من التخلي عن النشاط العملي في القيادة لاتباعه القياديين ٠

وكان « فارد » قد بنى المسجد الأول وحدد أصول العبادة فيه كما أسس جامعة اسلامية تضم صفوفا ابتدائية وثانوية تكرس نشاطها في تدريس الرياضيات وعلم الفلك ، وأوجد صفوفا تدريبية للبنات المسلمات يتعلمن فيها أصول التدبير المنزلي ، وكيف تصبح الواحـدة منهن أما مثالية وزوجة صالحة ٠٠ وبالاضافة الى ما سبق ، انشأ « فارد » نوعا من التنظيم العسكري اطلق على المنتسبين اليه اسم « زهرة الاسلام » ردا على مضايقات الاعداء والشرطة والمناوئين للحركة ، ودرب أفرادها على استعمال السلاح ، كما عين مسؤولا لقيادة المنظمة يساعده في ذلك عدد من الدعاة « الشيوخ » الذين دربهم بنفسه ٠٠ وبعـد كل هـذه

الترتيبات انسل « فارد » مؤثرا الاختفاء ، وعدم الظهور أمام الجماهير ٠

**تطور الحركة**

كان اليجا « الحاج محمد » أحد القادة الأولين الذين اختارهم « فارد » وكان والده قد هاجر مصطحبا عائلته من جورجيا عام ١٩٢٠ ٠

وكرس الحاج محمد نفسه لخدمة « فارد » والحركة وأصبح موضع ثقة مطلقة عند « فارد » رغم معارضة بعض قادة الحركة الآخرين ٠٠ وحين ارتأى مؤسس الحركة أن يعين رئيسا لحركته كان محمد هو المرشح لهذا المنصب فتم تعيينه عام ١٩٣٤ ٠

وقد تطورت حركة المسلمين السود ، تحت قيادة « الحاج محمد » إذ منحهم المساجد والمدارس والبيوت والمخازن وتكاثر العدد وحل نظام صارم في صفوف حركة المسلمين الزنوج حتى بلغ عددهم مائة ألف زنجي ، كلهم ثقة واستعداد للتضحية في سبيل ما يطلب منهم وليس لدى أفراد هذه الحركة ما يسمى بصلاة الأحد ٠٠ فمساجدهم مفتوحة على الدوام ، وهم يعقدون فيها أكثر من اجتماع واحد في الاسبوع على الاقل ٠٠ وحينئذ يرى الناظر كتلة بشرية سوداء أكثرها من الطبقة الزنجية ذات الدخل المتدنى ، وتطلب الحركة من كل فرد منهم أن يعمل ، كما تأمر الجميع بالامتناع عن المقامرة والتدخين وعن شرب الخمر ، ولهذا فالجميع يتمتعون بصحة ٠٠ كما أصبح لديهم بعض الذي يمدون به حركتهم،على كل مسلم أن يتبرع بنسبة محدودة من دخله للحركة كل سنة ، وقد بلغت الثلث في عام ١٩٥٢ هذا بالاضافة الى تبرعات أخرى لاغراض محلية ٠

**قوة الحركة ونفوذها**

وتجدر الاشارة إلى أن قوة الحركة الاسلامية ونفوذها لا يأتيان من ازدياد العضوية ، وتضخم الموارد المالية فحسب ٠٠ وانما يعودان إلى

اتحاد كلمة هؤلاء الناس ، وتكتلهم في منـظمة متمـاسكة تحت قيـادة معينة ، فالمسلمون السود يصوتون كما يطلب منهم محمد ·· ويشترون من الأماكن التي يشير اليها ، مما يجعل تكتلهم هذا في بلد ما ·· يرجح الكفة في أي أمر من الأمور السياسية والاقتصادية ·

ويرى المؤلف أن القوة السياسية لهؤلاء الزنوج تنذر بشر خطير لم يحن وقته بعد ومع أن محمدا يصرح بأنه لن يلجأ إلى العنف غير أنه لن يدرى ما الذى سيحدث بعد عدة سنين !

**أغلبية أعضاء الحركة مسيحيون سابقون !**

ويقول المؤلف : من المعروف عن الزنوج انهم شعب متدين مذهبهم البرتستنتية ·· كان هذا في السابق ، أما حين انتشرت بينهم حـركة المسلمين الزنوج فقد منع الجمع بين الديانتين ·· ان معظم المنضمين الى الحركة من أصل بروتستنتي المذهب ·· وفيهم عدد لا بأس به قد هجر الكاثوليكية إلى الاسلام ·

ان الشعار الأساسي الذي يجذب الجماهير السود إلى حركة المسلمين الزنوج هو دعوتهم « العرقية » الواعية لوحـدة الزنوج ، ثم تعـاونهم لتحقيق أهدافهم ·

والهدف الرئيسي للحركة هو تكتيل قوى الزنوج وتوحيدها للتخلص من استعباد البيض ولربما هدفوا إلى أن يكـونوا هم الأسيـاد على البيض أيضا !!

وبـالرغم من أن المسلمين الزنـوج يضفون عـلى حـركتهم طابعـا دينيا ·· إلا أن الأهداف الدينية تأتي في الدرجة الثانية من الأهمية ، ذلك أنها ليست جزءا أساسيا من أهدافهم إلا حين تكون واسطة لتقوية مواقعهم ومعنويـات أتباعهم ، وتمتـين وحدة صفـوف الحركـة تحت شعارات معينة ·

ويسعى المسلمون السود لتحقيق الانفصال العنصري الكامل بين البيض والسـود ·· وهم مصممون عـلى الوصـول الى هـذا الهـدف

بالتدريج ٠٠ إذ يبدأون أول الأمر بالعلاقات الشخصية ، ثم يتبع ذلك العلاقات السياسية والاقتصادية وهم يقولون : ان الانفصال الكامل هو الذي سيحقق الانسجام في عالمنا ٠

ويرى المسلمون أن أولئك السود الذين يسعون وراء الاندماج مع البيض أغبياء مخدوعون إذ لن يقبل الرجل الأبيض بأي حال من الأحوال أن يشارك عبيده في الامتيازات والثروات ٠

إن المسلمين يرفضون الاختلاط مع البيض كما يعارضون الزواج المتبادل مع البيض بنفس القوة التي يعارضه بها انسان الجنوب الأبيض ولنفس الأسباب أيضا !

والمسلمون واثقون من تفوقهم العنصري ، ويعتقدون أن التزاوج مع البيض سيؤدي إلى اضعاف الأمة السوداء في أخلاقها وطبيعتها ، كما يجوز أن يؤدي إلى تخفيف السواد فيظل هذا أثرا ينطق بعصر العبودية الحالي بعد أن ينال السود حريتهم وسيادتهم ٠

وقد ظلت علاقات الحركة الاسلامية مع السياسيين الزنوج علاقات ودية ، بل كانت أفضل من أية علاقة لهم مع قادة الزنوج الآخرين ٠

ولم يتعرض أحد من قادة الزنوج السياسيين لهجمات المسلمين إلا رالف بانش مساعد سكرتير هيئة الأمم المتحدة ٠٠ فقد أطلقوا عليه اسم جورج واشنطن اسرائيل ٠٠ لأنه كان يحابي جانب اسرائيل في نزاعها مع العرب،ولكن هذا الموقف اعتبر انحيازا دبلوماسيا مرموقا أنال صاحبه جائزة نوبل بالرغم من سخط الأمة الاسلامية عليه ٠

## المجتمع الاسلامي الأمريكي

ويشير المؤلف إلى أن المسلمين السنيين في أمريكا مجمعون على عدم الاعتراف بالمسلمين السود ٠

ويشكل اتحاد الجمعيات الاسلامية المنظمة الرسمية للمسلمين في الولايات المتحدة وكندا ، غير أن المجتمع الزنجي الذي يقوده الحاج محمد لا ينتسب إلى ذلك الاتحاد ، ولا يعترف به ٠٠ ومع أن الحركة

تدير أكبر مدرسة لتدريس اللغة العربيــة ، وتتخذ من القــرآن الكريم أساسا لتعاليمها ، فان شيوخ الاتحاد لايزالون في شك من أمرها ٠

وهناك بعض شيوخ الاسلام الذين أصدروا نشرات يتبرأون فيها هم واتباعهم من حركة المسلمين السود ٠

مالكولم اكس ؟

من هو «مالكولم اكس» ؟

يقول عنه المؤلف : انه المنفذ المباشر لشؤون الحركة ٠٠ وهو أيضا مبعوثها إلى الأمم الاسلامية في آسيا وافريقيا ٠٠ كما أنه خطيبها المفوه والناطق باسمها علاوة على أنه المنظم الفذ الذي لا يكل له ساعد ٠٠ ويكاد يجزم أكثر المراقبين في الوقت الحاضر أن مالكولم سيكون خليفة محمد وانه سيرفع قدر المنصب والحركة بذكائه ودهائه ٠٠ أما مالكولم نفسه فهو يروى ان الحركة لم تحقق بعد قوتها ، أو تثبت بأسها ، لا من حيث هي حركة محلية ، ولا من حيث هي وحدة لمسلمي العالم !

لقد قام « مالكولم اكس » عام ١٩٥٩ برحلة الى مصر وبعض المناطق الاسلامية الأخرى في محاولة منه لأن يعرف مدى قبول حركة المسلمين السود في الخارج وقد استقبل استقبالا حارا وقلبيا كأخ مسلم ٠٠ وبعد تلك الرحلة قام هو واثنان من أبنائه برحلة عبر بلدان اسلامية متعددة وقد اعتبر الرجل قائدا فذا ، وسمح له بالقيام بالحج إلى مكة المكرمة حيث كتب إلى أتباعه في الولايات المتحدة قائلا :

« في الثالث والعشرين من كانون الأول عام ١٩٥٩ وصلت إلى جدة في المملكة العربية السعودية وكان من الضروري أن أذهب إلى مكة المكرمة وفي اليوم الثاني وضعت السلطات المسؤولة سيارة تحت تصرفي وولدي الاثنين لنقطع بها مسافة أربعين ميـلا ـ كذا ـ بعيـدا عن جدة حيث المدينة العتيقة التي هي مجد العالم الاسلامي ومجد الاسلام » ٠

وعند عودته إلى الولايات المتحدة وصف مالكولم رحلته الاســلامية

أمام ما يقرب من العشرة آلاف من الزنوج الذين تجمعوا ليصغوا إليه في لوس انجلس ·· وفي هذه الاثناء ، صرح مالكولم اكس في كل من بوسطن ونيويورك بأن مسألة المسلمين السنة « قضية مفروغ منها » لأن غير أهل السنة لا يستطيعون أن يزوروا مكة » ·

وبعد فهذه هى - في أقصر ما يمكن من ايجاز حركة المسلمين الزنوج في أمريكا ·

انها ليست أكثر من حركة جماعة من الناس قست عليهم ظروف من التحكم بغيضة بالغة العسف شاء هذا الذي يسمونه الرجل الأبيض أن يحيطهم بسياجها دون أي تفكير منه في أية لحظة من اللحظات أن لهؤلاء الناس نصيبهم المشروع من حقوق الانسان !

انها حركة قومية محضة أرادت أن تجعل من اسم الاسلام الذي أدركت انه خير دعاية لها وأقوى سناد ·· وسيلة لا أكثر ولا أقل ·· من أجل التجمع ·· أولا من ناحية ·· ثم من الناحية الأخرى : من أجل غاية بعيدة المدى لا تقل أهمية عن الأولى وهى أملها في أن تظفر من شعوب الاسلام بالعطف والتأييد ·



# الجُــزر الخضـرَاء "هندونيسيَا"

الأستاذ حبيب جَامـَاتي

موضوع كتاب اليوم هو تدوين انطباعات ومشاهدات لرحلة صحافية عابرة ، قام بها رحالة معاصر الى بلاد « هندوسيا » ٠

انه كتاب طريف ، لصحافي لامع مشهور تغنيه شهرته في العالم العربي كله ـ فيما يبدو ـ عن أي تنويه وتعريف ٠

انه كتاب للصحافي المؤرخ « حبيب جاماتي » نجد فيه « الصورة الأصيلة » لما اصطلح الباحثون ان يسموه « ادب الرحلات »

ويحدثنا الرحالة الصحافي الأديب حبيب جاماتي عن رحلته هذه الخاطفة ، فيقول فيما يقول :

« ٠٠ عدت من تلك الرحلة الصحافية ، وفي جعبتي ما فيها من مواد للكتابة ٠٠ ولكني تساءلت قبل أن أصمم على استخراج ما يصلح منها للتدوين والتسجيل بين دفتي كتاب : « أما حدث لك انت ما حدث لكثيرين من غيرك من حملة الأقلام ٠٠ الذين يزورون بلدا وكأنهم لم يزوروه ٠٠ فيمرون دون أن ينظروا ٠٠ أو ينظرون بدون أن يروا ٠٠ أو يرون دون أن يدركوا ٠٠ وينصتون دون أن يسمعوا ٠٠ أو يسمعون بدون أن يفهموا ٠٠؟»

ثم يقول الكاتب : غير اني اجبت نفسي قائلا : « لا ٠٠ ان مادونته وسجلته يكفي للتحدث الى القراء عن هندونيسيا ، وجزرها الخضراء

وشعبها الطيب الصبور المضياف ·· وجهادها الرائع لخلع نير العبودية ·· والمستقبل الزاهر الذي ينتظرها بين امم الأرض ··»ثم ، بكل تواضع ، ودون أى « زهو » أو « صلف » أو « ادعاء » يخاطب المؤلف قارئيه بهذه العبارات البسيطة الهادئة :« ليس هذا الكتاب سفرا ·· ادعي اني افرغت فيه كل ما يجب ان يعرف عن هندونيسيا وشعبها ، وانما هو فقط مجموعة خواطر وسوانح ومشاهدات ·· هي ثمرة تلك الرحلة الخاطفة ، وحصاد تلك الاقامة القصيرة »

ـ نموذج رصين من « أدب الرحلات » تتمثل فيه النظرة الحصيفة والصفاء النفسي ·· ولسنا في حاجة الى ان نزيد ·· فلنمض اذن ·· مع الرحالة الصحافي الأديب حبيب جاماتي في بعض صفحات من رحلته هذه الماتعة الى الجزر الخضراء « هندونيسيا »:

لها اكثر من اسم واحد ، هذه البلاد الجميلة ·· واسماؤها العديدة مستمدة من موقعها الجغرافي ، أو مناظرها الطبيعية ، أو حيادها السياسي ، أو المآرب الاستعمارية ·

سموها جزر الهند الشرقية ـ وجزر الهند الهولندية ـ جزر الهند النيدرلندية ـ وجزر السوند ـ واطلقوا احيانا اسم جاوي على الجزر كلها ـ وشملها في وقت من الأوقات اسم « ملايو » او « ماليزيا » ·

واسمها اليوم « اندونيسيا » او على الأصح « هندونيسيا » وهذه التسمية تعنى ان البلاد مؤلفة من مجموعة من الجزر وان الشعب الذي يسكنها يمت بالنسبة الى العنصر الهندي ·

هندونيسيا ·· تستحق ايضا ان نسميها « الجزر الخضراء »·· لأنه لايوجد في العالم كله جزر يكسو سطحها مثل هذا الثوب الأخضر الذي تتسربل به تلك المجموعة العجيبة من الجزر الكبيرة والصغيرة الآهلة بالسكان او الخالية منها المنطلقة في مضمار الرقي او الباقية في جمودها الى حين ·

غابات ومروج ورياض وحدائق ، بعضها ساهمت يد الانسان في تنسيقه واستثماره ·· وبعضها لايزال ·· يرتع فيه الطير والحيوان من كل فصيلة ونوع ·

وعدد الجزر التي يضمها اسم « هندونيسيا » والتي تمتاز بثوبها الأخضر نحو ثلاثة آلاف جزيرة او اكثر ، لايخرج بعضها عن كونه رزمة كبيرة من الأشجار نافرة من جوف البحر وطافية على سطحه ·

## ماهي هندونيسيا

لو نقلت جزر هندونيسيا ـ وعددها ثلاثة آلاف أو اكثر ـ من المكان الذي تمتد فيه الى المكان الذي تشغله القارة الأوروبية ، لغطت هذا المكان · ولامتدت طولا من اسكانديناڤيا الى مصر ، او من انكلترا الى ايران ·

ـ طول الجزر الهندونيسية من الشرق الى الغرب نحو خمسة آلاف كيلو متر !

وقد أعاد الهندونيسيون الى جزرهم اسماءها الأصلية بعد ان ظلت مئات السنين تعرف بالاسماء التي اطلقها عليها الهولنديون :

فجاوي تلفظ الآن « دجاوي »

وسومطرة تلفظ في الواقع « سوماطرا »

وبرنيو اسمها اليوم « كاليمانتان »

وسيليبس اسمها « سولاويسي »

وغينيا الجديدة اسمها « ايريان »

واهم الجزر على الاطلاق « جاوي » وفيها مدينة « جاكرتا » عاصمة الجمهورية الهندونيسية وجاوي من اجمل الجزر في العالم ، مكسوة بالخضرة كغيرها فيها سهول وجبال ووديان خصبة انهارها كثيرة تخترقها من جميع الجهات ·

ولهندونيسيا مركز ممتاز من الناحية الاستراتيجية والجغرافية

والاقتصادية لوقوعها بين محيطين وبين قارتين : المحيط الهادي من الشمال والشرق ·· والميحط الهندي من الجنوب والغرب ، وقارة آسيا من الشمال ، وقارة اوستراليا من الجنوب ·

حرص المستعمرون دائما على اقامة الحواجز بين سكان الجزر الهندونيسية ليحولوا دون اختلاطهم وتقاربهم وتوحيد صفوفهم ، ولكن الذي اراد المستعمرون منعه قد وقع اخيرا واصبح حقيقة واضحة ·

كان الهندونيسيون يدينون بالبوذية قبل ان يصل اليها العرب والأوربيون · اما الآن فان الاكثرية من السكان مسلمون ( نحو ٩٠ بالمئة ) والباقي مسيحيون وفي بعض الجزر خصوصا جزيرة « بالي » جماعات من البوذيين ·

وسكان هندونيسيا خليط من جنسيات عديدة ـ للجنس الهندي فيها النصيب الأوفر · وكثر في البلاد المولدون بالتزاوج بين تلك الأجناس · والدم العربي يجري في عروق السكان في جاوي وسومطرة وغيرهما من الجزر · وقد ترك الأوروبيون ايضا وعلى الخصوص الهولنديون أثرا في البلاد · وفي وقت من الأوقات كان التزاوج بين الغزاة الهولنديين واهل البلاد قد اتسع اتساعا كبيرا ·

## معركة الاستقلال

ظلت الثورات متواصلة متلاحقة في جزر الهند الشرقية ·· طوال قرن ونصف قرن ·· ففي باديء الأمر كانت الحركة الوطنية تتخذ شكل مقاومة سلبية وأحيانا ايجابية · ثم اتخذت شكل ثورات مسلحة ولكنها محلية لاتتعدى نطاق جزيرة واحدة ·· أو جزء من جزيرة ، واخيرا في الثلث الأول من القرن العشرين دخلت الحركة الوطنية الهندونيسية في طور التنظيم وهو الذي أدى الى تكتل الجهود وعقد الخناصر وتوحيد الكلمة فأسفر ذلك كله في النهاية عن كسب المعركة ، معركة الحرية ، أي عن فوز هندونيسيا باستقلالها وضم اقاليمها في جمهورية واحدة ، في

مستهل القرن العشرين ـ القرن الحالي ـ وهو الذي امتاز بهبة الشرق كله هبة واحدة نحو النور والحرية ـ تبلورت آراء المفكرين في هندونيسيا ، واتجهت ميولهم الى تنظيم الحركة الوطنية وتوجيهها التوجيه الصحيح الذي يضمن لها الفوز ومن حسن حظ هندونيسيا ان فريقا من ابنائها الابرار كانوا قد اتصلوا بالعالم الخارجي من ناحية ، واتصلوا من ناحية اخري ، بعضهم ببعض في اجزاء البلاد المتباعدة ، ومهدوا للعمل الخطير الذي كانت فكرته تختمر في رؤوسهم فلما ارادوا ان يضعوا تلك الفكرة في موضع التنفيذ كانت الطريقة ممهدة ، والتربة صالحة ٠٠

وبدأ تأسيس الجمعيات والهيئات،بعضها لعب دورا شاملا ، وبعضها لعب دورا محدودا ٠

ويمكن القول بأن الهندونيسيين مثل غيرهم من شعوب العالم التي ضاعت حريتها ، قد رحبوا بنشوب الحرب العالمية في سنة ١٩٣٩ على امل ان تكون حاملة معها في طيات ثوبها الدامي عوامل الحرية والخلاص ٠

وكان هذا الشعور في محله فلولا الحرب العالمية الأخيرة لما استقلت هندونيسيا ، او على الاقل لما تم لها الحصول على الاستقلال بهذه السرعة ٠

وبات الهندونيسيون يرقبون الفرص ، حتى اتيحت لهم فاغتنموها ٠

وفي سنة ١٩٤٢ هاجم اليابانيون ، حلفاء الألمان ، الجزر الهندونيسية للاستيلاء عليها وطرد الهولنديين منها ، وتم لهم ما أرادوه بسرعة خاطفة ، فسيطروا على جزر الهند الشرقية سيطرة تامة في مدة وجيزة وادرك الغزاة الفاتحون ان اهل البلاد يكرهون الهولنديين ، وان هؤلاء المستعمرين كانوا يسيئون التصرف في جميع الميادين فحاولوا استغلال ذلك لمصلحتهم وتظاهروا بانهم يغارون على مصلحة الهندونيسيين وانهم لايريدون لهم غير كل خير ٠

ورأوا ان الشعب الهندونيسي يعطف على زعمائه الوّطنيين الذين كان الهولنديون قد نفوهم الى جزر نائية أو القوا بهم في السجون والمعتقلات فصدرت الأوامر في الحال باطلاق سراح المعتقلين والمسجونين واعادة المنفيين الى ديارهم وذويهم،ولما تم هذا تركت الحرية لاولئك الزعماء بان يغذوا الروح الوطنية في النفوس ، ويستأنفوا نشاطهم السياسي في سبيل استقلال بلادهم ·· بل ان اليابانيين سمحوا لهم باستخدام السلاح والتمرين على الأعمال العسكرية وكانـوا يشرفـون بانفسهم عـلى ذلك واملهم طبعا ان يكتسبوا ود الهندونيسيين وولاءهم لكي يعملوا معهم جنبا الى جنب في تحقيق المشروعات الواسعة التي كانت اليابان تباشر تنفيذها للسيطرة على الشرق كله ·

وهكذا خدم الاحتلال الياباني الحركة الوطنية الهندونيسية من حيث اراد المسؤولون اليابانيون ان يخدموا سياسة بلادهم القائمة على الفتح والغزو والتوسع ·

ثلاثة أعوام ونصف ·· قضاها الهندونيسيون تحت الحكم الياباني فاستغلوها احسن استغلال لمصلحة وطنهم فقد تسلحوا وتمرنوا على القتال ، وانكبوا على الدرس والتحصيل ، وابتكروا الوسائـل المنوعـة لتوفير ما كان ينقصهم من مستلزمات المعيشة وضرورياتها ·

واشتد الأمل في النفوس وعادت اليها الثقة وتشاور الوطنيون فيما بينهم فقرروا الاقدام على عمل مفاجيء يضعون به اليابانيين الممثلين امام الأمر الواقع ·

كان اليابانيون يقـولون للهندونيسيـين انهم ما جـاءوا الى بلادهم ليحتلوها احتلالا دائما بل ليطردوا منها الهولنديين ويعطوها استقلالها فيما بعد ·

فأراد الهندونيسيـون ان يكون هـذا القول صحيحـا سواء أكـان اليابانيون جادين فيه ام مازحين مخادعين ··

قرر الهندونيسيون ان يعلنوا استقلال بلادهم بأنفسهم ٠٠ دون ان ينتظروا اذنا من اليابانيين بأن يفعلوا ذلك ٠

واعلنوا الاستقلال ٠٠

حاول اليابانيون ان يمنعوهم بعد ان ادركوا الحقائق ، وتبينت لهم الوقائع ، ولكنهم اخفقوا !

كان الهندونيسيون على استعداد لفرض ارادتهم ولمقاومة كل حركة للحيلولة دون تحقيق هدفهم ، وللقتال اذا لزم الأمر في سبيل الاستقلال !

وشهدت الجزر الهندونيسية في سنة ١٩٤٥ حوادث تعد من اعجب الحوادث من نوعها ٠

وتم النصر لهندونيسيا المجاهدة ٠

## العرب في هندونيسيا

دخل الاسلام هندونيسيا مع التجار العرب الذين وفدوا عليها من الجزيرة العربية ٠٠ ومعظم اولئك التجار من حضرموت وعدن والأغلبية من ابناء الجاليات العربية المنتشرة في جزر الهند الشرقية أو المنحدرين من اصل عربي جاؤوا ، أو جاء آباؤهم من حضرموت ٠

هاجر العرب من جنوب الجزيرة اول ماهاجروا الى جزيرتي سومطرا ، وجاوي واسسوا فيهما جاليات تكاثرت وازدهرت وسيطرت على التجارة بين جزر الهند الشرقية وسواحل الهند وبلاد العرب وايران وافريقيا الشرقية وامتد نشاطهم وتشعب الى مختلف الميادين ومراحل الحياة ٠

وأصاب العرب المهاجرون الى هندونيسيا نجاحا كبيرا ، واحرزوا ثروات ضخمة جعلت منهم في وقت من الأوقات أغنى اغنياء البلاد على الاطلاق وانتقلوا مع الوقت من سومطرة وجاوي الى الجزر الاخرى وانشأوا فيها المتاجر ومراكز المقايضة والمبادلة على منتجات البلاد وكانت سفنهم تجوب البحار في كل الجهات وبهم اتصل المغامرون

الغربيون الذين انـطلقوا عـلى امواج المحيـط لكشف الهند عن طريق الرجاء الصالح من القرن السادس عشر ٠

ولكن هذا الازدهار لم يدم حتى ايامنا هذه فقد ضعف شأن ابناء الجاليات العربية في جزر الهند الشرقية وتلاشت سيطرتهم على التجارة وفقـدوا الكثير من « تلك الثـروات الطائلة ٠٠ واسباب ذلك عـديـدة منوعة ٠٠

ولايعرف بالتحديد عدد العنصر العربي في جزر الهند الشرقية بسبب اندماج كثير من العرب بالأسر الهندونيسية الاصيلة ولكن ذلك العدد لايقل في نظر العارفين عن ثلاثمائة الف او اكثر فالعرب اذا حسبناهم جالية قائمة بذاتها يجيئون في هندونيسيا بعد الجالية الصينية وهي اكبر الجاليات الأجنبية وعددها ثلاثة ملايين او اكثر ٠

ولكن العرب في هندونيسيا لايحسبون انفسهم جالية مستقلة ، بل جـزءا من الأمة الهنـدونيسية التي تتـوحد الآن عنـاصرهـا في عهد الاستقلال والسيادة ٠

- وكثيرون من ذوي المراكز المرموقة والمناصب العالية من اصل عربي ٠

- ولكن اللغة العربية اضملحت في هندونيسيا أو اوشكت أن تضحمل منذ ارتفع نجم اللغة الهندونيسية الوطنية واصبحت صالحة للتخاطب والكتابة على السواء ٠

- ولاتوجد في هندونيسيا مكتبـة يمكن أن نسميها « مكتبـة عربيـة » والكتب التي تصـدر في الشـرق العـربي لايصـل منهـا الى اسـواق هندونيسيا غير كميات تافهة تعد على اصابع اليد اذا استثنينا ما يباع فيها من المصاحف وبعض كتب الدين العربية ٠

**العاصمة الهندونيسية**

اسمها اليوم « جاكرتـا » وقد استـرجعته بعـد اعلان الاستقـلال واعلان الاسم الذي كان يطلقه عليها الهولنديون « باتافيا »

عدد سكانها يزداد بسرعة كانت عاصمة جزر الهند الشرقية وبقيت

عاصمة الجمهورية الهندونيسية المستقلة منذ سنة ١٩٤٥ ·

« المسلمون العرب هم الذين اطلقوا عليها اسم « جاكرتا » الذي عرفت به مدة طويلة الى أنْ جاء الهولنديون فاتحين ·

**باندونج باريس الشرق**

يقول الهندونيسيون ـ وعلى الأخص سكان جاكرتا وباندونج ـ ان مدينة باندونج « باريس الشرق » ويسميها الناس بلغتهم الشعرية « زهرة العسل » وهي جديرة حقا بكل اسم ينطوي على معنى الجمال والذوق والروعة ·

باندونج اسم لمدينة ·· ولاقليم ·· والمدينة عاصمة الاقليم ، بل هي عاصمة جاوي القريبة باعتبار ان جاكرتا نفسها عاصمة الجمهورية كلها ، لاعاصمة اقليم معين ، او جهة محدودة ·

في هذه المدينة عقد المؤتمر الآسيوي الأفريقي سنة ١٩٥٥ وفي تلك المناسبة عرضت هندونيسيا على انظار ضيوفها أروع ما عند شعبها من نشاط ولطف وفن واناقة وظرف ·

سجلت هندونيسيا لنفسها فخرا خالدا في تاريخ الشرق بل في تاريخ العالم بأسره عندما دعت الدول الآسيوية والأفريقية الى عقد مؤتمر عام للتشاور والتفاهم ووضعت مدينة باندونج الجميلة تحت تصرف المؤتمرين ليجتمعوا فيها ··

لم يحدث منذ قيام الأمم المتحدة بعد اجتماعات ليك ساكس أن التقى في مكان واحد مندوبون يمثلون نصف سكان العالم او اكثر كما حدث في مدينة باندونج في أواخر شهر ابريل سنة ١٩٥٥ ·· في باندونج ربح الحق المعركة وخسرها الباطل ·

وبعد باندونج لم تعد قرارات هيئة الأمم وحدها هي القابلة للتنفيذ في ميدان السياسة الدولية ·· بل اصبحت هناك قرارات جديدة اتخذتها ٢٩ دولة من دول آسيا وافريقيا وارتبطت بها وتعهدت بالعمل لتنفيذها ·

ـ في باندونج القى الشرق المسالم درسا على الغرب المشاغب ·· وبقي

على الشرق أن يعمل لتنفيذ قراراته ففيها القدرة على تحويل مجرى السياسة العالمية بجملتها وتفصيلها ·

**الصحافة هناك**

لايمكن القول بأنه كان لهندونيسيا صحافة وطنية في عهد الحكم الهولندي الرهيب ·· فالصحف كانت قليلة العدد ·· محدودة الصفحات ·· ضعيفة الايراد ·· ضيقة الانتشار ·· مرهقة بالنفقات والضغط والرقابة الصارمة ·· ثم دقت ساعة الخلاص والتحرر ·· هبط اليابانيون في هندونيسيا فاغدقوا الاعانات على الصحف الوطنية وعطلوا الصحف الهولندية ولكنهم فعلوا ذلك لاحبا بالهندونيسيين ولا رغبة منهم في اطلاق الحرية للصحافة والنهوض بها بل ارادوا بما فعلوه ان يستغلوا الصحف المحلية كأبواق للدعاية لهم ··

كان لهم ما أرادوا ·· ولكن الصحافة الهندونيسية جنت بعض الفوائد من جراء هذه السياسة التي سار عليها اليابانيون فقد تحسنت بفضل توفير المال طرق الطباعة وأسلوب الكتابة واتسع نطاق التوزيع ، واحتلت اللغة الهندونيسية لغة البلاد والسكان المكانة الأولى ·· بعد ان كانت اللغة الهولندية هي التي تحتل تلك المكانة ·· بل ان اليابانيين حرموا اللغة الهولندية وشجعوا اللغة الهندونيسية على حسابها فخدموا بهذا الصحافة واللغة والكتابة والتعليم · وفتحوا امام حملة الاقلام آفاقا جديدة زادت اتساعا لما رحل الحكام الأجانب جميعهم وبقيت البلاد لأهلها ·

**ثروة هندونيسيا في ارضها**

ثروة هندونيسيا في ارضها : في جوف هذه الأرض بما يحويه من معادن وعلى سطح الأرض بما ينبت عليه من زرع ·

وينابيع البترول غنية جدا ، وفي هندونيسيا صناعات محلية عديدة ·

لكن الهولنديين بعد انتهاء حكمهم تفننوا في قتل الاقتصاد الهندونيسي لكي يظل الهندونيسيون في حاجة اليهم ·

- كانوا يحتكرون كل شيء فأرادوا أن يمنعوا الهندونيسيين من احتكار اي شيء في وطنهم ·
- ثروة هندونيسيا لايمكن تقديرها واذا اتسعت العلاقات التجارية بين الجزر الخضراء بعضها مع بعض ·· وبينها وبين العالم الخارجي فان تلك الثروة بعد استثمارها ستجعل من الجزر المحظوظة جنة اقتصادية كما هي جنة طبيعية ·

## كشكول هندونيسي

- فيما يلي حفنة من الخواطر والملاحظات ، تتم الفائدة من هذه اللمحة السريعة عن الجزر الخضراء :
- لايوجد تاريخ لهندونيسيا باللغة العربية ·· وهذه ثغرة يجب سدها ·
- اجور البيوت في جاكرتا رخيصة ·· وعرفت صديقا يسكن في « فيلا » بالضواحي حولها حديقة غناء ·· بايجار قدره ٥٤ روبية في الشهر أي مايوازي ١٥٠ قرشا مصريا ·
- أسعار البيوت رخيصة ايضا فكثيرون من الأوروبيين يبيعون منازلهم واملاكهم العقارية ويؤثرون حياة الفنادق ·
- الكهرباء منتشرة في المدن وفي كثير من القرى ، حتى الصغيرة منها ، وسعر التيار الكهربائي رخيص مثل الايجار ·
- ذهب الهولنديون كحكام ، ولكنهم بقوا كتجار ·
- البائعون المتجولون يمتازون بنظافتهم بالرغم من ثيابهم المهلهلة احيانا ، وهم يحملون سلعهم في سلال مصنوعة من الخوص ·
- لم يقع نظري إلا على عدد لايذكر من المتسولين في شوارع باندونج وجاكرتا ·
- سألت عن الأجور فقيل لي ان الخادم يتقاضى في اليوم ٤ روبيات ، وعامل البناء من ١٥ - ٢٠ روبية والنجار مثله ، والسواق من ٤٥٠ - ٦٠٠ روبية في الشهر واجرة التاكسي رخيصة جدا ويمكن المقارنة بين هذه الأجور ومثلها في البلدان الاخرى اذا حسبنا ان الجنيه المصري

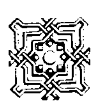
كان يصرف في البنك بثلاثين روبية ، وفي السوق الحرة بما لايقل عن سبعين ٠

- سألت اذا كان يوجد في هندونيسيا ترجمة للقرآن باللغة الهندونيسية فقيل لي : « لا »

- اهم مدن هندونيسيا : في جزيرة جاوي : جاكرتا - باندونج - سمارانج - جوكجاكرتا - سوارابا - وفي جزيرة سومطرة - بادانج - سابانج - كوتاراجا - ميدان - وفي جزيرة كاليمنتان : بابان - بالبك - بانجار - ماسين - وفي جزيرة سولاويسي : ماكاسار - وفي ايريان الغربية : مانوكواري - سوورونج - فاكفاك -

- كلمة التحية في هندونيسيا « مرديكا »

ومعناها الحرية وهذا دليل على أن الهندونيسيين يقدسون الحرية التي اشتروها بالدموع والدماء ٠



# نحن والحضارة الغربية

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

مشكلة الحضارة الاوربية كما هو واقعها الملموس ، هي أولا وقبل كل شيء ، ارخاؤها العنان لنفسها ، انفلاتها من كل القيود ٠٠ ثورتها العارمة على الدين ٠٠ منذ أن تفاقم طغيان الكنيسة في اوربا ، ووصل الى اقصى مداه ٠٠ فكان ما كان من زوال نفوذها ، وكان ما كان بالتالي ـ من اقصاء الدين عن حياة المجتمعات الاوربية بصورة عامة ، الى آخر ما هنالك ٠٠ مما لا يجهله أحد ٠٠

هي ـ اذن ـ حضارة بلادين ، وبطبيعة الحال وبحكم التبعية : بلا أخلاق ايضا ٠٠ فما الذي بقي لها بعد كل هذا التحرر ، أو بعد كل هذا الانفلات ؟!

نعم ٠٠ لقد بقيت « حضارة علم » ٠٠ ولكنه علم مجرد من كل قيمة ٠٠ علم أساسه مادي ٠ وهدفه مادي ٠٠ لا يؤمن بغير الحس ٠٠ أما ما وراء الحس مما لا تراه عين ، أو تلمسه يد ، أما سائر الأكوان المغيبة عنا ٠٠ أما صانعها ومبدعها ٠٠ مالك الملك « الله جل جلاله » فكل ذلك من وجهة نظر حضارة الغرب ، ليس له أي اعتبار ، ولا يظفر بأي قبول !

وكان لابد أن يكون لهذا « التحرر » أو « هذا الانفلات » رد فعل ٠٠ قاس ، عنيف ٠

صراعات وازمات في كل مكان ·· خلافات من كل نوع ·· ضياع وتمزق ويأس وفوضى اخلاقية وجنسية لم يسبق لها مثيل ·

كل هذا هو واقع الحضارة الغربية اليوم !

ولسوء الحظ كانت « الغلبة » في هذا العصر من نصيب هذه الحضارة ·· وكان غزوها السياسي والثقافي للعالم « أمرا » أشاع الخنوع والخضوع ·· وإلى جانب الخنوع والخضوع ·· البلبلة والاضطراب ··

الغرب ـ اذن ـ وهو صاحب هذه الحضارة ، أصبح هو « الغالب » ونفوذه هو السائد ولما كان المغلوب مولعا دائما بتقليد « الغالب » كما يقول « ابن خلدون » أصبح شعار الجميع أن يلهثوا وراء هذا الغرب ·· سائرين على نهجه بكل ما فيه من أشواك ·· مقبلين على حضارته بخيرها وشرها ·· ودون أي تحفظ ، ودون أية حدود !

ولم ينج العالم الاسلامي من هذه اللوثة ·· وانى له أن ينجو منها ، وهو جزء من شعوب كثيرة « مغلوبة » كما سيطر الاستعمار بنوعيه ·· على اكثر انحائه المتباعدة ·· وانتهى به امره مع هذا الاستعمار ·· الى « تبعية فكرية » شائنة ·· يشكو منها الى اليوم ، أهل العلم من قادة الفكر والرأى في سائر اقطار المسلمين ·

* * *

وفي اسلوب تحليلي مستفيض ، وفكر نير ، وسعة أفق ·· يتناول هذا الموضوع الاستاذ أبوالأعلى المودودي زعيم الجماعة الاسلامية في باكستان ، والداعية المفكر المعروف ··

في كتابه « نحن والحضارة الغربية » يتحدث حديث عالم ، درس هذه الحضارة وعرف داءها ·· وأدرك مواطن ضعفها ، ووضع النقاط على الحروف ـ كما يقولون ـ بالنسبة لموقفنا منها نحن كمسلمين ·· ثم اية حضارة يجب أن نحتذى ·· وفي أي طريق ينبغي أن نسير ؟

نعم ·· لا مانع من أن نأخذ من حضارة الغرب كل ما هو مفيد :

العلم ·· الصناعة ·· التقنية ·· التنظيم ·· اسلوب العمل ·· طريقة التفكير ·

لا مانع من أن نستفيد من كل ما احدثته من اختراع ، ومن كل وسائل « القوة » لديها ·· حتى يمكنا أن نخلص من تبعيتها أولا ·· وثم نقف الى جانبها موقف الند مع الند ·· وليس هذا محالا متى حافظنا على مقوماتنا ، وتمسكنا بعقيدتنا واثرنا أن نكون مسلمين بالفعل وأن تكون حضارتنا « اسلامية » الطابع ، اسلامية المنزع ·· اسلامية الروح ·

الاصالة ، لا التبعية ·· يجب أن تكون « ميسم » حضارتنا اليوم ·· وليس كالاسلام دين عالمي خالد ، قامت على أساسه أنبل وأكرم حضارة عرفها العالم ·

***

ولنمض مع الاستاذ المودودي في كتابه ·· ولنستمع اليه يتحدث في أول فصول الكتاب عن « عبوديتنا الفكرية وأسبابها فيقول :

« ان الحكم والسيادة ، والغلبة والاستيلاء نوعان : احدهما الغلبة المعنوية والخلقية ·· والآخر المادية والسياسية ، فأما الغلبة من النوع الأول فهي أن تتقدم أمة من حيث قواها الفكرية والعلمية تقدما يجعل سائر الأمم تؤمن بأفكارها ، فتغلب نظرتها على الاذهان ، وتستولى منازعها ومعتقداتها على المشاعر ، وتنطبع بطابعها التعليمات ·· فتكون « الحضارة » حضارتها و « العلوم » علومها و « التحقيق » ما تقوم به ·· و « الحق ما هو عندها » حق ، و « الباطل » ما تحكم هي عليه أنه باطل ·

وأما الغلبة من النوع الآخر فهي ان تصبح امة من شدة الصولة والبأس باعتبار القوى المادية بحيث تعود الأمم الاخرى لا تستطيع أن تحتفظ باستقلالها السياسي ازاءها ·· فتستبد هذه بجميع وسائل

الثروة عند تلك الأمم ، وتسيطر على تدبير شؤونها كاملة ، أو الى حد ما ·· وكذلك الهزيمة والخنوع نوعان : احدهما الهزيمة الفكرية ، والآخر السياسية ··

وهذان النوعان من الغلبة والاستيلاء ينفصل بعضهما عن بعض ·· فلا يلزم أن توجه الغلبة المعنوية حيثما كانت الغلبة السياسية ·· كما لا يلزم أن تكون الغلبة المادية مصحوبة بالغلبة المعنوية في كل حال ··

***

على أن القانون الطبيعي هو أن كل أمة تستعمل ما آتاها الله من قوى الفكر والعقل ، وتمضي قدما في طريق البحث والتحقيق والاكتشاف تتمتع الى جانب رقيها الفكري بالرقى المادي أيضا ، وكل أمة تتقاعد عن السباق في حلبة التفكير والتعمق في العلم تصاب مع انحطاطها العقلي ·· بالتقهقر والاضمحلال المادي كذلك ·· ثم انه لما كانت الغلبة نتيجة القوة ·· والهزيمة نتيجة الضعف ·· فان الأمم المتخلفة من الجهتين المعنوية والمادية كلما هبطت في دركات الضعف والفتور ·· تكون اصلح للعبودية ·· وأكثر استعدادا للخنوع ، وتصبح الأمم القوية بالاعتبارين المادي والمعنوي حاكمة على عقولها واجسامها معا ·

والمسلمون اليوم يعانون هذه العبودية المضاعفة ·· فمن أوطانهم ما توجد فيه العبودية بنوعيها جميعا ·· ومنها ما يقل فيه جانب العبودية السياسية ·· ويرجح جانب العبودية المعنوية ··

ومن سوء الحظ أنه ليست لهم على ظهر الأرض رقعة اسلامية واحدة مستقلة تمام الاستقلال من الوجهتين السياسية والمعنوية ·· وأما البلاد التي قد حصلت لهم فيها الحرية والاستقلال السياسي فهي ليست متحررة من ربقة العبودية الفكرية ··

فها هي ذي مدارسهم ومكاتبهم ، وبيوتهم وأسواقهم ومجتمعهم ، وحتى أجسامهم وأشخاصهم تشهد كلها بأنه قد استولت عليهم حضارة الغرب ·· وامتلكت نفوسهم علومه وآدابه وافكاره ·· فهم لا يفكرون

إلا بعقـول غربيـة ·· ولا يسلكون إلا الطرق التي قـد مهـدهـا لهم الغرب ··

وقد رسخ في نفوسهم ـ سواء أشعروا به أو لم يشعروا ـ أن الحق هو ما عند أهل الغرب حق ·· والباطل ما يعدونه هم باطلا ·· ان المقياس الصحيح للحق والصدق والآداب والاخلاق والانسانية والتهذيب هـو الذي قرره الغرب لكل ذلك ·· فيقيسون بهذا المقياس ما بأيديهم من العقيدة والايمان ، ويختبرون ما عندهم من الافكار والتصورات والمدنية والتهذيب والاخلاق والآداب ··

فكل ما يطابق منها ذلك المقياس يطمئنون إلى صدقـه ، ويفتخرون بمجيىء أمر من أمورهم موافقا للمعيار الاوربي ·

وأما ما لا يطابقه منها فيظنونه خطأ وباطلا

· شعروا بذلك أم لم يشعروا ثم يأتي المتعسف منهم فيتبرأ منه ويرفضه علنا ·· ويقف المقتصد منهم باخعا نفسه عليه ، أو يعود يعالجه جذبا ومدا حتى ينطبق على المعيار الغربي بوجه من الوجوه ·

**الأمم المريضة في العصر الحديث**

وفي فصل بهذا العنوان يقول المؤلف :

« سواء هذا الشرق أو الغرب ، وهذه الأمة المسلمة أو غيرهـا من الأمم ، فقد حلت بها جميعا نكبة واحدة ·· هي أنه قد استولت عليها حضارة نشأت في احضان الماديـة الخالصـة ·· هذه الحضـارة قد أسست حكمتها النظرية والعلمية على قواعـد خاطئـة ·· وقد جـرت فلسفتها وعلومها وأخلاقها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها ، وبالجملة كل ما يتصل بهـا ·· قد جـرى كل ذلك من نقـطة انطلاق منحرفة ·· وظل يخطو ويرتقى في وجهة غير صحيحة ·· حتى انتهى الى مرحلة نرى نهاية هذه الحضارة ـ وهى الهلاك قريبا ··

هذه الحضارة انبعثت في امة لم تكن تملك في الحقيقة نبعا صافيا طيبا من الحكمة الالهية ·· ولاشك أنه كان بينها زعماء دينيون ولكن لم تكن

بيدهم الحكمة ولا كان عندهم العلم ولا القانون الالهى ٠٠

اقصى ما كانوا يملكون هو « نظرية دينية مخطئة » لم تكن لترشد النوع البشري الى السبيل السوى من سبل الفكر والعمل مهما شاء اصحابها أن تفعل ٠٠

كل ما كان لهذه النظرية أن تفعل هو أن تحول دون رقى العلم والحكمة ففعلت وكان من نتيجة هذه الحيلولة والمنع أن ثار على الدين من كانوا يريدون الرقى ٠٠ فنحوه من طريقهم ٠٠ ومضوا في سبيل آخر ٠٠ لم يكن دليلهم فيه الا المشاهدة والتجربة والقياس والاستقرار وغدت هذه الدلائل المرشدة التي هي بنفسها تفتقر الى الهدى والنور عمدتهم وسندهم في كل أمر ٠٠ وفي ضوئها اجتهد القوم كثيرا في ميادين الفكر والنظر والبحث والاكتشاف والتعمير والنظم ٠٠ ولكنهم انطلقوا من نقطة خاطئة في كل ميدان ٠٠

واتجه رقيهم كله الى هدف غير صحيح ٠٠

انهم انطلقوا من نقطة الالحاد والمادية فرأوا هذا الكون من حيث انه لا خالق له ٠٠ ولا إله ٠٠ ونظروا الى الأنفس والآفاق زاعمين أن الحقيقة كلها منحصرة فيما يحسه المرء أو يشاهده ٠٠ وانه لا شيء من وراء هذا الظاهر المرئي ، ودرسوا قانون الفطرة وفهموه بوسائل التجربة والقياس ٠٠ ولكنهم لم يتمكنوا من ان يصلوا من هذا الطريق الى واضع ذلك القانون ٠٠

ووجدوا الموجودات مستعدة لهم فراحوا يستخدمونها ، ولكنه لم يقع في اذهانهم انهم ليسوا مالكين لتلك الأشياء ولا حاكمين عليها ٠٠ بل هم خلفاء عليها للمالك الحقيقي ٠٠

هذه الغفلة والجهل جردتهم من التصور الأساسي للمسؤولية وترتب على ذلك أن اعوج أساس حضارتهم وتمدنهم ومال عن الاستقامة ٠٠ فأمسوا يعبدون ذواتهم بدل الذات الالهية ٠

موجز القول ان هناك سلسلة من الفساد لا تنتهي ·· قد أصبحت تخرج من شجرة الحضارة والتمدن هذه ·· وقد جعلت الحياة الغربية جرحا داميا من المصائب والآلام ··

يقول المؤلف : وهذا هو الأوان الذي يجب ان يعرض على أمم الغرب كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ·· ويبين لهم أن هذا هو المطلوب الذي تتوق اليه أرواحكم وتضطرب للبحث عنه ·· وهذا هو العصير الشافي الذي انتم متعطشون اليه ·· فستجدون الحكمة ، وستجدون نقطة انطلاق صحيحة للفكر والنظر ·· وستجدون العلم الذي يشكل السلوك الانساني على احسن طراز ، وستجدون الروحانية التي هي مصدر الطمأنينة والهدوء ·· الى أن يقول : وستجدون المبادىء الصحيحة للحضارة والتمدن ·

المبادىء التي تمحو الامتيازات الكاذبة بين الطبقات وتبطل الفروق المزيفة بين الأمم ·

***

هذا بالنسبة لأمم الغرب ··

وأما الأمم المسلمة فتختلف حالها عن حال الأمم الغربية ·· فالمرض عندها غير المرض ·· وأسباب المرض ايضا مختلفة ·· إلا أن علاج مرضها هو العلاج الموصوف لأمم الغرب ·· وهو الرجوع الى ذلك المعلم وتلك الهداية ·· التي انزلها الله تعالى بصورة كتابه الأخير على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ·

ان الظروف التي احتك فيها الاسلام بالحضارة الغربية تختلف تماما عن الظروف التي احتك فيها بالحضارات الاخرى قبل ذلك ··

فالحضارات الرومية والفارسية والهندية والصينية ·· صادمت الاسلام في وقت كان هذا الدين مسيطرا بكل معنى الكلمة ·· على القوى الفكرية والعملية في متبعيه ··

وكانت روح الجهاد والاجتهاد قوية فيهم ·· وكانوا أمة غالبة في العالم من الجهتين الروحية والمادية ·· يحلون بين أمم العالم محل الصدارة والزعامة ·· لذلك لم يكن لحضارة من تلك الحضارات ان تدافعهم وتثبت أمامهم · فحيثما ذهبوا احدثوا انقلابا في افكار الأمم ونظرياتها وعلومها واخلاقها وعاداتها واسلوب تمدنها ·· وكانوا أحرى بالتأثير في غيرهم من أن يتأثروا بهم ··

ولاشك انهم اتخذوا أشياء كثيرة من غيرهم ·· ولكن كان مزاج حضارتهم قويا محكما الى درجة انه كلما دخل فيها من الخارج ذاب في قالبها ·· ولم يحدث فيها سوء مزاج مختلط ، وبالعكس من ذلك ، جاءت الآثار التي تركها هؤلاء في غيرهم سببا للانقلاب وتغير الأحوال ·· فمن الحضارات غير المسلمة ما انحلت في الاسلام حتى افتقدت فرديتها تماما ·· وأما الاخرى التي كانت أقوى على الحياة فتأثرت بالاسلام الى درجة انه طرأ على مبادئها كثير من التغيير ··

على أنه حدث هذا كله في زمان كانت الأمة فيه في أوج الشباب ··

فالروح قوية ·· والعضل قوية ·· والهمم تناطح السحاب ··

وحدث بعد ذلك أن المسلمين لطول ممارستهم الحكم - بالقلم والسيف - غلبهم التعب والكلام ··

فخمدت فيهم روح الجهاد ·· وضعفت قوة الاجتهاد ··

فجعلوا كتاب الله الذي منحهم نور العلم وقوة العمل تذكارا مقدسا ، غلفوه ·· ووضعوه في المحاريب ·· وتركوا اتباع السنة النبوية التي شكلت حضارتهم في صورة نظام مكتمل للفكر والعمل ، فكانت النتيجة أن توقف سير رقيهم ، وتحول ذلك النهر الذي بقى جاريا منهمرا على طول القرون الى مستنقع ساكن في وادى الجمود ··

فانعزل المسلمون عن منصب الامامة في العالم ·· وضعف ما كان لافكارهم وعلومهم وتمدنهم ·· وغلبتهم السياسية من سلطان على أمم العالم ··

ونشأت ازاء الاسلام حضارة أخرى ، وتقدمت في موكبها أمم الغرب لتأخذ راية الجهاد والاجتهاد التي طرحها المسلمون ··

فاما المسلمون بعد ذلك فغلبهم النعاس فباتوا لا يتحركون ··

وأما الأمم الغربية فظلت تسير وتتقدم في مضمار العلم والعمل حاملة بيدها تلكم الراية ·· حتى تبوأت منصب الامامة الذي نزل عنه هؤلاء ·· ففتحت بسيفها الجانب الأكبر من هذه الدنيا ··

وفي أيامنا هذه أصبح الاسلام يحتك بالحضارة الغربية التي لا تستطيع ان تزاحم الاسلام بمنكبيها وتقوم أمامه كالسند ·· ولو أن الاحتكاك يكون بالاسلام الصحيح فلاشك أنه ما من قوة في هذه الأرض تستطيع أن تقف في وجهه ·

ولكن قولوا لي : أين الاسلام اليوم ؟

ان المسلمين ليست فيهم السيرة الاسلامية ·· ولا الخلق الاسلامي ·· ولا الفكر الاسلامي ·· ولا شيء من الحماسة الاسلامية ·

ان الروح الاسلامية الخالصة لا توجد في مذاهبهم ·· ولا في مدارسهم ·· ولا في زواياهم ·· ولم يبق من علاقة بين الاسلام والحياة العملية ··

وليس القانون الاسلامي بنافذ في حياتهم الفردية ولا في حياتهم الجماعية ، وليس هناك شعبة من شعب الحضارة والتمدن يكون تدبير أمرها قائما على الطراز الاسلامي الصحيح ·

يقول الاستاذ المودودي : ففي هذه الظروف ليس الاحتكاك في الحقيقة بين الاسلام والحضارة الغربية ··

بل هو بين حضارة المسلمين الخامدة الجامدة المتخلفة ·· وحضارة نابضة بالحركة والحياة ··

يشرق في جنباتها ضياء العلم ·· وتدفئها حرارة العمل ·· وكل ما

يمكن أن يكون من نتائج هذا الاصطدام بين جانبين غير متساويين من حيث القوة والحيوية فهو ظاهر للعيان ··

وهو أن المسلمين لا يزالون يرجعون على أعقابهم في هذا المضمار ·· ولاتزال حضارتهم تنهزم ··

ان العالم الاسلامي كله يمر اليوم بمرحلة هذا الانقلاب الرهيب·· انه كان من واجب العلماء في الحقيقة ان ينتبهوا وينبهوا حين ابتدأ هذا الانقلاب ··

***

ويمضي المؤلف الفاضل في حديثه هنا ·· ناعيا على « علماء المسلمين » قعودهم عن دراسة العلوم الحديثة ·· والتي نهضت على أساسها حضارة الغرب ·· ويقول : لقد كان عليهم أن يستعملوا قوة فكرهم واجتهادهم ، فيأخذوا من الغرب تلك الاكتشافات العلمية ، والمناهج العلمية التي تقدمت بفضلها الأمم الغربية في سبيل الرقي ، ويركبوا تلك الأجزاء الحديثة في مكان النظام التعليمي والحياة المدنية عند المسلمين ، ضمن مبادىء الاسلام ، بصورة تتلافى بها « الخسارة العظيمة » التي قد تنالهم من الجمود المستمر على القرون وتجعل الركب الاسلامي يتماشى مع الزمن الحديث ·· ولكن الأسف ان كان العلماء ـ اللهم إلا من عصم ـ قد خلوا من روح الاسلام الحقيقية ·· فلم تكن فيهم قوة الاجتهاد ·· ولا التفقه في الدين ·· ولا الحكمة النظرية والعملية ، ولا القوة للعمل · فلم يكونوا أهلا لأن يستمدوا من كتاب الله ، والارشاد النبوي في ناحيتي العلم والعمل مبادىء الاسلام المرنة الدائمة ·· فيستخدموها في الأوضاع العصرية المستبدلة ، وانما كان قد سرى فيهم داء التقليد الجامد الأعمى ·· الى أن يقول : واذا كانت هذه حال العلماء على الأغلب ، فكيف كان من الممكن لهم أن يقودوا المسلمين قيادة سديدة في حين ان الزمان قد تغير ، ووقع في دنيا العلم والعمل من الانقلاب العظيم ما كان للعين الالهية وحدها أن تبصره عبر

القرون ، ولم يكن لغير نبي أن يشق بصـره حجب الأزمنة والقـرون ليبصره ٠٠ ما من شك في أن العلماء بذلوا جهدهم لمقاومة الحضارة الجديدة ، ولكنهم كانوا لا يملكون الوسائل اللازمة لهذه المقاومة ٠ وذلك ان الحركة لا تقـاوم بالجمـود ٠٠ ولا سير الزمن يمنـع بقوة المنـطق وحدها ٠٠ ولا يدفع السلاح الجديد الفتاك بسلاح صدىء قديم ٠٠ فان الأمة التي احاط بها طوفان الحضارة الغربية من جميع الأطراف ، كيف كان لها أن تغمض عينيها ٠٠ وتعطل حواسها ٠٠ وتنكر وجود الطوفان وتسلم من آثاره ٠٠ وكيف كان لأمة القى عليها نظام الحضارة والتمدن الحديث نفوذه السياسي ، أن تجنب حياتها العملية من تأثيره ونفوذه ٠٠ على كونها في حال العبودية والهزيمة ٠٠ لذلك كان من عواقب ذلك مـا ينبغي أن يكون : وهـو أن انهـزم المسلمـون في حلبـة العلم والحضارة والتمدن أيضا ٠٠ بعد أن غلبوا في ميدان السياسة ٠٠ وها نحن نرى الآن أن تيار الحضارة الغربية لايزال يجرف في كل منطقة من مناطق العالم الاسلامي ٠٠ وقد انسـاقت فيه الأجيـال الناشئـة من المسلمين حتى ابتعدت عن مركزها الاسلامي ابعادا ساحقة جدا ٠

***

وعلى هذا النحو من التحليل الدقيق والتعمق في النظر يمضي الاستاذ المودودي في تصويره لواقع المسلمين ٠٠ ثم من موقفهم من الحضارة الغربية ٠٠

ومن اهم فصول كتابه هذا : ما يحمل هـذه العناوين : « انتحـار الحضارة الغربية » و « النزاع بين الشرق والغرب في تركيا » و « خداع المـذهب العقلي » و « تهـافت مذهب التجـدد » و « النقص الأسـاسي لخطتنا التعليمية » و « المنهج السديد لتعمير كيان الأمة » و « طلائع الثـورة على الدين » و « الفسـاد الاجتماعي » و « المفهـوم الحقيقي

للمسلم » و « المصدر الحقيقي لقوة المسلم » و « الداء ودواؤه » وهو آخر الفصول ·· وفيه يقول :

ان الدين الاسلامي ليس بعقيدة فحسب ·· ولا هو مجموعة لعدد من الأعمال والطقوس الدينية ليس إلا ·· بل هو « برنامج تفصيلي لحياة الانسان الكاملة » ليست العقائد والعبادات ومبادىء الحياة العلمية وضوابطها فيه أشياء مختلفة منفصلة بعضها عن بعض ·· بل تتلاحم هذه كلها فيه ، وتؤلف مجموعة لا تقبل التجزئة ويكون بين أجزائها كمثل الارتباط الذي يكون بين اجزاء الجسم الحي ·

***

ثم يقول الاستاذ في موضع اخر من هذا الفصل ··

ومن التدبير النكد العقيم في هذه الظروف ان يزاول تبليغ الاسلام على طريقة المبشرين النصرانيين ·· وذلك انه لا يمكن أن تعود الأوضاع الى استقامتها ·· وان نشرت آلاف من الرسائل والكتب لاجل اصلاح العقائد ·· وأي غناء الآن - ياترى - في سرد محاسن الاسلام بالقلم واللسان ، وانما الضرورة الحقيقية هي أن تعرض هذه المحاسن في دنيا الواقع ·· هذه الدنيا دار نزاع وصراع ولا يمكن أن تغير مجراها بمجرد الكلام ، وانما يحتاج لتغييره الى كفاح ثائر ·· ولئن أمكن للشيوعيين ان ينهضوا بمبادئهم الخاطئة ويضربوا سلطتهم ونفوذهم على جانب كبير من هذا العالم وامكن الفاشية ان تتقدم بمناهجها البعيدة عن القصد ·· وتلقى هيبتها وجبروتها على ربوع العالم ·· وامكن الفلسفة الغاندية في عدم الايذاء أن تروج وتنتشر على رغم كونها شيئا لا يلائم الفطرة بمجرد السعي والجهد ·· فلا سبب هناك لعدم تمكن المسلمين أن ينالوا الغلبة والسلطة في هذا العالم من جديد ·· ولكن هذه الغلبة لا تتحقق بمجرد الوعظ والخطابة ·· بل هي تتطلب الجهد

والعمل وان يتولى العمل على تلك المناهج الى الغلبة في العالم بحسب السنة الالهية ٠

***

وأخيرا ٠٠ ان محمدا صلوات الله وسلامه عليه ، واصحابه رضوان الله عليهم هم اسوتنا الحقيقية والتي يجب علينا أن نتبعها الآن ٠٠ وهم قد استخدموا القوانين الطبيعية تبعا للقوانين الشرعية ٠٠ فقاموا بخلافة الله في الأرض احسن ما يكون القيام ٠٠ والتمدن الذي كان يسود عصرهم بث هؤلاء في قالبه روح الحضارة الاسلامية ، وكل ما كان قد وقع تحت الانسان من القوة الطبيعية اتخذه هؤلاء خادما لتلك الحضارة ٠٠

واذن ٠٠ فالصورة الصحيحة لاتباعهم اليوم هي أن نأخذ الوسائل التي قد تجددت بفضل ارتقاء التمدن ، واكتشاف القوانين الطبيعية ٠٠ فنعمل على تسخيرها للحضارة الاسلامية ، كما فعلوا في العصور الأولى :





# من قضايا البعث الحضاري

الدكتور عون الشريف قاسم

صراع ـ كما نعلم ـ تاريخه قديم !

صراع حقود ·· لم يشهد له التاريخ مثيلا بين اي دين ودين ·· ومع ما كان بين اليهودية والنصرانية من عداء مستحكم ·· جر الى الكثير من المآسي ·· والكثير من الضحايا ·· إلا انه عداء لايذكر امام عداء النصرانية للاسلام !

صراع رهيب له ماض وحاضر ·· اما حاضره فهو ما نشهده اليوم في اكثر من مكان ·· واما ماضيه فهو ما تحدثت عنه صحائف التاريخ !

حقا ·· ليس في الأمر جديد ·· إن ما يجرى اليوم على مرأى ومسمع من الدنيا ·· لايختلف في كثير او قليل عما ظل يجرى بالأمس ، خلال مئات من السنين من احداث وخطوب ·· نتيجة هذا الحقد الأسود من جانب الصليب بشكل خاص ضد كل ما يحمل كلمة اسلام !

مؤلف هذا الكتاب وهو يعالج في فصوله العديدة اهم قضايا هذا الصراع التاريخي مقارنا بين ماضيه وحاضره ·· معللا لاسبابه ودواعيه ·· لايفوته ان يشير الى حقيقة ان اسرائيل ما هي إلا صنيعة للغرب ، الغرب المسيحي ·· وان هذا الغرب اذ يرى نفسه مندفعا اليوم للأخذ بعناصر اليهود ·· متناسيا خصومتهم القديمة عبر التاريخ ·· فانما كان ذلك لأن عداءه للاسلام اقوى وأشد ·· ولأنه ـ من ناحية

اخرى ـ منذ انتهي دور الاستعمار العسكري الغربي ـ بعد ان لم يبق له مبرر في منطق العصر ٠٠ كان لابد لهذا الغرب من ان تبقى له « ركيزة » أو رأس حربة كما يقولون ٠٠ ومن ثم وجدت اسرائيل !

وللمؤلف الفاضل آراء نيرة في هذه الفصول ٠٠ نعتقد انها جديرة بالتأمل فلنستمع اليه :

يقول في المقدمة :

يعيش المثقف في مثل مجتمعنا العربي والأفريقي والاسلامي ازمة العصر مزدوجة ، فهو يواجه على المستوى الانساني العام ازمة الحضارة المعاصرة ويصطلي بنارها ٠٠ وهو يواجه كأحد افراد العالم الثالث ازمات مجتمعه المتخلف الذي يسعى جاهدا للتخلص من مظاهر التخلف الى جانب سعيه للتخلص من مظاهر التسلط الناجمة عن سيطرة الرجل الغربي على شعوب العالم منذ بداية هذا القرن ٠

ومعركة تأكيد الذات التي تخوضها مثل هذه المجتمعات على المستوى الفكري والحضاري لاتنفصل عن معركتها لتأكيد الذات على المستوى السياسي والقومي ٠٠ وتأكيد الذات على المستويين لايكون الا بانتفاء السلبيات والمعوقات التي تحول دون نمو الشخصية الحضارية نموا يتصل فيه حاضر الناس بماضيهم وصولا بمستقبلهم المشرق ٠

وفيما يلى من فصول ٠٠ معالجة لبعض قضايا البعث الحضاري لأمتنا على المستويين الفكري والقومي ، وهي فصول على وقوفها مستقلة ، يربط بينها خيط فكري واحد هو : هموم المثقف الذي يتمزق بين انسانيته من جانب ٠٠ وبين معطيات بيئته في كل ابعادها القريبة والبعيدة من جانب آخر ٠

وهي لاتقدم حلولا جاهزة بقدر ما تثير اسئلة ، آمل ان تشحذ همم المثقفين وعقولهم لمزيد من البحث والدراسة والله الموفق ٠

## الانسان المعاصر ·· وأزمة الحضارة

قضايا العالم الكبرى التي يعيشها انسان العصر الحديث ازمات وحروبا وامراضا وتفسخا ويأسا ليست في حقيقتها إلا اعراضا ظاهرية لعلة اعظم خطرا ، واعمق جذورا ، وينبع خطر علة العلل هذه من انها تمس صميم الانسان كانسان ·· وتستهدف جوهره الأصيل ككائن عاقل ، يقف في قمة الهرم التطوري للكائنات المعروفة حتى الآن ··

يتابع المؤلف حديثه ثم يضيف :

هل نقول ان هذا ثمن التطور ، وان علينا جميعا كبشر ان ندفع ثمنه استعمارا وتنكيلا وقتلا في طريق مسيرتنا نحو الفردوس الموعود ؟ فالشعوب المستضعفة ستقاوم وتنتصر وتلحق بركب التقدم ·· وفي نهاية المطاف سنركب كلنا نحن البشر ـ على سرج واحد على قدم المساواة في مجال التقدم والرقي ؟ ان ما يحدث في عالم اليوم لايبرر هذا التفاؤل ·· ولايشير الى ان الانسانية وهي تسلك ما تسلكه اليوم سينتهي بها المطاف الى هذه النهاية السعيدة ·

ويتابع المؤلف حديثه في اسهاب حول هذا الموضوع ثم يتساءل :

هل يكفي ان نقول ان كل القضايا المثارة نتيجة حتمية لتعفن النظام الرأسمالي الغربي الذي يهدف الى الربح والمزيد من الربح ·· وان أدى ذلك الى تدمير أقدس مقدسات الانسان : انسانيته ·· ام ان ما حدث هناك امر ملازم لتطور الحضارة الصناعية حيثما كانت ؟ وكل هذه الفوضى العارمة نتيجة حتمية لتغير القيم والمفاهيم بتغير وسائل الانتاج والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الصناعي ؟

هل نقول ان التطور غير المتكافىء في محيط الانسان المادي بالقياس الى تطوره الروحي والعقلي هو الذي احدث هذه الهزة العنيفة في موازين الانسان الاخلاقية وقيمه الاساسية ؟ وانه خلال العصور كلما جدت مثل ظروف الرفاهية التي يعيشها انسان العصر حدثت مثل هذه

الهـزة ٠٠ ولذلك اقترن الثـراء والسلطة دائما بـالفساد ٠٠ الفـراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة !» وفي مثل هذه الظروف يجد الحيوان فينا فرصة الاشباع ٠٠ فيجور على الانسان فينا ٠٠ فيكون الاسراف في الشهوات والمتع ٠٠ ويحدث التطرف ٠٠ وينجم عن ذلك التمزق فالانهيار ٠٠ فيضطر الانسان اضطرارا الى الرجعة الى ميزان التعادل القديم ليكبح جماح شهواته وعواطفه ويؤكد عنصر الانسان فيه الذي هو دائما وسط بين نقطتي التطرف ٠

ولكن هذا الكلام لايعني ان ميزان التعادل هذا الذي هو وسط بين حدي الافراط والتفريط هو امر جاهز يسهل الرجوع اليه في كل حين ٠

الى ان يقول : ومن هنا كانت قضية الانسان في العصر الحديث تهمنا وتهم مجتمعنا لأننا على الدرب سائرون ٠٠ وقد تفيدنا العبـرة ، وان فضل الانسان دائما الدخول في التجربة ٠

## بعث التراث ٠

وفي فصل من فصول الكتاب وتحت هذا العنوان يقول :

اذا كان الفضل الحقيقي هو ما شهد به الاعداء فان شخصية الأمة الحقيقية هي ايضا تلك التي يتجنبهـا اعداؤهـا ، ويسعون جـاهدين لتجريدها من عناصر القوة فيها ٠

الى أن يقول :

لقد فطن الاستعمار الغربي منذ الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي الى سر قوة العرب ، وسر قوة المسلمين ٠ فسعى الى ابطالها عن طريق الفكر ٠٠ حين عجز عن ابطالها عن طريق القوة ٠٠ فـركز دراساته على النعرات العرقية والقومية وسعى الى اقناع كثير من شعوب العالم الاسلامي بان سر عظمتها الحقيقية ليس في الاسلام وانما هو في ماضيها الذي طغى عليه الاسلام ٠٠ وقد رأينا في بداية هـذا القرن العشرين الحمي التى اجتاحت كثيرا من مناطق العالم الاسلامي تحت

تأثير هــذه الدعوات ، فــرأينا الدعــوة الى الفرعــونية في مصر تقــوى وتصحبها دعوة الى الاتجاه شمالا الى البحر الأبيض المتوسط واوروبا بدلا من الاتجاه نحو العرب !

ورأينــا الدعوة الى الفينيقيــة في لبنان وســوريــة ٠٠ والدعــوة الى القرطاجينية في تونس ، والبربرية في المغرب العربي ٠٠ والطورانية في تركيا والساسانية البهلوية في ايران ٠

وحرب الاستعمار الغربي على العرب والاسلام لم تقف عند هذا الحد بل امتدت لتشمل مواقع جديدة في افريقية منها اقامة الحواجز المفتعلة بين شمال القارة وجنوبها ، والتركيز في كل كتاباته على افريقية جنوب الصحراء كنقيض لأفريقية شمال الصحراء على اساس ان العرب عنصر غريب على افريقية ناسيا أو متناسيا ان ما يقرب من سبعين بالمائة من العرب افريقيون بحكم الموقع والتاريخ والثقافة ايضا ٠٠ وشن الى ذلك حربا صليبيــة على الاســلام والمسلمين ، ونقــل الى كثير من المثقفــين الأفريقين الذين تلقوا تعليمهم على ايدي المبشرين كــل احقاد الرجــل الأبيض المسيحي على الرجل العربي المسلم ٠٠ وهذا يفسر الى حد كبير موقف كثير من اخواننا الأفارقة حيال قضايا العرب وارتبــاط بعضـهم باسرائيل ٠

وحرب المستعمرين للاسلام والعروبة في افريقية باب يطول الحديث عنه وسنوليه عنايتنا يوما ان شاء الله ٠

* * *

وقد كلفت القوة المادية لأمم الغرب وما اتيح لها من تسلط على كثير من امم العالم : القدرة على فرض ثقافاتها على هذه الأمم ، وكان شرط فرض هذه الثقافات : اماتة الثقافات الموروثة ٠٠ هكذا سعى الفرنسيون الى محو شخصية الجزائري والعربي عامة في شمال افريقية وفــرنسته ، وكذلك فعلوا بالافريقيين الذين استعمــروهم ٠٠ وهكذا فعــل الانكليز والبلجيك والألمان والايطاليون والهولنديون ٠٠ واخيرا الأمــريكيون ،

وكل هؤلاء الأقوام وان اختلفوا في اساليب فرض ثقافاتهم على الشعوب التي خضعت لهم يلتقون في الايمان بسمو ثقافة الرجل الغربي المسيحية ·· ذات الجذور اليونانية اللاتينية ، وقدرتها الفائقة على كل ماعداها من ثقافات الشعوب غير الأوروبية ·

والآن وقد انحسر مد الاستعمار الغربي المباشر ، واستردت كثير من شعوب العالم حريتها واستعادت قدرتها على التفكير المستقل ·· فقد بدأت تتكشف امامها كثير من الخدع الاستعمارية التي كان المستعمرون يموهونها من اجل فرض استعمارهم على القوم في كل ابعاده المادية والثقافية ·· وغاية الاستعمار في كل ذلك المحافظة على مصالحه ·· فهو وان لم يستطع الابقاء على هذه المصالح بالقوة العسكرية كما كان يفعل من قبل ·· فهو قد صاغ كثيرا من المثقفين على شاكلته ممن يتعاطفون معه ويرون ان مصدر ثقافتهم وكعبتهم التي اليها يحجون تقع هناك في ديار الغرب ·· ولذلك لاعجب ان وجد كثير من المستعمرين لدهشتهم ان ما حاولوا فرضه بالقوة على كثير من الشعوب خاصة من افريقية وآسيا لم يتم انجازه الا بعد ان خرجوا واستلم مقاليد الحكم مواطنون تشبعوا بما اراده الاستعمار ·· فقاموا بحكم ثقافتهم بدور الحارس الأمين على مصالح اوطانهم الروحية والفكرية في بلاد الغرب !!

ثم ينهى المؤلف حديثه في هذا الفصل قائلا :

ان تحدى الحضارة الذي يواجهنا في كل مرفق من مرافق حياتنا الاجتماعية والفكرية كفيل بان يقدح في نفوسنا شرارة الوعي الحضارى وقد فعل منذ حين ·· وكل هذا الذي نشهده على مسرح حياتنا محاولات لربط الماضي بالحاضر للسير في سبيل المستقبل ·· ولكننا لن نبلغ الاصالة والابداع الا اذا اكتشفنا في انفسنا روح الدفع الحضاري الكامن · واجرينا في عقولنا وقلوبنا التغييرات اللازمة لاحداث التحول الحضاري ، « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

## الادب في معركة الحضارة

يقول في هذا الفصل : « وسبيل الآداب نقل تجربة الانسان في كل ابعادها عن طريق الكلمة ‥ ومنهجها للوصول الى المعرفة الشعورية لايختلف عن منهج العلوم في سبيل الوصول للمعرفة العقلية ‥ فهو منهج يعتمد على المشاهدة والملاحظة والمقارنة واكتشاف اوجه الشبه بين الظواهر المتنافرة ، والخروج من كل ذلك بصورة تحدث في نفس الانسان قدرا كبيرا من التركيز الشعوري والتوحيد العاطفي ينجم عنه التوازن النفسي ٠

والأدب الحق ان احسن التعبير والتصوير : محاولة جادة لسبر اغوار النفس والسيطرة على جامحها بغرض تنظيم التنافر الداخلي ‥ واحداث الانسجام بين العواطف المتناحرة عن طريق اشباع اكبر قدر منها بحيث لايجور جانب منها على جانب ٠

ولايفعل ذلك كل ادب ‥ اذ الادب التافه يثير اتفه العواطف واكثرها سطحية ‥ ويجعلها تطغى على غيرها ‥ ومن هنا كان النجاح الشكلي لأدب الجنس الفاضح وما اليه ‥ اما الأدب الصادق العميق فيحرك اعمق المشاعر ‥ وينظم اكبر قدر من العواطف ‥ فيحدث الانسجام الداخلي ، ويتم التوحيد فكما تنظم العلوم الطبيعية مظاهر الطبيعة المتنافرة في شكل قوانين ونظريات تحدث الانسجام في عقل الانسان ‥ تفعل الآداب هذه الفعلة في روح الانسان وعاطفته ، وبذلك يتم الانسجام بين الطبيعة والانسان ‥ وبين عنصري الانسان : عقله وعاطفته !

فالآداب معرفة ‥ غايتها توسيع دائرة الحياة الشعورية ‥ واثراؤها عن طريق تصوير تجارب الآخرين الشعورية ‥ وانجازاتهم الروحية بحيث يتمكن الانسان من مضاعفة تجاربه مئات المرات على قدر اطلاعه وثقافته ‥ ومن هنا كان للآداب دور في معركة الحضارة لايقل

عن دور العلوم ٠٠ فهما صنوان ٠٠ وهما رافدا المعرفة ٠٠ وهما في نهاية المطاف خلاصة انجاز الانسان على الأرض اي حضارته ٠

## ما اشبه الليلة بالبارحة

لم يكن يهود اوروبا الذين احتلوا قطعة من وطننا العربي واقاموا دولة اجنبية في جنب العالم العربي عام ١٩٤٨ هم اول موجة من موجات الغـزو الأوروبي المنظم عـلى شعوب الشـرق عامـة والعـالم العـربي الاسلامي خاصة ٠٠ واذا كان حوض البحر الأبيض قد اعتبر وسط العالم القديم بحق ٠٠ فـان شرقيـه يقوم مقـام القلب النابض لهـذا العالم ، ومن هنا كان الصراع من اجـل السيطرة عـلى هذه المنـطقة الخـطيرة هـو شغل العـالم القديم الشـاغل ٠٠ وحلم شعـوبه ودوله المتعاقبة من فينقيين وكنعانيين وعبرانيين وآشوريين ومصريين وأغاريق ورومان ٠

وظلت المنطقة عبر التاريخ مباءة للغزاة والفاتحين ٠٠ وبوابة كبيرة تنفذ منها جحافلهم نحو شرق وغرب ٠٠ وهذا التوسط جعل منها مركزا للثقل في ميزان القوى بين الشرق والغرب ٠٠ فمنذ عهد الاسكندر الأكبر والمنطقة محط الأنظار للغرب الصاعد ٠٠ تتعاورهـا شعوبـه بالغـزو تـارة ٠٠ وبالتـدخـل عن طريق الدين تـارات خـاصـة بعـد ظهـور المسيحية ٠٠ وقد كان اكبر غزو منظم تعرضت له المنطقة قبل الموجة الأخيرة في مطلع هذا القرن ، هو الغزو الصليبي الذي تم في أواخـر القرن الحادي عشر الميلادي ٠

وقد هيأ الله للمسلمين طريق الخلاص على ايدي الايـوبيين الذين استطاعوا ضم شمال العراق الى مصر وبذلك حصروا العدو من شمال وجنـوب وشرق ٠٠ وكـان ظهور عمـاد الدين زنكي اتابـك المـوصـل ( ١١٢٧ ـ ١١٤٦ م) بداية انحسار مد اللاتين لصالح المسلمـين ٠٠ والذي بلغ نهايته بصلاح الدين الذي انتزع بيت المقدس من الصليبيين

عام ١١٨٧ بعد موقعة حطين الضارية ٠٠ ولكن الأوربيين كانوا قد تمكنوا من الأرض وتوطدت اقدامهم فأعادوا الكرة وسقطت بيت المقدس في ايديهم من جراء الامدادات القوية التي دفعت بها اوروبا لمناصرة دويلاتها العميلة في الشرق ٠٠ ثم حصلت المصالحة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد فرجعت بيت المقدس الى ايدي المسلمين عام ١١٩٢ - وبعد موت صلاح الدين واستشراء الخلاف بين ابناء ايوب رجعت معظم المدن التي استردها المسلمون الى الفرنجة ٠٠ واستمرت الحرب سجالا بين الجانبين وببروز الظاهر بيبرس ( ١٢٦٠ - ١٢٧٧ ) الى الميدان تتابعت مجموعة صامدة من الأمراء أبلت بلاء حسنا في تقويض نفوذ الأفرنج كان آخرهم الملك الأشرف خليل ( ١٢٩٠ - ١٢٩٣ ) الذي حطم آخر معاقل العدو في عكا ٠٠ ودمر استحكاماته على المدن الساحلية ٠٠ وبذلك وضع حدا للنفوذ الأوروبي المباشر على الشرق العربي لمدى اكثر من ستة قرون ٠

* * *

لقد كانت هذه الفترة من اكثف المراحل ظلاما في حياة العرب والمسلمين ٠٠ اذ تحكم فيهم العدو الخارجي ، وفتح ابوابهم على مصاريعها للتغول الاجنبي ٠٠ واستغل اساليب كل الغدر والخيانة والتآمر لتحطيم ارادتهم ، وبث بذور الشقاق والخلاف بينهم لتثبيت اقدامه ٠٠ وكان من اخطر ما قام به العدو الصليبي في هذه الفترة هو تعاونه المكشوف مع قوات ( التتر ) التي اجهزت على الحضارة الاسلامية ٠٠ واغرقت العالم الاسلامي في بحر من الدم والنار ٠٠ ودمرت العراق تدميرا ما يزال يعاني منه حتى الآن ، فيما يذكر ( توينبي ) فقد ذكرت المصادر الأوروبية ان الصليبيين كانوا ساعدا قويا لهؤلاء ( التتر ) في هجومهم الشامل على الخلافة العباسية ٠٠ وتدميرهم للعاصمة بغداد عام ١٢٥٨ م وكان المبشرون الأوروبيون يقومون بدور الوسيط بين ملوك اوربا وبين خانات التتر ٠٠ واستغلوا

العواطف الانسانية لتدمير الانسان ، فقد كانت زوجة هولاكو قائد التتر مسيحية ، فأمرت بتعذيب المسلمين في مشارف الشام ، ونهب ممتلكاتهم ·· « والتاريخ يعيد نفسه اليوم في لبنان »

وتروى المصادر ان المسيحيين كانوا يرقصون طربا وهم يشاهدون مناظر التعذيب والتشفي من المسلمين ·· وكان انتقام هؤلاء رهيبا حين اندحر التتار !!

لقد دفع العرب من انفسهم ومن تاريخهم لكثير قبل ان يقضوا على تلك الموجة الطاغية من المد الاستعماري الأوربي ·· وتصرفت بهم الاقدار ردحا من الزمان فترت خلالها الجذوة الصليبية في اوربا ·· تشعل مكانها نارا عامة اذكتها الثورة التجارية ثم الصناعية في القرون الثلاثة الأخيرة ، وعاد امل اوربا القديم في السيطرة على الشرق الى الحياة من جديد ، وكان الخطر هذه المرة ذا شعبتين ، ان افلتت الضحية من احداهما فلن تفلت الأخرى الاستعمار الأوروبي المسيحي والاستعمار الأوروبي الصهيوني ·

ودخلت المنطقة من جديد في دائرة النفوذ القديمة ·· وتقسمها احفاد الفرنجة وريتشارد قلب الأسد ·· اذ ان المنطقة قسمت بعد الحرب العالمية الأولى الى منطقتين فرنسية وانجليزية !! وبذلك استعاد الغرب ما فقده منذ ستة قرون ·

وكان الجنرال اللنبي ممثلا لروح اوربا حين قال بعد ان دخل بيت المقدس:

## الآن انتهت الحرب الصليبية

وكانت قولة اللنبي فاتحة لعهد جديد !

عهد جديد من التغول الغربي تمثل في الشعبة الثانية للخطر الغربي الذي اتخذ من الصهيونية رداء ودرعا لحماية مصالحه ·· وضمان استمرار بقائه في منطقة الشرق الغنية ·· اذ الصهيونية حركة قومية

اوربية مثلها في ذلك مثل كل الحركات القومية الضيقة التي انتجتها ظروف أوربا الصناعية الرأسمالية المنطلقة الى الأسواق ومناطق النفوذ ..

وكان حلم اليهود في السيطرة على فلسطين امتدادا للرغبة القديمة في السيطرة على مفتاح العالم القديم هذا .. وشعر الغربيون بامكانية الاستفادة من السرطان الصهيوني من ناحيتين : التخلص اولا من مضايقات اليهود للمجتمعات الأوروبية .. ثم تسليطه على عدوهم التقليدي في الشرق وبذلك يضمنون استمرار سيطرتهم على منطقة الشرق الأوسط .

وهكذا خلقت دولة اسرائيل من عدم كما قامت الدويلات اللاتينية - اسرائيل الاخرى - من قبل .

لقد كان عدد اليهود المقيمين في فلسطين ايام وعد بلفور حوالي ٨٨ الف .. تدخل فيهم امواج الهجرة التي دخلت فلسطين خلسة في أواخر القرن الماضي من روسيا وغيرها .. وكان عدد العرب اصحاب الأرض يربو على المليون .. وكما حدث في الماضي سارت الأمور في العصر الحاضر .. وكما توالت الجيوش الصليبية الغازية من قبل توالت جيوش الصهاينة تحتل الأرض العربية شبرا .. شبرا بمساعدة المستعمرين الانجليز . ثم الامريكان من بعد .

وقامت دولة مستوردة جذورها خارج الأرض العربية ، وتستمد الوحي والعون من خارج حدودها .. ويعيد التاريخ نفسه ، وتسقط القدس بعد سبعمائة وثمانين عاما بالتمام من خلاصها على يد صلاح الدين ( ١١٨٧ - ١٩٦٧ ) في يد العدو الدخيل .

وتقوم اسرائيل الجديدة بما قامت به « اسرائيل الصليبية » القديمة من دق الاسفين بين شرق العالم العربي وشماله وجنوبه وغربه ، من تمكين للعدو الغربي للسيطرة على اقتصاديات العالم العربي وشل حركة

التقـدم في اوصاله : من تفتيت لوحـدة العرب · وتشجيـع للحركـات المضادة في جسم العالم العربي ·

* * *

* ترى هل ينجح الغرب ـ عن طريق ابنته وربيبته اسرائيل الجديدة ـ في مسعاه الذي فشل فيه على مدى التاريخ ؟

* هل تستطيع دولة مصطنعة البقاء ، وقد زرعت زرعا بسكانها المليونين والنصف واموالها وكل مرافق الحياة فيها في ارض غريبة ؟

* هل تبقى الجزيرة الصغيرة التي تستمد كل عناصر بقائها من وراء البحار في هذا المحيط العام من البشر الذين يجاوزون المائة مليون ؟!

لقـد قامت اسـرائيل من قبـل ثم وهنت ودالت لأنها ظالمـة والظلم لايدوم · وليس هناك ادنى سبب يجعل من اسرائيل الجديدة ـ والتي قامت على نفس الاساليب القديمـة ـ مثالا شـاذا ، لا يخضع لمنـطق التاريخ ·· ومنطق الحق ، الذي يدوم حكمه الى يوم الساعة ·

## في مواجهة المصير

ان اعظم تبعات جيلنا الوفاء لأمتنا بالاخلاص لمبادئها والدفاع عن كيانها ·· وأمتنـا التي نتحدث عنهـا ليست دولة بعينها ذات حـدود سيـاسية مـرسومـة ·· ان الذين يقيسون امـة العرب بهـذه النظم السياسية التي تظهر لتختفي وتتصارع فيما بينها ثم تدول لم يسبروا جوهر حقيقتها ·· واولئك الذين يحكمون عليها بكل هذا العرض الزائل من مذاهب وافكار وممالك وامارات ·· لايدركون مغزى قوله تعـالى : « وان هذه امتكم أمة واحدة »

والحديث عن وحدة العرب ليس حديث عاطفة تختلف باختلاف من تتسلط عليه ، بل هو حديث الوعي الذي ثقفه استقراء الماضي ·· ولقنه درس الحاضر ·· وكل ذلك يوحي بان تحديات الماضي ومخاطر الحاضر لاتستهدف قطرا بعينه من هذه الأقطار العربيـة دون الآخر ·· بـل

الخطر يواجه المنطقة بأسرها ·· والعدو لايقنع بأرض اجتزأها من جنب العالم العربي ليقبع فيها وينعم بالاستقرار داخل حدودها ·· لا : ليست تلك نظرة العدو ·· والذين يظنون بأن الحل السلمي لقضية فلسطين سيوقف زحف العدو ·· واهمون ·· والذين يعتقدون ان الأمر في فلسطين لايعنيهم أشد وهما ·· وابعد ضلالا ·· فالسرطان حين يصيب جزءا من الجسم لايوقفه وهم الواهمين ، ولا يصد سريانه ضلال الضالين ! والعدو ينظر الى منطقة العالم العربي جميعا في شقيها الآسيوي والأفريقي نظرة موحدة وهو يغذي في نفوس العرب روح التفرقة والولاء للاقليمية ليفت في عضدهم ·· فيسهل عليه من بعد ذلك مواجهة كل قطر على حدة كما فعل بنا من قبل ·

ان وحدة العرب ليست سفسطة عقلية يتبجح بالحديث عنها ( تجار الكلام ) بل هي معركة مصير مهدد وعدو داهم ·· لابد للناس أن يتكاتفوا وان يقفوا امامه موقف رجل واحد · مثلما فعل العرب من قبل مع البيزنطيين ·· ومثلما فعلوا مع التتر ·· ومثلما فعلوا مع الصليبيين ·

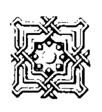
ان الغرب عدو تقليدي لليهودية وليس اخطر على الأوربي المسيحي من اليهودي واللاسامية التي يسترزق منها اليهود الآن · ويشهرونها في وجه كل من لايناصر عدوانهم ·· ولكن كراهية الغرب للعرب ·· وعداءه التقليدي للمسلمين يفوق كراهيته لليهودي الأوروبي الذي هو على اسوأ الفروض جزء لايتجزأ من الحضارة الأوروبية والعقلية الغربية ·

اذن الصهيونية موجة اخرى من موجات العدوان الغربي على الشرق ، واسرائيل مثلها مثل الدويلات اللاتينية قاعدة غربية من قواعد النفوذ الغربي ·· غرضها غرض سابقاتها : التمكين للاستعمار من احتلال المنطقة ، وتحطيم شخصيتها ، واستعبادها ، وبسط نفوذه عن طريقها على الشرق والغرب ·· ومن هنا كان وهم الواهمين في العالم

العربي الذين يظنون انهم بمأمن من استشراء الداء ان وقفوا بعيدا عن المعركة ·

ان حلم اسرائيل الكبري في السيطرة على المنطقة ما بين النيل والفرات ·· هو نفسه حلم الاستعمار حين ذكر في مشروع الهلال الخصيب ·· ومشروع حلف بغداد ·· ثم مشروع الحلف المركزي ، وما الى ذلك من احابيل المستعمرين ·

ان اسرائيل ان تأمنت حدودها ·· وقبل العرب وجودها ·· انتهي امرهم بددا ·· لأن الغرب كله وراءها ·· وهو ان وجد الفرصة دخل بكل ما يملكه من وسائل العلم والاقتصاد مسيطرا عن طريق اسرائيل على كل الاسواق العربية ·· واقامها حربا على كل بذور الصناعة والتقدم في الدول العربية المتقدمة بحيث تكون كل البلاد العربية تحت سيطرته ·· وعميلا تابعا له ·· واليهود ليسوا في حاجة للجيوش لتحقيق حلمهم متى ما ضمنوا السلامة وتأمين الحدود والصلح ·· فهم عن طريق الزحف الاقتصادي والتقدم العلمي يستطيعون السيطرة التامة على المنطقة واقامة العملاء في كل دولة عربية بحيث تصبح كل الدول العربية خاضعة لهم وللغرب من ورائهم · فالأمر امر صراع بين قوميتين لا بقاء لأحداهما مع بقاء الأخرى ·· فاما سيطرة اليهود من النيل الى الفرات ·· واما ازالة دولة العدوان من الوجود !!



## تاريخ قبّة الصّخرة

### والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس

الأستاذ عارف العارف

مؤلف هذا الكتاب القيم ، باحث ومؤرخ مشهور ، هو الاستاذ عارف العارف رئيس بلدية القدس ، قبل عهد الاحتلال الاسرائيلي ·

وقد تناول فيه هذه الموضوعات الثلاثة ، بأسلوب علمي رصين ، وتفصيل واف ، قلما يعثر عليه الباحث في كتاب آخر معاصر أو قديم ·

والكتاب في خمسة أبواب ، عنوان الباب الأول « لمحة عن تاريخ القدس على مر السنين » ·· قال في بدايته : « القدس ·· مدينة تاريخية قديمة ، لا بل انها من أقدم المدن التي عرفها التاريخ انها ليست بنت قرن من القرون · أو وليدة عصر من العصور ، وإنما هي بنت الأجيال المنصرمة كلها ·· ورفيقة العصور الفائتة كلها ، من اليوم الذي سطر التاريخ فيه صحائفه الأولى إلى يومنا هذا ··

وانه لتاريخ مجيد تاريخها ذلك لأنها صمدت لنوائب الزمان وطوارىء الحدثان حتى انه لم يبق فاتح من الفاتحين ، أو غاز من الغزاة المتقدمين والمتأخرين الذين كانت لهم صلة بهذا الجزء من الشرق ، إلا ونازلته : فاما أن يكون قد صرعها ، أو تكون هي قد صرعته ·

ثم يقول : « ولقد حوصرت مرارا ، ودمرت تكرارا ، وأعيد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ · وذاق أبناؤها العذاب خلال الاحقاب التي

مرت بها اشكالا والوانا ٠٠ بيد انها على الرغم مما أصابها ظلت قائمة في هذا الوجود ، وظل اسمها مذكورا في طليعة المدن والبلدان ٠ ذلك لأنها مقدسة في نظر الأديان السماوية كلها ٠ وقد لا نعدو الحق اذا قلنا أن قدسيتها هذه كانت في بعض الأحايين ، السبب في شقائها ، وفيما أصابها من رازايا ومحن » ٠

ثم يستعرض المؤلف تاريخ القدس في مختلف العهود ٠٠ وكان أول اسم سميت به : « يبوس » نسبة الى اليبوسيين بناة القدس الأولين والذين هم بطن من بطون العرب الأوائل نشأوا في صميم الجزيرة العربية ، وترعرعوا في ارجائها ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية فاستوطنوا هذه الديار وكان ذلك حوالى ٣٠٠٠ قبل الميلاد ٠

ويمضي في حديثه عن بقية العهود الى ان جاء الفتح الاسلامي في عهد الفاروق عمر بن الخطاب ٠

وفي هذا يقول المؤلف : « بعد أن تم لأبي عبيدة بن الجراح فتح الشام اتاه أمر من الخليفة عمر بن الخطاب ، كي يزحف صوب القدس ٠ فلبى أبوعبيدة أمره ، واستدعى سبعة من مقاديم جيشه ٠ فعقد لكل واحد منهم راية ٠ ضاما اليه خمسة آلاف مقاتل بين فارس وراجل ، وأمرهم بالزحف حسب الترتيب التالي :

في اليوم الأول دعا « خالد بن الوليد » فعقد له راية ، وضم اليه خمسة آلاف فارس ، وسرحه الى بيت المقدس ، بعد أن أمره أن يأتيها من ناحية حددها له ٠

وفي اليوم الثاني دعا « يزيد بن أبي سفيان » فعقد له هو أيضا راية ، وضم اليه خمسة آلاف فارس ، وأمره أن يلحق بخالد ، على أن يأتي المدينة من الناحية الاخرى ٠

وفي اليوم الثالث دعا « شرحبيل بن حسنة » فأعطاه ما أعطى زميليه اللذين تقدماه ، وأوصاه أن يأتيها من ناحية غير الناحيتين السابقتين ٠

وهكذا فعل في كل يوم من الأيام الأربعة التي تلت عندما دعا اليه كلا

من المقاديم الأربعة الآخرين ، وهم المرقال بن هاشم · ومسبب الغزاري ، وقيس المرادي ، وعروة بن مهلهل بن زيد الخيل ، وقد أمر هذا بالسير وراء الجميع ·

وكان جملة من سيرهم الى بيت المقدس سبع فرق ، مجموع رجالها خمسة وثلاثون ألف مقاتل ما عرف التاريخ أصبر منهم على المشى والعطش والجوع ·· وكان مبدأهم في الحرب :

« لن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ، ولا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون » ·

وبعد حصار دام أربعة اشهر ، قنط سكانها وطلبوا تسليم المدينة الى الخليفة نفسه ، فحضر اليها واستقبل فيها امام اسوار المدينة ( ١٥ هـ ـ ٦٣٦ م ) وأعطى أهلها وثيقة الأمان ، المعروفة بالعهدة العمرية ·

***

خضعت القدس لحكم الأمويين سنة ٦٤١ م في عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية وبقيت في حكمهم زهاء قرن كامل ومن أهم الأحداث التي جرت فيها على عهدهم بناء المسجدين : الصخرة ، والاقصى ·· وقد بناهما الخليفة عبدالملك بن مروان ·

***

وفي زمن الخليفة ابي العباس عبدالله بن محمد المعروف بالسفاح ، دخلت القدس في حكم العباسيين ، ( ٧٥٠م ) وظلت تابعة لحكمهم قرنا وربع القرن · ومن أهم الأحداث التي حدثت فيها على عهدهم استتباب الأمن وتحسن العلاقات بين المسلمين والنصارى ، وسماح الخليفة هارون الرشيد ( ٧٨٦م ) للامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وتعهده بحماية المسيحيين الذين يفدون الى القدس بقصد الزيارة ، وإعمار قبة الصخرة من قبل ولده المأمون ( ٨١٣م ) ·

ثم يتحدث المؤلف عن القدس في عهد الدولتين الطولونية

والاخشيدية ، ويقول لم تذكر القدس كثيرا في دولة بني طولون ( ٨٧٨ - ٩٠٥ م ) ولا في زمن الدولة الاخشيدية ( ٩٣٨م - ٩٦٥م ) وكذلك قل عن « كافور » آخر الامراء الاخشيديين الذي كان يخطب باسمه من على منابر مصر والشام والحجاز وفلسطين فقد توفى هذا سنة ٩٦٦م ودفن في القدس ٠

وفي سنة ٩٦٦ دخلت القدس في حكم الفاطميين وظلت تحت سيطرتهم حتى سنة ١٠٧٢م عندما استولى عليها الأتراك السلجوقيون ٠

وفي سنة ١٠٩٩م احتل الصليبيون القدس اخذوها من « افتخار الدولة » وكان يديرها باسم الأتراك السلجوقيين وذلك بعد معركة دامية دامت أربعين يوما ، وبعد أن نفد ما كان لدى المسلمين من مؤونة وعتاد ، وقد دخلوها بعد ظهر الجمعة ١٥ تموز وقتلوا يومئذ تسعين الفا من سكانها ، ولم يختلف اثنان من المؤرخين عرب وافرنجة في استنكار الفظائع والمنكرات التي اقترفها الصليبيون ٠٠ مع السكان العرب ٠

وجاء استرجاع القدس على يد « صلاح الدين » فما كاد ينتهي من معركة حطين تلك المعركة التي انتصر فيها على الصليبيين ( في ٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ - ١١٨٧م ) حتى راح يفكر في انقاذ بيت المقدس وما هي إلا عشية أوضحاها حتى قام يزحف صوبها ٠ وقد دخلها يوم الجمعة الموافق ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧م ٠

لم يعامل صلاح الدين اعداءه الصليبيين بمثل ما فعلوا ٠٠ فلم يقتل منهم احدا بعد أن تم له فتح المدينة بل اتاح لهم مغادرة المدينة لقاء الجزية ، وعفا هو عن كثيرين فدفع الجزية عنهم ٠

وكان أول عمل عمله أن عمر السور ٠ وازال عن قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك معالم النصرانية ٠ وأعادهما الى ما كانتا عليهما ٠

دخلت القدس في حوزة المماليك سنة ١٢٥٠م وظلت تحت حكمهم حتى جاء الأتراك العثمانيون سنة ١٥١٧م ·

احتل السلطان سليم الملقب بياوز القدس سنة ١٥١٧م وبقيت في حوزة العثمانيين اربعمائة عام بالتمام ·

احتل الجيش البريطاني القدس في ٩ كانون أول ١٩١٧م ومكث البريطانيون في فلسطين حتى ١٥ آيار ١٩٤٨م ·

## قبة الصخرة المشرفة

وننتقل مع المؤلف الى الباب الثاني من الكتاب في حديثه عن « قبة الصخرة المشرفة » ·

من الذي بنى مسجد الصخرة ؟

بناه الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ·· وعهد بادارة العمل الى اثنين من رجاله هما : رجاء بن حيوه الكندي احد العلماء في صدر الاسلام · ويزيد بن سلام مولى عبدالملك بن مروان · وفي قول ان الموكل بالصرف رجاء وان هذا ضم اليه يزيد وولديه ·

شرع البناؤون في البناء سنة ٦٦ هـ ـ ٦٨٥ م وفرغوا منه سنة ٧٢ هـ وفي رواية عن سبط بن الجوزي يوردها المؤلف في الهامش ان ابتداء البنيان كان سنة ٦٩ هـ ـ ٦٨٨م كما ينقل عن كتاب « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » لمؤلفه أحمد المقدسي انه بنى سنة ٧٠ هـ ـ ٦٨٩م ·

يقول المؤلف :

بلغت عناية المسلمين بهذا المسجد في صدر الاسلام حدا يفوق الوصف ·· ثم يذكران هذا هو المعروف عند معظم المؤرخين اي أن

الذي بنى مسجد الصخرة هو عبدالملك بن مروان وهو الذي اعتمده في كتابي هذا ·

ومع ذلك فهناك روايات تقول ان الذي بناه هو الوليد بن عبدالملك ، وليس عبدالملك وهنا يشير المؤلف الى تفاصيل وأقوال متعددة ، يعقب عليها بقوله : والرأى عندي أن القرار اعطى من لدن عبدالملك ، لأن فتنة ابن الزبير قامت في زمنه وقتل ابن الزبير على يده ، وشرع في البناء في زمنه ، وتم على يده وفي عهده ، ولكن هذا لا يعني أن ولده الوليد لم يكن له دخل في ذلك فانه كولد وكولي للعهد لابد وأن يكون قد أشرف على بناء المسجد أو على ناحية من نواحيه ليس هذا فحسب فانه « أي الوليد » أضاف الى ما بناه أبوه بعض النقوش والتزيينات ومنها القبة التي قال ابن البطريق ان الوليد قلعها من كنيسة بعلبك · وكانت من نحاس مطلى بالذهب ·

**جمال مسجد الصخرة من الناحية الهندسية**

مما لا ريب فيه أن مسجد الصخرة بقبته الجميلة وبنائه المتين وتكوينه الرائع جاء آية في فن الهندسة لا في العصر الذي بنى فيه فحسب ، وإنما على مر العصور والأيام ، فقد بهرت قبته ببهائها ورونقها وفخامتها وتناسقها كل من أمعن النظر فيها ، وحاول دراستها من العلماء والباحثين وكذلك قل عن جدرانه وسقوفه وأعمدته ونقوشه وفسيفسائه وكل شيء فيه ·

وإنك لترى فيه جمال الهندسة العربية والذوق العربي ممتزجا بشيء من الطراز الفارسي والأسلوب البيزنطي · ولا غرابة في ذلك · فقد اشترك في بنائه عمال وصناع من العرب والفرس والروم والبيزنطيين ·

قال الاستاذ « هايترلويس » : « ان مسجد الصخرة بلاشك من أجمل الأبنية فوق البسيطة ، لا بل انه أجمل الآثار التي خلدها التاريخ » ·

وقال الدكتور « ريتشارد هارتمان » : « ان مسجد الصخرة نموذج

من التناسق والانسجام » ٠ وقد أيده في وصفه هذا ، البحاثة الهولندي « فان برشام » ٠

وقال المستر « فرغوسن » : « ان مسجد الصخرة من الجمال على جانب عظيم ٠ لقد زرت كثيرا من القصور الفخمة والمباني الجميلة في الهند وفي أوربا وفي اكثر انحاء العالم ، ولكني على ما اذكر لم ار ما هو أجمل ٠ ولا أبدع ٠ ولا أفخم من قبة الصخرة ٠٠ وان التناسب البديع في الأحجار والألوان لم اجده في أي بناء آخر » ٠

وقال الدكتور « غوستاف لوبون » : « لم تكن قيمة هذا المسجد بما يثيره من ذكريات فقط بل انه من أهم المباني العجيبة التي شادها الانسان ٠٠ انه اعظم بناء يستوقف النظر ٠٠ ان جماله وروعته مما لايصل إليه خيال الانسان » ٠٠

***

وخصص مسيو « دوفوغيه » مجلدا كاملا لوصف مسجد الصخرة ، وكذا فعل الكثيرون من المؤرخين ، اكتفينا بما تقدم من أقوال بعضهم من مؤرخي الفرنجة ولم نذكر ما قاله المؤرخون المسلمون في وصف هذا المسجد ومحاسنه لئلا يقال : ان عين الرضا هي التي أملت عليهم ما قالوا ٠

## مسجد الصخرة في زمن العباسيين

ذكر ابن الأثير ان المنصور سار الى بيت المقدس سنة ١٥٤ للهجرة ـ ٧٧٠م وسقطت في أرض الحرم يومئذ صاعقة قتلت خمسة أنفار ، ولم يقل لنا ابن الأثير فيما اذا كان المنصور قد رمم الصخرة ٠

وأصاب البناء شيء من الخراب في عهد الخليفة العباسي المأمون ، فأمر بترميمه عندما زار بيت المقدس ٠ ولما انتهى العمال من الترميم ( ٢١٦ هـ ـ ٨٣١م ) أرادوا أن يتزلفوا اليه ، فاستبدلوا اسمه باسم الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان ٠ ولكنهم اغفلوا تغيير السنة التي حدث فيها هذا الترميم ٠٠ فكيف عرفنا ذلك ؟

ان فوق الأعمدة التي يقوم عليها سقف المسجد في الرواق القريب من المحراب من الناحية الجنوبية الى الشرق ، خطا ضيقا من البلاط الأزرق نقشت عليه بالفسيفساء وبالأحرف الكوفية المذهبة الكلمات التالية :

« بنى هذه القبة عبدالله ، عبدالله الامام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين · تقبل الله منه ورضى عنه آمين » · لم يفطن الصانع الى تغيير التاريخ فقد ابقى سنة ٧٢ هـ وهي السنة التي أتم فيها عبدالملك ابن مروان البناء ولم يذكر السنة التي تم ترميم البناء فيها على يد المأمون ( ٢١٦هـ ـ ٨٣١م ) ·

وأمرت أم المقتدر بالله الخليفة العباسي ( ٣٠١ هـ ـ ٩١٣م ) بصنع أبواب قبة الصخرة ، فصنعت من خشب التنوب وكانت كلها يومئذ مذهبة وأصلح يومئذ جانب من السقف وتم ذلك على يد لبيد مولاها ·

**في زمن الفاطميين**

في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي ( ٤٠٧ هـ ـ ١٠١٦م ) زلزلت الأرض فسقطت على اثرها بعض اجزاء القبة الكبيرة وقسم كبير من السور فرممت في خلافة ولده الظاهر لاعزاز دين الله ( ٤١٣ هـ ـ ١٠٢٢م ) وكان الفن العربي يومئذ مزدهرا وكانت القبة مغطاة بالرصاص من الخارج وبالفسيفساء من الداخل والنقوش والرسوم العربية الجميلة وقد تم تعميرها على يد « على بن أحمد » المنقوش اسمه على الأخشاب الملصقة في صدغ الدهليز الذي في رقبة القبة ·· وقيل ان الحاكم بأمر الله نفسه هو الذي قام بتعميرها ، فأصلح القبة القديمة ، وضرب عليها قبة اخرى من الخشب لتقيها من عبث الأمطار ، وتأثير الأجواء ·

***

وفي سنة ( ٤٦٠ هـ ـ ١٠٦٧م ) كثرت الزلازل في مصر والشام ، فانثلم سور بيت المقدس وانشقت الصخرة ، وهدمت اكثر المنازل وهلك تحت الردم خلق كثير ··

وهناك بين المؤرخين كثيرون يقولون ان مسجد الصخرة في يومنا هذا هـو كما كـان في بدء عهـده ، رغم ان القبة تـأثرت مـرارا بـالزلازل والعواصف الجوية ، وكذلك الجدران وقد عمرت هذه وتلك مرارا ٠ إلا أن تلك التعميرات لم تؤثر على شكل المسجد المثمن وهيكل البناء الأصلي أبدا ٠ وكذلك قل عن الأعمدة والنوافذ ٠

## في زمن الصليبيين

عندما احتل الصليبيون بيت المقـدس ( ١٠٩٩م ) حولوا مسجـد الصخرة الى كنيسة ، وبنوا على الصخرة مذبحا كانوا يسمونـه هيكل السيد ، وجعلوا به الصور والتماثيل قال مستر ج . فن:انهم اقتطعوا من الصخرة جانبا بنوا فيه مذبحهم وقال آخرون انهم اقتطعوا من الصخرة قطعا كثيرة حملوا بعضها الى القسطنطينية والبعض الآخر الى صقلية ٠

## في زمن صلاح الدين

عندما فتح صلاح الدين القدس ( ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧م ) أعاد البناء الى حاله القديم فأزال معالم الكنيسة ورفع المذبح ومحا الصور والتماثيل وازال عن الصخرة الرخام الذي كان الصليبيون قد كسوها به وقد زين القبة من الداخل بالنقوش الجميلة وجدد بعض الرخام بالجدران ٠

ومن ملوك بني أيوب الذين لهم اثر في مسجد الصخرة الملك العادل سيف الدين أبوبكر اخو السلطان صلاح الدين والملك الأفضل نورالدين على بن صلاح الدين والملك العـزيز عثمـان ابنه الآخـر فان الحـاجز الخشبي الذي يحيط بالصخرة هو من صنع الملك العزيـز عثمان ٠٠ وذكر مجير الدين ان هؤلاء كلهم كانوا يكنسون الصخرة بأيـديهم ثم يغسلونها بماء الورد كما كانوا في مثل هذه المناسبة يوزعون الصدقات على الفقراء ٠

## في عهد المماليك

كان أول من عنى بالمسجد من المماليك الملك الظاهر بيبرس فقد حدثنا المقريزي انه « أي الظاهر بيبرس » جهز الأموال والأصناكى صحبـة

الأمير علم الدين اليغموري لعمارة قبة الصخرة بالقدس ( ٦٥٩ هـ - ١٢٦٠م ) وكانت قد وهت ·

وحدثنا مجير الدين « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ان الظاهر بيبرس عنى بعمارة المسجد وجدد فصوص الصخرة المشرفة التي على الرخام من الظاهر · واختلف المؤرخان في تعيين التاريخ الذي تمت فيه العمارة الثانية · فقال مجير الدين انها جرت سنة ٦٦٩ هـ - ١٢٧٠م وقال المقريزي انها تمت سنة ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م ) ·

وفي زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون تم تعمير القبة من الداخل والخارج فجدد تذهيبها من الداخل وعمر خشبها ورصاصها من الخارج وقد تم ذلك سنة ٧١٨ هـ - ١٣١٨م ·

**في عهد الأتراك العثمانيين**

في زمن السلطان سليمان الثاني الملقب بالقانوني تمت تعميرات كثيرة ·· منها انه عمر من جديد قبة الصخرة والباب الشمالي · وانك لواجد على القوس الذي فوق الباب المذكور كتابة خطها عبدالله التبريزي على عهده ومنها يفهم ان عمارة هذا الباب قد تمت في ٩٥٩ هـ - ١٥٥٢م ·

ولقد عمرت الصخرة والأقصى وبعض الاملاك الموقوفة عليهما في العهد التركي وعلى يد السلطان محمود الأول ( ١١٤٨ هـ - ١٧٣٥م ) ·

وهناك تعميرات عديدة اخرى منها ما حدث في زمن السلطان عبدالمجيد بن محمود الثاني ( ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣م ) حين تولت الحكومة العثمانية ترميم مسجد الصخرة وقد دام هذا العمل بضع سنين ·

وفي زمن السلطان عبدالحميد الثاني فرش مسجد الصخرة بعدد وافر من السجاد الثمين · ونصبت الثريا التي كنت تراها في الصخرة والتي نقلت بعدئذ ( ١٩٥١م ) الى المسجد الأقصى ·

وبانتهاء العهد العثماني سنة ١٩١٨م واحتلال بريطانيا لفلسطين اصبح الاشراف على شؤون مسجد الصخرة والمسجد الاقصى من مهام المجلس الاسلامي الأعلى الذي كان يرأسه المرحوم الحاج امين الحسيني مفتى فلسطين ، واثناء ذلك طرأ على قبة الصخرة مع تقادم العهد ومرور الزمن خلل من جراء تسرب مياه الأمطار في الجدران فقام المجلس ببذل مساعيه للعمل من اجل انقاذ المسجد وكان ان استنجد بوزارة الأوقاف المصرية التي انتدبت عام ١٩٣٦م محمود احمد باشا مدير الآثار العربية وجاء هذا،وبعد أن كشف على القبة والجدران وعلى جميع أطراف المسجد وضع تقريرا تقدم به الى المجلس يتضمن بعض الحلول مما كانت نتيجته الحيلولة دون وقوع خطر عاجل ٠

ثم حالت حرب فلسطين ( ١٩٤٧ ) دون اتخاذ اية خطوة في سبيل تعمير قبة الصخرة ولقد زاد في الطين بلة ان هذه القبة والقباب الاخرى الكائنة في ارض الحرم لم تسلم من أذى اليهود وتعديهم ٠ فراحوا يصوبون الى هذا المسجد عن قصد مدافعهم وكثيرا ما سقطت قنابل المورتر من عيار بوصتين وست بوصات وقنابل الهاون ايضا في سطح المسجد وفي جنباته وفنائه٠

وفي العهد الأردني قامت الحكومة الأردنية ما أمكنها من اصلاحيات في هذا الصدد ساهم فيها ملوك ورؤساء بعض الأقطار الاسلامية بتبرعاتهم ٠

## المسجد الأقصى المبارك

في الباب الثالث يتحدث المؤلف عن « المسجد الاقصى المبارك » فيقول : « كان هذا الاسم « المسجد الاقصى » يطلق فيما مضى على الحرم القدسي كله ٠وقد اقتبسه المسلمون من حادث الاسراء يوم اسرى بالنبي العربي الكريم الى هذه الديار ٠ وفي ذلك نزلت الآية الكريمة : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله » « سورة الاسراء الآية ١ » ٠

كان هذا في أول عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقبل أن يفتح بيت المقدس على أيدي المسلمين · وكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى بعد الهجرة يولى وجهه وهو يصلى فى المدينة شطر القدس : معتبرا اياها بيت الله في ارضه ولما رأى من غدر اليهود ومكرهم ما رأى غير قبلته واستبدلها بالكعبة وقد تم ذلك في السنة الثانية للهجرة وفي ذلك نزلت الآيات الكريمة التالية :

« ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله » « سورة البقرة الآية ١١٥ » ·

« وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله · وما كان الله ليضيع ايمانكم ، إن الله بالناس لرؤوف رحيم · قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » « سورة البقرة الآيتان ١٤٣ ، ١٤٤ »

هذا عن المسجد الاقصى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ·

وأما في يومنا هذا فان اسم « المسجد الاقصى » يطلق على المسجد القائم في الناحية القبلية في الحرم ·· وعلى بعد خمسمائة متر بوجه التقريب من مسجد الصخرة الى الجنوب · ان الذي بناه هو عبدالملك بن مروان سنة ( ٧٤ هـ ـ ٦٩٣م ) ·

هذا ما قاله اكثر المؤرخين ، واما المقدسي والسيوطي فيقولان انه بناه سنة ٧٢ هـ ـ ٦٩١م ·

ويتابع المؤلف الفاضل حديثه المفصل في هذا الصدد ، وهو حديث شامل ومفيد كان بودنا أن نعرض له هنا لولا ضيق المجال ·

## الحرم القدسي أمس واليوم

يتحدث المؤلف في الباب الرابع عن الحرم القدسي قائلا :

ان جميع الأماكن المتقدم ذكرها مسجد الصخرة والمسجد الاقصى

وما بينهما من مبان ومنشآت حتى الاسوار هي التي نسميها في يومنا هذا « الحرم القدسي » ٠

ان موضع الحرم الحالي بوجه الاجمال مقدس في نظر المسلمين ٠

انه أولى القبلتين فقد صلى المسلمون عليه في بادىء الامر نحو سبعة عشر شهرا ، قبل أن يتخذوا الكعبة قبلتهم ٠

وهو ثالث الحرمين اللذين خصهما الله بالشرف والتعظيم ٠

ويستطرد المؤلف الى الحديث عن القباب والمساطب والمآذن ٠ ومياه الحرم وأبوابه وعن سدنته على مر العصور ٠

وعن زيارة الحرم يقول : كانت زيارة الحرم في العهود الغابرة مباحة للناس اجمعين ، لا فرق بين مسلم ومسيحي ، وطني واجنبي ، ولما أخذت رياح الاستعمار السياسي تهب على هذا الجزء من الشرق ، وكانت رياح الاستعمار الديني قد سبقتها باسم التبشير ٠ وراحت البلاد تغص بالارساليات الأجنبية المختلفة ، خشى اولو الامر العاقبة فحرموا الزيارة على الأجانب كائنا من كانوا ، وأباحوا لمن والاهم من المسيحيين العرب المواطنين ، وكان « القتل » عقوبة من يغشاه غيرهم من المسحيين الاغيار ٠٠ وأما اليهود فقد حرموا زيارة المسجد من تلقاء أنفسهم لاعتقادهم بأن التوراة مدفونة تحت باب (؟) من أبواب الحرم من اليوم الذي كان يقوم في هذا الموضع هيلكهم ٠

## معتقدات وأساطير

وفي الباب الخامس والأخير يتحدث المؤلف عن معتقدات نشأت حول هذا المكان الاسلامي الجليل بلغت ـ في بعض الأحيان ـ حد الأساطير.

وفي ذلك يقول : ان جل هذه المعتقدات ان لم نقل كلها بعيدة عن العقل والمنطق والتي عطفها الجهلاء إلى الدين ، إلا أنها في الحقيقة ليست من الدين في شيء لقد استنكرها رجال العلم وأساطين الدين واعتبروها خرافات ما أنزل الله بها من سلطان ٠

الى ان يقول : « وانه ليسرنا ان نلاحظ أن هذه الخرافات آخذة ـ في يومنا هذا ـ طريقها الى الزوال والفضل في ذلك راجع الى العلم الذي انتشر بين جميع طبقات الشعب · فاستنارت العقول وما عادت تهضم سوى المعقول !

ولئن غفرنا للقائلين المتمسكين بتلك الأساطير أقوالهم ·· إلا أننا و لن نغفر للقائل قوله : « ان هذا المكان بناه الجان !! فقد سمعت بأذني ـ يقول المؤلف ـ دليلا كان يرافق عددا من السائحين الفرنجة قبل بضع سنين ، ليدلهم على الأماكن المقدسة في المدينة ، ولما انتهى بهم المسير عند الحرم ، أشار الدليل الى مسجد الصخرة فقال : ان هذا المكان بناه الجان ! فدنوت منه وسألته عن السبب الذي حدا به لهذا الاعتقاد الفاسد ·· قال « ليس من المعقول أن يقوم بين العرب والمسلمين شخص ذو فكر ثاقب الى هذا الحد ! فيبني مثل هذا البناء الفخم العجيب !! »

فقلت له : رويدك ياأخي ! ان الذي بنى هذا المكان هو عبدالملك بن مروان ·· الخليفة الأموى ذو المكانة المرموقة بالتاريخ ·· انه انسى وليس بجنى ·· انه عربى مثلنا ابن وطننا وامتنا وديننا ، وانه ليجدر بنا جميعا ان نمجده ، وان نخلد ذكراه ، وأن نذكر ما فعله بكل فخر واعتزاز ، فلو لم يكن له فضل سوى هذا المسجد العظيم ، لكفاه ذلك فخرا انه هو الذي بناه ، وبعمله هذا وطد كيان العرب والمسلمين في هذه البلاد ·

***

وينتهي كتاب المؤرخ الباحث الاستاذ عارف العارف البالغ صفحاته (٢٤٨) عند هذا الحد ·· حاولنا في هذه الصفحات أن نعرض لأهم ما فيه أو للخطوط العريضة فيه ·· في حدود ما يسمح به المجال هنا ، وبالله التوفيق ·

# فهرس

## الجزء الثالث

الموضوع | الصفحة



# إصدارات إدارة النشر بتهامة

## سلسلة : الكتاب العربي السعودي

### صدر منها :

| الكتاب | | المؤلف |
|---|---|---|
| • الجبل الذي صار سهلا | ( نفد ) | الأستاذ أحمد قنديل |
| • من ذكريات مسافر | | الأستاذ محمد عمر توفيق |
| • عهد الصبا في البادية | (قصة مترجمة) | الأستاذ عزيز ضياء |
| • التنمية قضية | ( نفد ) | الدكتور محمود محمد سفر |
| • قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا | ( نفد ) | الدكتور سليمان بن محمد الغنام |
| • الظمأ | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ عبد الله جفري |
| • الدوامة | ( قصة طويلة ) | الدكتور عصام خوقير |
| • غداً أنسى | ( قصة طويلة ) ( نفد ) | الدكتورة أمل محمد شطا |
| • موضوعات اقتصادية معاصرة | | الدكتور علي بن طلال الجهني |
| • أزمة الطاقة إلى أين ؟ | | الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ |
| • نحو تربية إسلامية | | الأستاذ أحمد محمد جمال |
| • إلى ابنتي شيرين | | الأستاذ حمزة شحاتة |
| • رفات عقل | | الأستاذ حمزة شحاتة |
| • شرح قصيدة البردة | | الدكتور محمود حسن زيني |
| • عواطف إنسانية | ( ديوان شعر ) ( نفد ) | الدكتورة مريم البغدادي |
| • تاريخ عمارة المسجد الحرام | ( نفد ) | الشيخ حسين باسلامة |
| • وقفة | | الدكتور عبد الله حسين باسلامة |
| • خالتي كدرجان | ( مجموعة قصصية ) ( نفد ) | الأستاذ أحمد السباعي |
| • أفكار بلا زمن | | الأستاذ عبد الله الحصين |
| • كتاب في علم إدارة الأفراد | | الأستاذ عبدالوهاب عبد الواسع |
| • الإبحار في ليل الشجن | ( ديوان شعر ) | الأستاذ محمد الفهد العيسى |
| • طه حسين والشيخان | | الأستاذ محمد عمر توفيق |
| • التنمية وجهاً لوجه | | الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي |
| • الحضارة تحد | ( نفد ) | الدكتور محمود محمد سفر |
| • عبير الذكريات | ( ديوان شعر ) | الأستاذ طاهر زمخشري |
| • لحظة ضعف | ( قصة طويلة ) | الأستاذ فؤاد صادق مفتي |
| • الرجولة عماد الخلق الفاضل | | الأستاذ حمزة شحاتة |
| • ثمرات قلم | | الأستاذ محمد حسين زيدان |
| • بائع التبغ | ( مجموعة قصصية مترجمة ) | الأستاذ حمزة بوقري |
| • أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة | (تراجم) | الأستاذ محمد على مغربي |
| • النجم الفريد | ( مجموعة قصصية مترجمة ) | الأستاذ عزيز ضياء |

| العنوان | | المؤلف |
|---|---|---|
| • مكانك تحمدي | | الأستاذ أحمد محمد جمال |
| • قال وقلت | | الأستاذ أحمد السباعي |
| • نبض ... | | الأستاذ عبد الله جفري |
| • نبت الأرض | | الدكتورة فاتنة أمين شاكر |
| • السعد وعد | ( مسرحية ) | الدكتور عصام خوقير |
| • قصص من سومرست موم | ( مجموعة قصص مترجمة ) | الأستاذ عزيز ضياء |
| • عن هذا وذاك | | الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي |
| • الأصداف | ( ديوان شعر ) | الأستاذ أحمد قنديل |
| • الأمثال الشعبية في مدن الحجاز | | الأستاذ أحمد السباعي |
| • أفكار تربوية | | الدكتور ابراهيم عباس نتو |
| • فلسفة المجانين | | الأستاذ سعد البواردي |
| • خدعتني بحبها | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ عبد الله بوقس |
| • نقر العصافير | ( ديوان شعر ) | الأستاذ أحمد قنديل |
| • التاريخ العربي وبدايته | ( الطبعة الثانية ) | الأستاذ أمين مدني |
| • المجاز بين اليمامة والحجاز | ( الطبعة الثانية ) | الأستاذ عبد الله بن خميس |
| • تاريخ الكعبة المعظمة | ( الطبعة الثانية ) | الشيخ حسين عبد الله باسلامة |
| • خواطر جريئة | | الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ |
| • السنيورة | ( قصة طويلة ) | الدكتور عصام خوقير |
| • رسائل إلى ابن بطوطة | ( ديوان شعر ) | الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي |
| • جسور إلى القمة | ( تراجم ) | الأستاذ عزيز ضياء |
| • تأملات في دروب الحق والباطل | | الشيخ عبد الله عبد الغني خياط |
| • الحمى | ( ديوان شعر ) | الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي |
| • قضايا ومشكلات لغوية | | الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار |
| • ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة | | الأستاذ محمد علي مغربي |
| • زيد الخير | | الأستاذ عبد العزيز الرفاعي |
| • الشوق إليك | ( مسرحية شعرية ) | الأستاذ حسين عبد الله سراج |
| • كلمة ونصف | | الأستاذ محمد حسين زيدان |
| • شيء من الحصاد | | الأستاذ حامد حسن مطاوع |
| • أصداء قلم | | الأستاذ محمود عارف |
| • قضايا سياسية معاصرة | | الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي |
| • نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي | | الأستاذ بدر أحمد كريم |
| • الإعلام موقف | | الدكتور محمود محمد سفر |
| • الجنس الناعم في ظل الإسلام | | الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول |
| • ألحان مغترب | ( ديوان شعر ) | الأستاذ طاهر زمخشري |
| • غرام ولادة | ( مسرحية شعرية ) | الأستاذ حسين عبد الله سراج |
| • سير وتراجم | | الأستاذ عمر عبدالجبار |
| • الموزون والمخزون | | الشيخ أبو تراب الظاهري |

| الكتاب | | المؤلف |
|---|---|---|
| • لجام الأقلام | | الشيخ أبو تراب الظاهري |
| • نقاد من الغرب | | الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي |
| • حوار.. في الحزن الدافيء | | الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري |
| • صحة العائلة في بلد عربي متطور | | الدكتور زهير أحمد السباعي |
| • البترول والمستقبل العربي | | الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة |
| • من حديث الكتب | ( ثلاثة أجزاء ) | الأستاذ محمد سعيد العامودي |
| • أيامي | | الأستاذ أحمد السباعي |

## تحت الطبع :

| الكتاب | | المؤلف |
|---|---|---|
| • إليها | ( ديوان شعر ) | الأستاذ حسين عبد الله سراج |
| • حتى لا نفقد الذاكرة | | الأستاذ سعد البواردي |
| • أحاديث وقضايا إنسانية | | الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة |
| • تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية | | الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ |
| • معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان | | الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي |
| • الإسلام في نظر أعلام الغرب | | الشيخ حسين عبد الله باسلامة |
| • قصص من طاغور | ( ترجمة ) | الأستاذ عزيز ضياء |
| • ماما زبيدة | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ عزيز ضياء |
| • مدارسنا والتربية | | الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع |
| • دوائر في دفتر الزمن | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ سباعي عثمان |
| • عام ١٩٨٤ لجورج أورويل | ( قصة مترجمة ) | الأستاذ عزيز ضياء |
| • مشواري مع الكلمة | | الأستاذ حسن عبد الحي قزاز |
| • وجيز النقد عند العرب | | الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي |
| • هكذا علمني ورد زورث | | الأستاذ أبوعبد الرحمن بن عقيل الظاهري |
| • وحي الصحراء | | الأستاذ عبد الله بلخير<br>الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه |
| • سباعيات | | الأستاذ احمد السباعي |
| • خلافة أبي بكر الصديق | | الشيخ حسين عبد الله باسلامة |
| • الطاقة نظرة شاملة | | الدكتور عبدالهادي طاهر |
| • طيور الأبابيل | ( ديوان شعر ) | الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي |
| • عمر بن أبي ربيعة | | الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي |
| • رجالات الحجاز | ( تراجم ) | الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي |
| • لا رق في القرآن | | الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي |
| • من مقالات عبد الله عبد الجبار | | الأستاذ عبدالله عبدالجبار |
| • البعث | | الأستاذ محمد علي مغربي |
| • شمعة ظمأى | (ديوان شعر) | الدكتور أسامة عبدالرحمن |
| • دعوة ودفاع | | الأستاذ سعيد الجندول |
| • لن تلحد | | الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري |
| • التعليم في المملكة العربية السعودية | | الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع |

| | | |
|---|---|---|
| • الجبل الذي صار سهلا | الطبعة الثانية | الأستاذ أحمد قنديل |
| • التنمية قضية | الطبعة الثانية | الدكتور محمود محمد سفر |
| • قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا | الطبعة الثانية | الدكتور سليمان بن محمد الغنام |
| • غداً أنسى ( قصة طويلة ) | الطبعة الثانية | الدكتورة أمل محمد شطا |
| • تاريخ عمارة المسجد الحرام | الطبعة الثانية | الشيخ حسين باسلامة |
| • خالتي كدرجان ( مجموعة قصصية ) | الطبعة الثانية | الأستاذ أحمد السباعي |
| • الحضارة تحد | الطبعة الثانية | الدكتور محمود محمد سفر |

## سلسلة :

# الكتاب الجامعي

## صدر منها :

| | |
|---|---|
| • الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية | الدكتور مدني عبد القادر علاقي |
| • الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق ( باللغة الإنجليزية ) | الدكتور فؤاد زهران<br>الدكتور عدنان جمجوم<br>الدكتور محمد عيد |
| • النمو من الطفولة إلى المراهقة | الدكتور محمد جميل منصور<br>الدكتور فاروق سيد عبد السلام |
| • الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا | الدكتور عبد المنعم رسلان |
| • النفط العربي وصناعة تكريره | الدكتور أحمد رمضان شقليه |
| • الملامح الجغرافية لدروب الحجيج | الأستاذ سيد عبد المجيد بكر |
| • علاقة الآباء بالأبناء ( دراسة فقهية ) | الدكتورة سعاد إبراهيم صالح |
| • مباديء القانون لرجال الأعمال | الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين |
| • الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية | الأستاذ هاشم عبده هاشم |
| • قراءات في مشكلات الطفولة | الدكتور محمد جميل منصور |
| • شعراء التروبادور ( ترجمة ) | الدكتورة مريم البغدادي |
| • الفكر التربوي في رعاية الموهوبين | الدكتور لطفي بركات أحمد |
| • النظرية النسبية | الدكتور عبد الرحمن فكري<br>الدكتور محمد عبد الهادي كامل |
| • أمراض الأذن والأنف والحنجرة ( باللغة الإنجليزية ) | الدكتور أمين عبد الله سراج<br>الدكتور سراج مصطفى زقزوق |
| • المدخل في دراسة الأدب | الدكتورة مريم البغدادي |
| • الرعاية التربوية للمكفوفين | الدكتور لطفي بركات أحمد |
| • أضواء على نظام الأسرة في الإسلام | الدكتورة سعاد إبراهيم صالح |

## تحت الطبع :

| | |
|---|---|
| • الأدب المقارن ( دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية ) | الدكتور عبد الوهاب على الحكمي |
| • هندسةالنظام الكوني في القرآن | الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر |
| • تاريخ طب الأطفال عند العرب | الدكتور محمود الحاج قاسم |
| • المنظمات الدولية | الدكتور حسين عمر ابراهيم |
| • الوحدات النقدية المملوكية | الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي |




## صدر منهـا :

| العنوان | | المؤلف |
|---|---|---|
| • حارس الفندق القديم | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ صالح إبراهيم |
| • دراسة نقدية لفكر زكي مبارك | ( باللغة الإنجليزية ) | الدكتور محمود الشهابي |
| • التخلف الاملائي | | الأستاذة نوال عبد المنعم قاضي |
| • ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية | | إعداد إدارة النشر |
| • ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية | ( باللغة الإنجليزية ) | |
| • تسالي | ( من الشعر الشعبي ) ( الطبعة الثانية ) | الدكتور حسن يوسف نصيف |
| • كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني | ( دراسة وتحقيق ) | الشيخ أحمد بن عبد الله القاري<br>الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان<br>الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي |
| • النفس الإنسانية في القرآن الكريم | | الأستاذ إبراهيم سرسيق |
| • خطوط وكلمات | ( رسوم كاريكاتورية ) نفد | الأستاذ علي الخرجي |
| • واقع التعليم في المملكة العربية السعودية | ( باللغة الإنجليزية ) | الدكتور عبد الله محمد الزيد |
| • صحة العائلة في بلد عربي متطور | ( باللغة الإنجليزية ) | الدكتور زهير أحمد السباعي |
| • مساء يوم في آذار | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ محمد منصور الشقحاء |
| • النبش في جرح قديم | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ السيد عبد الرؤوف |
| • الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام | | الدكتور محمد أمين ساعاتي |
| • الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك | | الأستاذ أحمد محمد طاشكندي |
| • الدليل الأبجدي فى شرح نظام العمل السعودي | | الدكتور عاطف فخري |
| • رعب على ضفاف بحيرة جنيف | | الأستاذ شكيب الأموي |
| • العقل لا يكفي | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ محمد على الشيخ |
| • أيام مبعثرة | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ فؤاد عنقاوي |
| • مواسم الشمس المقبلة | ( مجموعة قصصية ) | الأستاذ محمد علي قدس |
| • ماذا تعرف عن الأمراض ؟ | | الدكتور إسماعيل الهلباوي |
| • جهاز الكلية الصناعية | | الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر |
| • القرآن .. وبناء الإنسان | | الأستاذ صلاح البكري |
| • اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية | | الأستاذ علي عبده بركات |
| • الطب النفسي معناه وأبعاده | | الدكتور محمد محمد خليل |
| • الزمن الذي مضى | ( مجموعة قصصية ) | الاستاد صالح إبراهيم |
| • مجموعة الخضراء | ( دواوين شعر ) | الأستاذ طاهر زمخشري |
| • خطوط وكلمات | (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية) | الأستاذ علي الخرجي |
| • ديوان السلطانيين | | الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي |
| • الإمكانات النووية للعرب وإسرائيل | | الدكتور صدقة يحيى مستعجل |
| • رحلة الربيع | | الأستاذ فؤاد شاكر |

## تحت الطبع :

- قراءات في التربية وعلم النفس — الأستاذ فخري حسين عزي، الدكتور لطفي بركات أحمد
- الموت والابتسامة ( مجموعة قصصية ) — الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف — الدكتور حسن محمد باجودة
- الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية — الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
- البحث عن بداية ( مجموعة قصصية ) — الأستاذ جواد صيداوي
- وللخوف عيون ( مجموعة قصصية ) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- ملامح وأفكار — الاستاذ أحمد شريف الرفاعي
- ديوان حام — الأستاذ محمد مصطفى حام
- المذاهب الأدبية في شعر الجنوب — الدكتور علي علي مصطفى صبح
- النظرية الخلقية عند ابن تيمية — الدكتور محمد عبدالله عفيفي
- الكشاف الجامع لمجلة المنهل — الأستاذ عبدالله سالم القحطاني

# رسائل جامعية

## صدر منها :

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية ( باللغة الإنجليزية ) — الدكتور بهاء حسين عزي
- الخراسانيون ودورهم السياسي — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور ابن عبدالعزيز آل سعود
- العثمانيون والإمام القاسم بن على في اليمن — الأستاذة أميرة على المداح
- القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله باقازي
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- النظرية التربوية الإسلامية — الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
- نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي ( تحقيق ودراسة ) — دكتور نايف بن هاشم الدعيس
- الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية — الأستاذة ليلى عبد الرشيد حسن عطار

## تحت الطبع :

- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبد الحي رضوان
- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية ( باللغة الإنجليزية ) — الدكتور فايز عبد الحميد طيب

- دراسة اثنوغرافية لمنطقة الإحساء ( باللغة الإنجليزية ) — الدكتور فايز عبد الحميد طيب
- اساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام — الأستاذة فتحية عمر رفاعي الحلواني
- افتراءات فيليب حتى .. وبروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبد الكريم علي باز
- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار — الدكتور فاروق صالح الخطيب
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام — الأستاذة نورة عبدالملك آل الشيخ

## كتاب الناشئين

## صدر منها :

### سلسلة : وطني الحبيب

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- الديك المغرور .والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني، إعداد الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

## تحت الطبع :

- حكايات للأطفال — الأستاذ عزيز ضياء
- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

سلسلة حكايات ألف ليلة وليلة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

## كتاب للأطفال

صدر منها :

**• لكل حيوان قصة** للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

| | | |
|---|---|---|
| • القرد | • الأسد | • الغزال |
| • الضب | • البغل | • الحمار الوحشي |
| • الثعلب | • الفأر | • الببغاء |
| • الكلب | • الحمار الأهلي | • الوعل |
| • الغراب | • الفراشة | • الجاموس |
| • الأرنب | • الخروف | • الحمامة |
| • السلحفاء | • الفرس | • الضفدع |
| • الجمل | • الدجاج | • الدب |
| • الذئب | • البط | • الخرتيت |

| | |
|---|---|
| • الصرصور والنملة | الأستاذ عمار بلغيث |
| • السمكات الثلاث | الأستاذ عمار بلغيث |
| • النخلة الطيبة | الأستاذ اسماعيل دياب |
| • الكتكوت المتشرد | الأستاذ عمار بلغيث |
| • المظهر الخادع | الأستاذ عمار بلغيث |
| • بطوط وكتكت | الأستاذ اسماعيل دياب |

**سلسلة حكايات كليلة ودمنه** إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• عندما أصبح القرد نجارا
• الغراب يهزم الثعبان

**سلسلة التربية الإسلامية** للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• الله أكبر
• قد قامت الصلاة
• الصلاة
• صلاة الاستخارة
• صلاة العيدين
• صلاة الجمعة
• صلاة المسبوق

كتب صدرت باللغة الانجليزية

## English Books Published By Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
  By F. M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED

- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi

- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan

- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.

- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai

- Diseases of Ear, Nose and Throat
  Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk

- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Dr. Baha Bin Hussein Azzee

- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia.

مطابع سحر جدة
ت ٦٣١٤٤٠٥
٦٣١٤١٤٩
٦٣١٤٥٣٣